إضاءات

مجموع فيه رسائل ومحاضرات

للشيخ فهد بن سليمان القاضي

رحمه الله

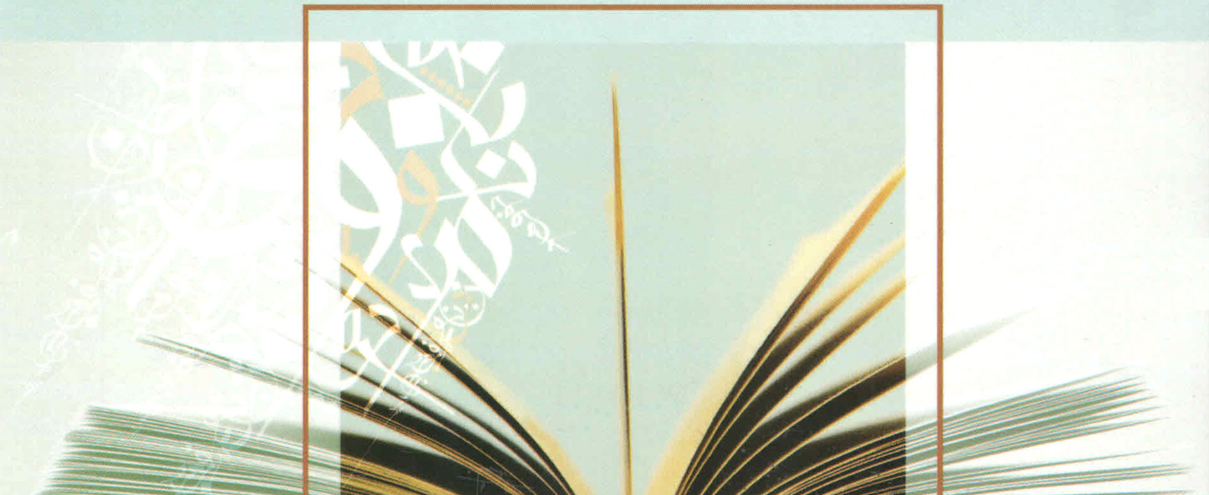

عبد الرحمن بن فهد القاضي

دار الحضارة

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

ح عبدالرحمن فهد القاضي، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، عبدالرحمن فهد

إضاءات مجموع فيه رسائل ومحاضرات/ عبدالرحمن فهد القاضي-

ط١- الرياض ١٤٤٥هـ

٠٠ ص ؛ ٠٠×٠٠سم

ردمك: ٩-٧٦١٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع ١٤٤٥/٧٨٢٣

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٧٨٢٣

ردمك: ٩-٧٦١٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com

إضاءات

مجموع فيه رسائل ومحاضرات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كان للشيخ فهد بن سليمان القاضي رحمه الله اهتمامٌ بالمواضيع التربوية والإيمانية، فألَّف فيها رسائل، وألقى فيها محاضرات وكلمات، وقد تميزت تلك الكتابات والمحاضرات بعدد من المزايا؛ منها:

- الوضوح في العبارة، وعدم التكلف، مع الاختصار غير المخل.

- الاعتناء بذكر الدليل من القرآن والسنة والآثار.

- كثرة النقل عن العلماء الربانيين من أئمة السلف.

- الاحتفاء بفتاوي العلماء الكبار؛ لاسيما الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

- الاهتمام بالمواضيع الأصلية في حياة المسلم، كالصلاة والصيام وغيرهما.

- ذِكر بعض الفوائد واللطائف الإيمانية التي لا يتنبَّه لها ـ غالبًا ـ إلا من كان له عناية بأعمال القلوب.

- أن بعض هذه الرسائل قام بمراجعتها علماءُ كبار، كالشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك ـ حفظه الله ـ، والشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان رحمه الله.

وقد نُشرت تلك الرسائل في حياة الشيخ رحمه الله، فرأينا إعادة نشرها وعرضها بِحُلَّة جديدة، مضمومًا إليها محاضراتٌ ألقاها الشيخ رحمه الله في مناسبات مختلفة.

ومما دعانا إلى إعادة نشر تلك الرسائل:

- أن الشيخ رحمه الله كان عازمًا على إعادة نشر بعض هذه الرسائل.

- نفاد المطبوع من تلك الرسائل.

- أن في هذا الإخراج تعديلات من قِبل الشيخ رحمه الله؛ حذفًا وإضافة، كما أن فيه إصلاحًا للأخطاء الطباعية السابقة.

- وفيه عناية بالعزو والتوثيق باختصار، مع الاحتفاظ بغالب ما كان من وَضْع الشيخ رحمه الله، وهو ما يشار إليه بكتابة: «المؤلف»، بعد انتهاء التعليق.

- أن جَمْع هذه الرسائل والمحاضرات في كتاب واحد أحرى بأن ينتفع بها.

ويُنبه إلى: أن تحويل المحاضرات المسموعة إلى كلام مقروء يستدعي نوعًا من التغيير؛ حذفًا وإضافة، وإعادة صياغة لبعض المواضع[1]

وفيما يلي بيانٌ لما تحتويه هذه المجموعة من العناوين، مع تعريف موجز بما تتضمنه تلك الرسائل والمحاضرات.

١ ـ كي نستفيد من رمضان، دروس للمسجد والبيت:

هذه رسالة كتبها الشيخ رحمه الله في عام (١٤٠٧هـ)، وقام بمراجعتها فضيلة الشيخ الدكتور: بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله، كما قام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك ـ حفظه الله ـ بمراجعة مواضع منها.

ويُعلم فحوى هذه الرسالة من عنوانها، فهي عبارة عن ملحوظات وتنبيهات تتعلق بمسائل الصيام وشهر رمضان.

---

(١) نسعد بتواصلكم معنا عبر هذا البريد: (Fahd.s.Alqadi@gmail.com)، أو عبر الجوال: (+٩٦٦٥٤٢٨٨٢٨١٦).

تحدث الشيخ رحمه الله أولًا عن الاستعداد للأعمال الصالحة.

ثم ثنّى بذكر أحوال الناس في استقبال رمضان، وأن الناس متباينون في ذلك حسب درجاتهم من الإيمان والصبر واليقين.

ثم ذكر سببين من أسباب استثقال الأعمال الصالحة، ونبَّه على أن الذي يُحمد من الاستبشار بالطاعة إنما هو ما كان أثرًا عن محبة العبد لربه؛ لا ما كان بسبب وجود حظٍّ للنفس من تلك العبادة!

ثم ذكر أربعة أمور مما ينبغي أن يُستقبل بها شهر رمضان.

ثم طرح مسائل؛ **أُولاها**: أنه لا بد من تحقيق التعبد لله في الصيام لئلا يكون عادة. **وثانيها**: بيان معنى قول النبي ﷺ: «**إيمانًا واحتسابًا**». **وثالثها**: نداء إلى أئمة المساجد ودعاة الخير أن يغتنموا فرصة شهر رمضان بتعليم الناس وإفادتهم. **ورابعها**: الاعتناء بالفرض أكثر من النفل. **وخامسها**: تنبيهات تتعلق بالوتر والقنوت. وسادسها: الحث على اغتنام ساعات يكثر التفريط فيها، وهي: أول ساعة من النهار، وآخر ساعة منه، ووقت السَّحر.

وبعد ذلك انتقل إلى مسائل وتنبيهات مهمة تتصل بحُسن الصوت في قراءة القرآن الكريم أداءً وسماعًا.

ثم ذكر تنبيهين متعلقين بالمرأة، وهما من الأهمية بمكان! وسبعةَ تنبيهات مختصرة حول أداء العمرة في شهر رمضان.

وقبل أن يَختم الرسالة، أَوْرَدَ عددًا من الأعمال الصالحة التي تتأكد في شهر رمضان، وهو مبحث مفيد. ثم أشار باختصار إلى مسائل تتعلق بصيام الست من شهر شوال.

ثم ختم الرسالة بخاتمة حسنة، عَنْوَنَ لها بـ: «بشرى»!

تنبيه: يوجد على الشبكة العنكبوتية محاضرة للشيخ رحمه الله بعنوان: «الأسرة في رمضان»، وهي مستمدة من هذه الرسالة.

٢ ـ عشر ذي الحجة، وأيام التشريق، والأضاحي:

هذه رسالة مختصرة، كتبها الشيخ ﷺ في حدود عام (١٤٠٨هـ)، ذكر في مقدمتها: أن الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، والشيخ العلامة صالح بن محمد اللحيدان؛ ساعَداه في إخراجها، وأسدَيا إليه توجيههما حول ما كُتب فيها.

تحدث الشيخ ﷺ ـ أولًا ـ عن عشر ذي الحجة، فبيَّن فضلها، وما يستحب فعله فيها، وما ينبغي أن تُستقبل به تلك الأيام، ثم تحدث عن صوم يوم عرفة، وختم بالكلام عن فضل يوم النحر، وصِيَغ التكبير في العشر.

ثم تحدث ـ ثانيًا ـ عن أيام التشريق، وفضلها، وما يكون فيها.

ثم ختم ـ ثالثًا ـ بالكلام عن الأضحية؛ مبينًا فضلها، وحكمها، كما نقل بعض الفتاوي المتعلقة بها.

٣ ـ خطوات إلى حياة طيبة:

هذه رسالة نشرها الشيخ ﷺ عام (١٤١٨هـ)، وقد راجعها فضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك ـ حفظه الله ـ.

وهذه الرسالة موجهة إلى المرأة المسلمة؛ أُمًّا وأختًا وزوجة وابنةً، وهي عبارة عن عشر مسائل تمس الحاجة إلى التنبيه عليها لتحقيق التقوى، كما قال المؤلف ﷺ في صدر الرسالة.

ابتدأ المؤلف ﷺ بالتنبيه على المنزلة العظمى للصلاة، وأن الصلوات الخمس من محاسن ديننا.

وثنَّى بذكر أهمية التوكل على الله ﷻ، وأمورٍ تُعين على تحقيقه.

وثلَّث بحديث فيه تحذير من فتنة الدنيا، وفتنة المال.

ثم تحدث عن أهمية حفظ اللسان، وحفظ السمع والبصر، وذكر بعض ثماره، وحذر من خلاف ذلك.

ثم عقد فصلًا بعنوان: «الحذر من خطوات الشيطان» وخصَّ منها ما يسمى بالمعاكسات، وأبان فيه عما صارت إليه بعض الفتيات.. وفي هذا السياق تحدث عن انحراف المحبة والتعلق والإعجاب، وبيَّن علاج ذلك.

وقبل الختام، تحدث عن مسألة الحجاب بكلام مؤصل قائم على الدليل الصحيح الصريح، ثم ختمه ببيان كون المعركة على الحجاب معركةً قديمة، وأن للعدو فيها حظًّا!

ثم تحدث عن القرار في البيت، وذكر فائدته وعائدته.

ثم ختم بفصل: «تحقيق التوحيد طريق الإصلاح»، وهو ختام متين رصين، يضع النقاط على الحروف، ويحل الإشكال من أصله لا من فرعه!

٤ - السحر والعين والرقية منهما:

هذه الرسالة نشرها الشيخ رحمه الله عام (١٤١٩هـ)، وعنوانها كافٍ في بيان غرضها.

استفتح الشيخ رحمه الله هذه الرسالةَ ببيان أن من حكمة الله عز وجل أنه خَلَقَ الإنسان في كبد؛ لئلا يركن الناس إلى الدنيا ويطمئنوا إليها.

ثم تحدث رحمه الله عن أسباب الإصابة بالسحر والعين.

كما أشار إلى قاعدة مطَّردة متكررة في الثواب والعقاب؛ هي أن الجزاء من جنس العمل، وأبان عن صلتها بموضوع الكتاب.

ثم ذكر حكم السحر وإتيان العرافين.

وبعد ذلك تحدث عن كيفية اتقاء شر السحر والعين، وهو حديث نافع مهم.

ثم تحدث عن العلاج بالفاتحة والمعوذات والأدعية المأثورة وغير ذلك، كما تحدث عن كيفية رقية الإنسان نفسه، وفائدة ذلك.

ثم ختم بتنبيهات مهمة؛ منها: أن يكون قصد الإنسان من الأذكار التعبد

لله والرغبة فيما عنده. وما يقوله الإنسان إذا أعجبه شيء فخاف من نفسه أن يصيب غيره بعين.

٥ ـ عواصم من الفتن:

ذكر الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة الموجزة أن حكمة الله ﷻ اقتضت أن يُبتلى العباد بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، وذكر أن العقول في زمن الفتن تطيش، ومن ثَمَّ ذكر سبعة أسباب من أسباب الثبات زمن الفتن.

ثم انتقل رحمه الله إلى ذكر أسباب النصر، وذكر أربعة أسباب.

وتحدث عن أسباب تسليط العدو، كمعاداة أولياء الله، وأكل الربا، والتفرق.

ثم ختم الرسالة بقوله رحمه الله: «على كل مسلم أن يقوم بواجبه من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ينتبه إلى ألا يكون الانشغال بالأهم مدعاةً لترك المهم».

٦ ـ الغيرة والحياء:

هذه رسالة لطيفة مختصرة، صدَّرها المؤلف رحمه الله بالإشارة إلى أن ديننا اهتم بمكارم الأخلاق، فأقر ما كان عليه الجاهليون من أخلاق حسنة، وهذب ما احتاج إلى تهذيب، وألغى ما كان من الأخلاق السيئة.

ثم ذكر منزلة الغيرة في الإسلام؛ ببيان عدد من النصوص في ذلك، وذِكر بعض القَصص.

وبعد ذلك أشار إلى صور من التفريط في الغيرة والتقصير فيها وأسباب ذلك.

ثم تحدث عن الحياء، وذكر شيئًا من أسباب خِفَّتِه عند بعض الناس.

٧ ـ فضل الدعوة إلى الله:

كتب الشيخ رحمه الله هذه المقالة قبل وفاته بشهرين؛ أي: في الخامس عشر من شهر المحرم، عام (١٤٤١هـ).

وهذه المقالة مقالة موجزة حملت معاني كبرى، وقد وجهها الشيخ رحمه الله لمن يحمل هم الدعوة إلى الله تعالى.

فمما تضمنه هذا المقال: أن على المؤمن أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليس مسؤولًا عن النتائج.

ومن ذلك: أن المؤمن يتعاون مع إخوانه الصالحين، ويتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر.

كما حَذَّر الشيخ رحمه الله من أن يُفْرِطَ الإنسان في إحسان الظن بنفسه، وتَزْكِيَة آرائه ونظراته واجتهاداته، وبَيَّن أن هذا مزلق خطير يؤول بالعبد إلى مآلات منكرَة.

وأشار الشيخ رحمه الله إلى أن من الفقه: الانتقالَ ـ أحيانًا ـ إلى باب آخر من أبواب الإصلاح، كالدعوة والوعظ وتأليف الكتب والرسائل ونشرها، ونحو ذلك، وهذا إذا لم تَتَأَتَّ الحال الكاملة للاحتساب، وهي «الأمر» بالمعروف، و«النهي» عن المنكر.

٨ ـ السفر للخارج للسياحة، محاذير وشبهات:

ذكر الشيخ رحمه الله في هذه الورقات بعض المحاذير المترتبة على السفر لخارج البلاد من أجل السياحة.

فمن تلك المحاذير: مخالفة قول النبي ﷺ: «**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أَظْهُرِ المشركينَ**»، ونحوه من الأحاديث. ومن المحاذير ـ أيضًا ـ: رؤية المنكرات والسكوت عن إنكارها.

كما ذكر عددًا من الشُّبَه التي ربما تَمَسَّك بها بعض الناس لتسويغ السفر للخارج للسياحة، وأجاب عنها.

٩ ـ الفَرَج بعد الكرب:

في هذه المقالة عَدَّدَ الشيخ رحمه الله أمورًا يُوصَى بها المكروب:

منها: حسن الظن بالله عز وجل.

ومنها: احتساب الأجر.

ومنها: كثرة الاستغفار.

ومنها: اللجوء إلى الله تبارك وتعالى والازدياد من طاعته، وأمورًا أخرى.

وقد استدل الشيخ رحمه الله لغالب هذه الأمور من كتاب الله تعالى، وسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠ ـ من ثمرات الصلاة:

هذه كلمة ألقاها الشيخ رحمه الله عبر إذاعة القرآن الكريم، ومضمونها يُعلم من عنوانها.

ابتدأ الشيخ رحمه الله حديثه بذِكر ميزات الصلاة وخصائصها التي اختُصت بها على سائر فرائض الإسلام.

وذكر الشيخ رحمه الله أن الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة ليس خاصًا بهذه الأمة، فقد أُمرت به الأمم قبلنا، كما جاء في القرآن الكريم، وكان الأنبياء عليهم السلام يستعينون بالصبر وبالصلاة، وذكر الشيخ لذلك شاهدًا من حديث إبراهيم عليه السلام لما قدم أرض الجبار، والحديث في الصحيحين.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله صورًا دالةً على أن الصلاة حلٌّ وعلاج لما ينوب المسلمين في حياتهم من نوائب عامةٍ أو خاصة؛ من تلك الصور: مشروعية صلاة الكسوف، والخسوف، والاستسقاء، ومنها: صلاة الاستخارة، وصلاة ركعتين عند الدخول على الزوجة، وصلاة ركعتين عند القتل.

ثم نَبَّه الشيخ رحمه الله في الختام على أن ثمرات الصلاة لا تكون إلا لمن أقام الصلاة على أتم الوجوه، وذلك بفعل الشروط والأركان والواجبات، وحذَّر من التهاون بشرط الوقت، وذَكَر أدلةً من الكتاب والسنة على ذلك.

١١ ـ تربية الأولاد على الصلاة:

هذه كلمة ألقاها الشيخ رحمه الله عبر إذاعة القرآن الكريم، ويُعلم محتواها من العنوان.

استفتح الشيخ رحمه الله كلمته بالحديث عن أهمية التواصي بالحق، وأنه سبب للنجاة من الخسران، ومن هنا ذَكَّر بأهمية تربية الأولاد على إقامة الصلاة، وأن الأولاد ـ بنين وبنات ـ نعمةٌ تستوجب الشكر، وأمانةٌ تقتضي حُسن الرعاية.

ثم حذَّر الشيخ رحمه الله من التهاون في تربية الأولاد على تعظيم الصلاة منذ سنيِّهم الأولى، وحَثَّ على تنفيذ وصية النبي ﷺ: «**مُرُوا أبناءكم بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»، ثم قال رحمه الله: خُذ العبرة ممن ترك العمل بها غفلةً عنها أو رحمةً بأولاده ـ بزعمه ـ ثم لما كبروا دَعَوْهم فلم يستجيبوا، وأمروهم فلم يمتثلوا، وجربوا معهم مُخْتَلِفَ الأساليب فلم تُجْدِ ولم تنفع.

ثم ختم حديثه بأن العبد مطلوبٌ منه بذل الأسباب في أمر أولاده بالصلاة والاجتهادُ في ذلك، وبعد ذلك يطمئن، حيث فَعَل ما كلفه الله به، فإن جاءت النتائج على غير ما يُحب فإنه يُعزِّي نفسه بمثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

١٢ ـ سلامة الصدر من الغل والحسد:

تحدث الشيخ رحمه الله في هذه المحاضرة عن أمر مهم، وهو سلامة الصدر من الغل والحسد، وذكر أن الحسد والغل والحقد من الأخلاق الذميمة التي جاء ذمُّها في نصوص كثيرة في الكتاب والسُّنَّة، وساق بعضها.

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى الحسد ومعنى الحقد، وفرَّق بين الحسد والغِبطة، كما نَبَّه إلى أنه كثيرًا ما يجتمع في القرآن الحسد والسحر؛ لما بينهما من التقارب!

ثم ذكر عددًا من الأسباب التي تُوقِع في الحسد؛ كالعداوة والبغضاء، والكبر، وحب الرئاسة، وخبث النفس، وغير ذلك.

ثم ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصوصًا في فضل سلامة الصدر والتَّحَابِّ بين المسلمين، وأَتْبَعَها بذِكر أمور تجلب التحابَّ والتواد بين المسلمين، كالسلام، والتهادي، وإعلام من تحب بأنك تحبه.

وقبل أن يختم حديثَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذَكر أمورًا يُستدفع بها شر الحاسد؛ منها: التعوذ بالله من شره والتحصُّن به واللجوء إليه، وتقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه.

ثم ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذِكر أمور تُنَقِّي القلب من الحسد وتُعين على التخلص منه؛ منها: الدعاء، وساق جملة من الأدعية المأثورة.

١٣ ـ أسباب الثبات على الدين:

موضوع هذه المحاضرة ظاهر من العنوان، وقد استفتح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المحاضرة ببيان أن نعمة الهداية إلى الإيمان أعظم النعم، ولذا كان النظر فيما يثبت هذه النعمة من أوجب ما يجب على العبد أن ينظر فيه ويهتم فيه.

وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سببين للثبات على الدين؛ سبب إجمالي، وأسباب تفصيلية، فسبب الثبات الإجمالي: القيام بواجبات الإيمان.

وأما الأسباب التفصيلية فمنها: طلب العلم الشرعي ابتغاء وجه الله، والاجتهاد في الطاعات، بالمواظبة على الفرائض، والاستكثار من النوافل، والدعاء، وعدم عجب المرء بنفسه، إلى غير ذلك من الأسباب، وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة عشر سببًا، وهي بعض أسباب الثبات على الدين.

١٤ ـ أحاديث التربية في صحيح مسلم:

هذه سلسلة محاضرات ألقاها الشيخ رحمه الله في شهر صفر من عام (١٤١٥هـ)، وذلك ضمن دورة أقيمت في مدينة الرياض.

وقد اختار الشيخ رحمه الله بعضًا من أحاديث التربية الواردة في صحيح الإمام مسلم رحمه الله وعلق عليها.

فالحديث الأول هو: حديث أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه في ذِكر قصة الهجرة، وهو حديث عظيم، وقد نقل الشيخ رحمه الله تعليق الإمام النووي رحمه الله على هذا الحديث، كما تحدث الشيخ رحمه الله عن أمر مهم يكشفه هذا الحديث، وهو: أن شخصية أبي بكر رضي الله عنه من أهم ما يُميزها: تكاملها، فأبو بكر رضي الله عنه فقيهٌ، عالمٌ، عابدٌ، مجاهدٌ، منفقٌ في سبيل الله، داعٍ إلى الله، بارٌّ بوالديه، واصلٌ لرحِمه، مدركٌ لعلوم عصره، لَبِقٌ يحسن التعاملَ مع جميع الفئات.

وقد أبرز الشيخ رحمه الله هذه الصفة ـ صفة التكامل في الشخصية ـ، وذلك بذكر الشواهد الدالة عليها من حياة أبي بكر رضي الله عنه.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله عددًا من الأسباب والعوامل التي تكمل بها شخصية المسلم؛ منها: معرفة العبد لربه؛ بتحقيق التوحيد، وتكميل الإيمان. وفي طيّات ذلك ذكر مسائل وفوائد مهمة تتعلق بطلب العلم الشرعي وشيء من آدابه. ومن الأسباب التي تكمل بها شخصية المسلم: العمل الصالح. والتواصي بالحق. والتواصي بالصبر.

وأما الحديث الثاني، فهو حديث جابر رضي الله عنه وقصة أبي اليَسَر، وهو حديث طويل، وأحاديث أخرى يرويها جابر رضي الله عنه، وقد علق عليها الشيخ رحمه الله بتعليقات مختصرة مفيدة؛ منها ما يتعلق بحكم فقهي، ومنها ما يتصل بمسألة عَقَدية، وغير ذلك.

ثم ذكر رحمه الله حديث قصة أصحاب الأخدود، وهو حديث فيه من الدروس والفوائد شيء كثير، أشار الشيخ رحمه الله إلى كثير منها، ومن أهم دروس تلك

القصة: أنه يجب الاعتناء بمدى رسوخ اليقين في قلوبنا، وأن يكون ذلك هو هَمَّنا. ومن فوائده: أن خَوْف الإنسان على نفسه من الفتنة علامة على قوة إيمانه، وأن السلاح الذي تسلح به الغلام هو الدعاء، وتَعرَّض الشيخ رحمه الله إلى سر ثبات الغلام، وسر ثبات من آمن برب الغلام، إلى غير ذلك من فوائد الحديث.

ثم ساق الشيخ رحمه الله أحاديث متفرقة، بلغت عشرين حديثًا، وعلق عليها تعليقات مفيدة متنوعة، على وجه الاختصار.

هذا، ونسأل الله ﷻ أن يكتب الأجر للمؤلف، ويُعْلِيَ منزلته، ويجعل ما كتبه وقاله مباركًا ونافعًا للمسلمين أجمعين، آمين.

ولا ننسى مِن الشكر والدعاء مَن كان له توجيه أو إسهام في هذا العمل، والحمد لله رب العالمين.

«كي نستفيد من رمضان»

دروس للبيت والمسجد

لِلشَّيخ فَهدِ بنِ سُلَيمَانَ القَاضِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

راجعها

الشيخ د. بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد: فهذه بعض المسائل المتعلقة بالصيام وبشهر رمضان، وهي - في أغلبها - عبارة عن ملحوظات وتنبيهات تطرح بين حين وآخر، وتذكيرٌ بأعمال فاضلة، وكان عملي جمعها وصياغتها.

وإني لأشكر كل من ساهم في هذه الرسالة المختصرة؛ سواء كان بكتابة أو مراجعة أو تصحيح أو اقتراح أو غير ذلك. وأخص من أولئك: فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الذي راجع الرسالة وأفاد بتوجيهاته، وكذلك فضيلة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك الذي راجع مواضع منها. فجزى الله الجميع خيرًا، ولا حرمهم أجر ما عملوا وذخره.

الاستعداد للأعمال الصالحة

اقتضت حكمة الله جلَّ وعلا أن يجعل هذه الدنيا مزرعة للآخرة وميدانًا للتنافس، وكان من فضل الرب ـ سبحانه ـ وكرمِه: أنه يجزي على القليل بالكثير، ويضاعف الحسنة، ويجعل لعباده مواسم تعظم فيها تلك المضاعفة، ويزيد للعامل فيها الثواب.

ومن أعظم هذه المواسم وأجلها: شهر رمضان، قال الله ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ لذا كان حريًّا بالمسلم أن يحسن الاستعداد لهذا القادم الكريم؛ لئلا يفوته الخير العظيم، أو لئلا ينشغل بمفضول عن فاضل، أو بفاضل عما هو أفضل منه، وقد كان سلف هذه الأمة يحرصون من الأعمال على أفضلها وأعظمها أجرًا، وأحبها إلى الله، مُتَأَسِّين في ذلك برسول الله ﷺ.

أحوال الناس في استقبال رمضان

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] صدق الله، فإنه فيما يتعلق بمواسم الخير - وبخاصة شهر رمضان واستقباله واستعداد الناس له - نرى التباين حسب درجة العبد من الإيمان والصبر واليقين ومنزلتِه من اليقظة واغتنام ساعات العمر، وبقدر الإخلال بشيء من ذلك تبتعد مواسم الخير ومتاجر الآخرة عن حصول المقاصد الشرعية منها.

فمَثَلًا: رمضان وليلة الجمعة ويومُها يجعلها أهل الغفلة مواسم عبث وتفريط.

فشهر رمضان من الناس من يستقبله بالضجر - نسأل الله العافية - على ما سيفقده من الأكل متى ما أراد والشرب متى ما أراد، ومنهم من يستقبله بالسفر والهرب عن بلاد المسلمين، ومنهم من يستقبله بالإكثار من أطعمة يخص بها رمضان.

ومن الناس من يستقبله بالفرح والاستبشار وحَمْدِ الله أن بلغه هذا الشهر، وعَقْدِ العزم على أن يَعْمره بما يزيد حسناته ويقربه إلى ربه، وهؤلاء هم المقتدون بالسلف، حيث يُؤثر عنهم أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم(١).

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في لطائف المعارف ص (٣٢٩): «قال مُعَلَّى بن الفضل: كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يَتَقَبَّل منهم».

سبب استثقال بعض النفوس للأعمال الصالحة

إن المؤمن ذا القلب السليم يُقبل على أعمال الخير بقلب منشرح ونفس مستبشرة ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ويستقبل المواسم الفاضلة حامدًا الله على سعة فضله وعلى أن مد له في العمر حتى أدركها.

لكن قد يَحْدث خلاف ذلك الفرح والاستبشار من بعض الناس؛ فما سببه؟

لذلك أسباب، لعل أحدها:

١ ـ تعلق القلب بشهوة أو شبهة، فتعلق النفس بشهوةٍ ما: يثقل عليها ـ غالبًا ـ العبادة المرتبطة بها، كالتعلقِ بشهوة المال يثقل عليها عبادة الزكاة والصدقات، والتعلقِ بشهوة الطعام والشراب يثقل عبادة الصيام، والتعلقِ بالأهل والأولاد يثقل عبادة الجهاد، والتعلقِ بالمنصب والوظيفة يثقل عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا.

فمحبة الأعمال الصالحة والاستبشار بها فرع عن محبة الله ومرتبط به، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

واستثقال الأعمال الصالحة والإعراض عنها أثر عن ضعف الإيمان وضعف محبة القلب لله، وإن شئت مصداقًا لهذا فقارن قول النبي ﷺ:

«**وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاةِ**»[١]، وقوله: «**أَرِحْنَا بها يا بلالُ**»[٢]، بقول من يقول بلسان حاله أو مقاله: أرحنا منها.

هذا من آثار تعلق القلب بالشهوات، ومثل هذا؛ بل أخطر منه: تأثره بالشبهات.

٢ ـ وهناك سبب آخر قد يوجد في بعض الناس، وهو أن يكون أحدهم قد حمَّل نفسه أكثر من طاقتها، وألزمها فوق ما تستطيع من الأعمال الصالحة، فينتج عن هذا: إما أن ينقطع عن ذلك العمل الصالح كُلِّيَّةً فيتركه، أو أن يستبدل به عملًا مبتدعًا يكون أخف على النفس، أو أن يستمر على ما كان يفعله؛ لكن بغير إقبال نفس ولا انشراح صدر ولا محبة لهذا العمل الذي كلف نفسه به، قال رسول الله ﷺ: «**إن لكلِّ عملٍ شِرَّةً**[٣]**، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةً، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتِي فقد اهتدى، ومن كانت فترتُه إلى غيرِ ذلك فقد هَلَكَ**»[٤].

لكنْ لا يعني هذا الدعوةَ إلى الكسل؛ بل الجد مطلوب، والاجتهاد في العمل الصالح والمسابقة إلى الخيرات قد نُدبنا إليه؛ لكن يُرَاعَى في ذلك عدمُ تحميل النفس ما لا تطيق، قال رسول الله ﷺ: «**عليكم من الأعمالِ ما تُطِيقُونَ، فإن اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا**»[٥].

لذا كان من أهم أسباب الاستقامة: لزومُ هدي النبي ﷺ.

وثمة تنبيه مهم: وهو أن الذي يُحمد من الاستبشار بالطاعات والفرح بها إنما هو ما كان أثرًا عن محبة العبد لربه، لا ما كان بدافع هوى النفس وشهوتها.

---

(١) رواه النسائي في المجتبى (٣٩٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٥).

(٣) أي: نشاط. «المؤلف»

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦٩٥٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١٠٥) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٢).

مثال ذلك: من يحب مجالس الخير ويفرح بها، تلك المجالس التي قال فيها النبي ﷺ: **«قال اللهُ تعالى: وَجَبَتْ محبتي للمتحابينَ فيَّ، والمتجالسينَ فيَّ، والمتزاورينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيَّ»**[(١)]، ونحو هذا من الأحاديث، فمن كان يحب تلك المجالس ويحب أهلها لأنها محبوبة إلى الله ـ سبحانه ـ فهذا هو المفلح الذي تنفعه محبته، أما من يحبها لمجرد ما يجد فيها من أُنس وتسلية، أو لما يجد فيها من أكل أو شرب، أو نحو هذه المقاصد فشتان ما بينه وبين الأول.

لكن لا ينبغي أن يكون مخالطة شيء من حظوظ النفس للعبادة داعيًا لترك تلك العبادة بحجة الخوف من عدم قبولها، فهذا مزلق يُحذر منه، وإنما الصواب أن تَستكثر من العمل الصالح، وتجاهد نفسك في تكميل الإخلاص لله فيه.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٣٥٠٧/ ٧٦٣)، قال النووي رحمه الله: «حديث صحيح، رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح»، ينظر: رياض الصالحين، باب فضل الحب في الله. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٤٣٣١). «المؤلف»

بِمَ يُستقبل الشهر؟

يُستقبل بالسرور والاستبشار، وبنفس صافية تستقبل ما يرد عليها من غذاء الروح بالأعمال الصالحة، فليبادر إلى:

١ ـ التوبة الصادقة، حيث إن الذنوب سبب حرمان العبد من خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ولا مصيبة أعظم من الحرمان من الأعمال الصالحة، ولهذا ـ والله أعلم ـ شُرع في كثير من الأعمال الصالحة استفتاحها بالاستغفار، كدخول المسجد[١]، وكالدخول في الصلاة: «**اللهمَّ باعدْ بيني وبينَ خطايايَ كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ...**»[٢]، وكخطبة الحاجة في استفتاح خطبة الجمعة والعيدين وعقد النكاح وغيرها: «**إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه...**»[٣].

كما شرع ـ أيضًا ـ خَتْمُها بالاستغفار؛ إظهارًا للافتقار، وأن العبد مهما عمل فهو لا يزال في تقصير.

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢٦٤١٦)، والترمذي (٣١٤)، وابن ماجه في سننه (٧٧١)، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقول: «**بسمِ اللهِ، والسلامُ على رسولِ اللهِ، اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبِي وافتحْ لي أبوابَ رحمتِكَ**»، وإذا خرج قال: «**بسمِ اللهِ، والسلامُ على رسولِ اللهِ، اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبِي وافتحْ لي أبوابَ فضلِكَ**»، قال الترمذي: «حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل».

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٨) من غير أن يسميها خطبة الحاجة، وأخرجه أبو داود (٢١١٨)، =

٢ ـ عَقْد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه وأعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال الله ﷻ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

٣ ـ دعاء الله بالعون على الطاعة، فالله يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، مثل أن يكرر هذا الدعاء: «**اللهمَّ أَعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ**»[١]، ويُؤْثَرُ عن السلف أنهم كانوا يقولون إذا حضر رمضان: اللهمَّ قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد، وأعذنا فيه من الفتن[٢].

٤ ـ الاستكثار من الأعمال الصالحة عمومًا؛ حتى تتهيأ النفس وتستعد، ومن ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ولعل هذا ـ والله أعلم ـ من حِكم إكثار النبي ﷺ الصوم في شعبان، ففي الصحيحين عن عائشة ﵂: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان»[٣].

= والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وذكروا أن ابن مسعود ﵁ قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة.

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣).

(٢) ينظر: كتاب الدعاء للطبراني ص (٢٨٤) برقم: (٩١٤)، وأخبار الصلاة لعبد الغني المقدسي ص (٦٩) برقم: (١٢٩)، وينظر: «المناهل الحسان في دروس رمضان» ص (٦)، و«موارد الظمآن لدروس الزمان» (١/ ٣٣٨)، للشيخ عبد العزيز السلمان ﵀.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).

مسائل وتنبيهات

❖ **المسألة الأولى: تحقيق التعبد وتكميله:**

لابد من تحقيق التعبد في الصيام وغيره من العبادات، وإلا أصبح عادة رتيبة، فليس للمرء من عمله إلا ما نوى، كما قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»(١)، فابحث عما يحقق تعبدك ويكمله بشروط التعبد كلها ـ المحبة والخوف والرجاء ـ؛ من تلاوة القرآن بالتدبر، وتذكر فضل ما تعمل أو تترك، والتواصي بالحق وغير ذلك.

وللعمل مع النية أحوال:

١ ـ فالعادة المباحة إذا قارنتها النية الحسنة أصبحت عبادة.

٢ ـ والعبادة إذا خلت من النية أصبحت عادة.

٣ ـ أما إذا خَلَتْ من النية الصالحة وحل محلها النية الفاسدة كقصد مراءاة المخلوقين ونحو ذلك أثم صاحبها، وخرجت عن حد العبادة في الباطن، والله أعلم.

وعلى أي الأحوال فليكن نظر المسلم هنا إلى ما يتحقق منه التعبد لله أكثر.

فإن رأى أن اعتماره أول الشهر أو وسطه أكمل في تعبده وأكثر؛ لإقباله على العبادة وأدعى لانشراح صدره إليها من أن يأتي أواخر الشهر فيجد عنتًا عند دخول المسجد الحرام، وعند الخروج منه وعند الطواف، وعند إرادته

---

(١) أخرجه البخاري (١) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٧).

ما لا بد له منه من اشتراء طعام أو قضاء حاجة أو نحو ذلك، فهذا لعل الأصلح له أن يعتمر أوائل الشهر.

أما من كان الاعتمار آخر الشهر أنفع له، كأن يكون سببًا في ابتعاده عما اعتاده في بلده من الشواغل عن العبادة، أو أن يكون سببًا في نشاطه في الطاعة إذا رأى كثرة الناس وإقبالهم على الطاعات ما بين طائف وتالٍ وراكع وساجد؛ بحيث إنه لو كان في بلده لغلبه الكسل ولم ينشط على ما ينشط عليه هناك، فهذا لعل الأصلح له أن يكون اعتماره ومكثه ما يمكث في العشر الأواخر، والله تعالى أعلم.

ومما يدخل هنا: أن بعض الناس تراه مُصِرًّا على أن يؤدي عمرته ليلة سبع وعشرين، أو على الأقل أن يطوف تلك الليلة مهما كان الزحام، وكأن العبادة أمر يُؤَدَّى فحسب؛ بل ينبغي أن يحرص المسلم من العبادات على ما هو أحب إلى الله وأرضاها له سبحانه، فالعمل المفضول قد يصبح فاضلًا لأسباب واعتبارات؛ منها: أن العبد حقق تعبده لله بذلك العمل أكثر من غيره من الأعمال.

ولنذكر أن الشيطان يسعى في إيقاع العبد في مصايده، وأول غاياته ـ كما ذكر ابن القيم[١] ـ: أن يُوقِعه في الكفر والشرك.

٢ ـ فإن لم يستطع ذلك نقله من السنة إلى البدعة.

٣ ـ فإن لم يستطع ذلك سعى في إيقاعه في الكبائر.

٤ ـ وإلا ففي الصغائر.

٥ ـ فإن لم يستطع ذلك كله وكان من الأتقياء شغله بالمباحات عن المستحبات.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٩٩ ـ ٨٠١)، ط: عالم الفوائد.

ثم قال ابن القيم رحمه الله باختصار: «فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظًا لوقته شحيحًا به نقله إلى **المرتبة السادسة**: وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه؛ ليفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول، ويُحَسِّنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقَلَّ من يتنبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًّا ومحركًا إلى نوع من الطاعة لا يكاد يقول: إن هذا الداعي من الشيطان. وهذا لا يُتوصل إلى معرفته إلا بنور قوي من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله ولرسوله ﷺ ولكتابه ولعباده المؤمنين، خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ»، انتهى كلامه رحمه الله[١].

❖ **المسألة الثانية: في قوله ﷺ: «إيمانًا واحتسابًا»:**

قوله ﷺ: **«من صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه»**[٢]، **«من قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه»**[٣]، **«من قامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه»**[٤].

انظر كيف تكرر قوله ﷺ في الجمل الثلاث: **«إيمانًا واحتسابًا»**، وجَعَله قيدًا لحصول ذلك الثواب العظيم - الذي هو مغفرة ما تقدم من ذنبه -.

ومعنى قوله: **«إيمانًا واحتسابًا»**[٥]: قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: ولنتفطن أن العبد إذا أدى العبادة إيمانًا واحتسابًا كانت سببًا

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٨٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٠١) واللفظ له، ومسلم (٧٦٠).
(٥) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ١١٥): «والمراد بالإيمان: الاعتقادُ بحق فَرْضِيَّة صومه، وبالاحتساب: طلبُ الثواب من الله تعالى».

عظيمًا في زيادة إيمانه؛ فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وإذا زاد إيمانه ازداد طاعةً، وهكذا يتلازم الأمران، ويترقى في مدارج الكمال، ولهذا ترى من صام رمضان أو قامه إيمانًا واحتسابًا كلما تقدم الشهر ازداد نشاطًا وطاعة، حتى إذا قربت نهاية الشهر وحضرت المواسم الثمينة وإذا هو على أنشط ما يكون من العمل.

أما من قصَّر في استصحاب الإيمان والاحتساب في صيامه رمضان وقيامه، فإنه يبدأ أول الشهر بحماس، ثم يَقِل نشاطه، ويتناقص حماسه كلما تقدم الشهر.

❖ **المسألة الثالثة: نداء لأئمة المساجد ودعاة الخير:**

حيث إن هذا الشهر العظيم تُصَفَّدُ فيه مَرَدَةُ الشياطين فلا يَخْلُصُون فيه إلى ما كانوا يَخْلُصُون في غيره؛ فَضْلًا من الله ومِنَّةً على عباده، ولذا فترى الناس أحرص على الخير وأبعد عن الشر منهم فيما سواه؛ من أجل هذا: حَرِيٌّ بالداعين إلى الله أن يستفيدوا من هذا الظرف ويغتنموا هذه الفرصة في تعليم الناس ما جهلوا، وتذكيرهم ما نسوا، وأشكال ذلك متعددة:

فمنها: اختيار الدروس المناسبة لقراءتها على الجماعة في المساجد في الأوقات المناسبة كالوقت بعد صلاة العصر، وقبل صلاة العشاء، أو غيرها مما يناسب ومما قد يختلف من ناس إلى ناس.

ومنها: مساعدة إمام المسجد في تلك الدروس المشار إليها، أو تحملها عنه، فبعض الأئمة قد لا يتوفر لديه الوقت لاختيار ما يناسب الناس، وبعضهم قد يشق عليه الجمع بين القراءة في الصلاة والتحديث على الجماعة. . .، إلى غير ذلك من الأعذار، فليبادر طلبة العلم إلى اغتنام هذه الفرص، وليعلموا أن عليهم واجبات فليؤدوها، وأمانات فليقوموا بها.

ومنها: إفادة الأهل والأقارب، وفي الحديث عنه ﷺ قال: «خيرُكم

خيرُكم لأهلِه»[١]، وإنه لمن الغفلة أن يهتم المرء بالناس بإرشادهم ودعوتهم، وينسى أقرب الناس إليه وأحقهم ببره، وأعجب من هذا: من يكون اهتمامه بغيره على حساب نفسه.

❖ المسألة الرابعة: تقديم الفرض على النفل:

في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «**وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه**»[٢]، ويدخل في هذه المسألة: الحرص على فريضة العشاء أكثر من صلاة التراويح؛ في تبكيره، وطمأنينته فيها، وتدبره القراءة فيها، وغير ذلك، دون تقصير أو نقص من شأن صلاة التراويح.

كما يدخل في هذه المسألة: تدبر الفاتحة ـ في الفرض والنفل ـ والاهتمام بها أكثر مما سواها؛ إذ هي ركن وما سواها من القراءة مستحب.

❖ المسألة الخامسة: في الوتر والقنوت:

عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»[٣]، وبعض الأئمة يواصل قراءته في الركعتين اللتين قبل الوتر بما كان يقرأ به أول صلاته، فأحيانًا لا يشعر بعض المصلين إلا وهو في الوتر.

أي أن المصلي دخل في صلاته بغير نية الوتر، والنافلة المعَيَّنَة لابد لها من نية تُعَيِّنُها؛ بخلاف التنفل المطلق فيكفي فيه مجرد نية الصلاة.

فلعل الأولى هنا ـ بُعْدًا عن التلبيس على المصلي في صلاته ـ: أن يقرأ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى (١٧٢٩).

ولو بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، في الركعة الأخيرة قبل الوتر حتى يعلم المأموم أن تلك التي تليها هي الوتر.

ومثل هذا: أن بعض الأئمة يوتر أحيانًا بثلاث بسلام واحد، وعادته أن يوتر بواحدة، فيدخل المصلي في صلاته هذه على أنها شفع، ثم لا يدري إلا والإمام قد صلاها وترًا بسلام واحد.

فهنا لعل الأولى أن يُشعر الإمام المأمومين أنه سيوتر بثلاث، والله أعلم.

أما فيما يتعلق بالقنوت في الوتر فهنا تنبيهات:

١ ـ بعض الأئمة يطيل في الدعاء طولًا قد يشق على المصلين أو على بعضهم، ومن العجب أنك قد ترى من الأئمة من يسرع في قراءته ويهذها هذًّا، فإذا ما دعا تأنى وكرر الدعاء وأطال فيه.

فَلَأَنْ يعتدل في الدعاء وينصرف المصلي راغبًا في المزيد من الدعاء خيرٌ من أن يؤدي ببعض المصلين إلى شيء من السأم والملل؛ إلا أن يتحرى مناسبة، كليلة يرجو أن تكون هي ليلة القدر، أو ساعة رقَّت فيها القلوب، ونحو ذلك، والله أعلم.

٢ ـ يحسن بالداعي أن يدعو بالمأثور، فهذا:

أ ـ أقرب إلى السنة وأقرب إلى الاتباع.

ب ـ أجمع للخير وأدفع للشر، فإن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الدعاء.

ج ـ أسلم من أن يزل لسانه إلى معنى لم يكن يقصده، أو أن يدعو بما يظنه خيرًا وهو ليس كذلك.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنتَ تدعو بشيءٍ أو تسألُه إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللهمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فاجعله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحانَ اللهِ! لا تُطيقُه ـ أو: لا تستطيعُه ـ**،

أفلا قلتَ: اللهمَّ آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنَا عذابَ النارِ»، قال: فدعا الله له فشفاه[(١)].

د ـ أن الأدعية المأثورة أكثر تحقيقًا للعبودية مما سواها، حتى ولو كان الناس يتأثرون بتلك الأدعية المُنْشَأَةِ أكثر من تأثرهم بالأدعية الواردة، وعن عبد الله بن مغفل أنه سمع ابنه يقول: اللهمَّ إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني سل الله الجنة وعُذْ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يكونُ قومٌ يعتدونَ في الدعاءِ والطُّهُورِ»**[(٢)].

❖ **المسألة السادسة: في اغتنام ساعات ثمينة يكثر التفريط فيها:**

هناك ثلاث ساعات ثمينة يكثر التفريط فيها: وهي أول ساعة من النهار ـ بعد صلاة الفجر ـ، وآخر ساعة من النهار، ووقت السحر.

أما أول ساعة من النهار فتفوت غالبًا بالنوم، وأما آخر ساعة من النهار فبالانشغال بإعداد الإفطار والتهيؤ له، وساعة السحر تفوت أحيانًا بطول الانشغال بالسحور.

هذه أوقات فاضلة، قال ابن رجب رحمه الله في «المحجة في سير الدلجة» في معنى قول النبي ﷺ: **«استعينوا بالغدوةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ من الدُّلْجَةِ»**[(٣)]:

«يعني أن هذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات، وهي آخر الليل وأول النهار وآخره، وقد ذكر الله هذه الأوقات في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٧٩٦)، وأبو داود (٩٦)، وابن ماجه (٣٨٦٤)، وأورده ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣/ ٤٢٩) عن الإمام أحمد وأبي داود وابن ماجه، ثم قال بعد أن ساق أسانيدهم: «وهو إسناد حسن لا بأس به». «المؤلف»

(٣) أخرجه البخاري (٣٩).

ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩ ـ ٤٠].

وذكر الله تعالى الذكر في طرفي النهار في مواضع كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال تعالى في ذكر زكريا عليه السلام: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان ـ وهما أول النهار وآخره ـ يجتمع في كلٍّ من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع، فأما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر، وهما أفضل الصلوات الخمس، وهما البَرْدَان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة، وأما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وقد وردت في فضله نصوص كثيرة، وكذلك وردت النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء، وفي فضل من ذكر الله حين يصبح وحين يمسي.

وكان السلف لآخر النهار أشد تعظيمًا من أوله، وأيضًا فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله؛ لما يرجى في آخره من ساعة الإجابة، ويوم عرفة آخره أفضل من أوله لأنه وقت الوقوف، وكذلك آخر الليل أفضل من أوله، كذا قال السلف، واستدلوا بحديث النزول الإلهي»، انتهى(١).

(١) المحجة في سير الدلجة ص (٥٩ ـ ٦٤) باختصار، ط: دار البشائر الإسلامية.

القارئ الحسن الصوت

إن الصوت الحسن مما يعين على التدبر، وقد قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ: **«لو رأيتَني وأنا أستمعُ لقراءتِكَ البارحةَ، لقد أُوتِيتَ مِزمارًا من مزاميرِ آلِ داودَ»**(١).

وقد أورد ابن كثير ﷺ في فضائل القرآن عن ابن ماجه بسندٍ قال عنه ابن كثير إنه جيد، عن عائشة ﷺ قالت: أبطأت على رسول الله ذات ليلة بعد العشاء ثم جئت، فقال: «أينَ كنتِ؟» قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي فقال: **«هذا سالمٌ مولى أبي حذيفةَ، الحمدُ للهِ الذي جعلَ في أمتي مثلَ هذا»**(٢).

وقال ابن كثير أيضًا: «قال أبو عُبيد ـ وساق إسناده ـ عن أبي سلمة قال: كان عمر ﷺ إذا رأى أبا موسى ﷺ قال: «ذَكِّرْنا ربَّنا يا أبا موسى»، فيقرأ عنده»(٣).

لكن هنا أمور يُنتبه لها؛ أحدها:

ألا يكون المقصد الصوتَ ذاته؛ بل يجب أن يكون حُسن الصوت معينًا ومساعدًا على التدبر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) واللفظ له.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٣)، ط دار طيبة.

(٣) المرجع السابق.

ولعل مما تستطيع أن تميز به بين كون استلذاذك بصوت القارئ أو هو بما يقرؤه من كلام الله: ألا يرتبط الإقبال والتدبر بحسن الصوت، بحيث إذا لم يحصل لم يكن إقبال ولا تدبر لما يتلى.

والواجب: استماع القرآن وتدبره؛ لكنَّ حُسن الصوت يزيد من ذلك التدبر ويساعد عليه.

وهناك أمر آخر مهم: وهو أنه كما يُحْرَص على حسن الصوت فكذلك فليحرص على من يرجى فيه التقوى والصلاح أكثر من غيره، ومَن هو أبعد عن التكلف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍّ حَسَنِ الصوتِ يتغنى بالقرآنِ يجهرُ به**»[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: «معناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خَلقهم، وتمامُ الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك...، والأَذَن: الاستماع»، انتهى كلامه رحمه الله[(٢)].

ومما يجدر التنبيه عليه هنا: ما يقع من بعض الناس من رفع أصواتهم بالبكاء والنحيب، فهذا خلاف المأثور عن النبي ﷺ وعن سلف الأمة.

فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وفي صدره أزيز كأزيز المِرْجَل من البكاء»[(٣)].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن محمد بن واسع قال: «إنْ كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢) واللفظ له.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٥٧٠) واللفظ له، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٣٤٧)، ط: دار السعادة.

وروي عنه أيضًا قال: «لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بَلَّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جَنْبِه»[(١)].

وروى أبو نعيم أيضًا عن عاصم بن أبي النجود قال: «كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جُعِلَتْ له الدنيا على أن يفعله وأَحَدٌ يراه ما فعله»[(٢)].

وذكر ابن كثير في تفسير قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]: «عن عبد الله بن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: إنْ كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فَقُهَ الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْرُ[(٣)] وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إنْ كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾»[(٤)].

وَلْيُعلم أن حقيقة الخشوع: الخضوع والتذلل، وليس من لازمه البكاء.

ثم إن الخشوع المحمود الممدوح صاحبه هو ما نتج من تأثر القلب بمعنى ما يرى أو يسمع تأثرًا يدفعه إلى الإنابة إلى الله ومحبته وخوفه ورجائه، أما الرقة أو الخشوع الناشئ من التأثر بشكلٍ ما يَرى أو ما يَسمع من حسن صوت أو صورة أو التأثر بحالة خوف أو حزن أو فرح والوقوف عند هذا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق (٤/ ١٠١).

(٣) الزور: الضيف. «المؤلف»

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٢٨).

الحد فشتان ما بينه وبين الأول، فإن تضمن شيئًا مما في الأول من محبة الله وخوفه ورجائه كان محمودًا بحسب ذلك، وإن لم يتضمن شيئًا من ذلك فهو أمر طبيعي لا يحمد عليه ولا يذم.

الأمر الثاني:

عدم الإكثار والمبالغة في التنقل بين المساجد بحجة البحث عن القارئ الأنسب، فهذا الإكثار والمبالغة له أضراره: من تضييع الأوقات، والانصراف عن تدبر ما يسمع؛ بتذوق الأصوات، والمقارنة بين هذا وذاك.

فإن قيل: أيهما أفضل: من يصلي في مسجده القريب، أو من يبحث ويتحرى ولو بَعُد المسجد؟

قيل - والله أعلم -: في كلٍّ من هاتين الحالتين فوائد، أما فوائد الاقتصار على المسجد القريب فمنها: كسب الوقت، والتبكير إلى الصلاة، والتقدم في الصف، وأبعد عن التعرض للإخلال بالسكينة والوقار في المشي إلى المسجد، إلى غير ذلك من الفوائد.

أما فوائد تحري الصلاة مع إمام بعينه لحسن قراءته فمنها: أن ذلك أدعى لحصول الخشوع وتدبر القراءة.

أما تحديد أي الأمرين أفضل؛ فقد قال النبي ﷺ: **«احرِصْ على ما ينفعُكَ»**(١)، فيحرص كل امرئ على ما يراه أصلح لقلبه وأنفع له في صلاته، على ألا يسبب الحرص على منفعةٍ: تفويتَ ما هو أعلى منها، أو حصولَ مفسدة(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في جزء «مرويات دعاء ختم القرآن»: «الموقظة الرابعة: في النهي عن تتبع المساجد طلبًا لحسن صوت الإمام في القراءة، قال محمد بن بحر - كما في بدائع الفوائد ٤/ ١١: رأيت أبا عبد الله في شهر رمضان وقد جاء فضل بن زياد القطان فصلى بأبي عبد الله التراويح، وكان حسن القراءة فاجتمع المشايخ وبعض =

لكنَّ الحالة المرفوضة: أن يصبح المرء إمَّعَةً ينساق مع آراء الناس ورغباتهم، فإذا رآهم استحسنوا شيئًا استحسنه، وإذا رآهم انصرفوا عن شيء انصرف معهم، دون إعمال فِكر وطلب دليل، لا ينبغي هذا، بل ينبغي أن تفكر بعقلك لا بعقل غيرك، وأن تنظر ما ينفعك أنت.

فإن كان لابد من البحث عن قارئ فلا يَطُلْ هذا البحث؛ بل ابحث قليلًا ثم حدد مسجدًا تستقر عليه وتواظب معه ما أمكنك.

وإن طال بحثك ولم تجد ما يناسبك، ومن تخشع معه: فَاتَّهِمْ نفسك وأصلح قلبك، فمنه يحصل التلقي، والقرآن هو القرآن لم يتغير، إنما الذي يتغير هو القلب المتلقي له.

= الجيران حتى امتلأ المسجد، فخرج أبو عبد الله فصعد درجة المسجد فنظر إلى الجمع، فقال: ما هذا؟ تَدَعون مساجدكم وتجيئون إلى غيرها! فصلى بهم ليالي ثم صرفه كراهيةً لما فيه، يعني من إخلاء المساجد، وعلى جار المسجد أن يصلي في مسجده ا.ه وفي مبحث سد الذرائع من إعلام الموقعين (٢/ ١٦٠) قال ابن القيم رحمه الله: الوجه الخمسون: أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره، كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «لِيُصَلِّ أحدكم في المسجد الذي يليه ولا يتخطاه إلى غيره»، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه وإيحاش صدر الإمام. وإن كان الإمام لا يتم الصلاة أو يرمى ببدعة أو يعلن بفجور فلا باس بتخطيه إلى غيره ا.ه وعنه في الهدية العلائية ص٢٨٤ للبرهاني. والحديث المذكور رواه الطبراني في الأوسط كما في الجامع الصغير، وكنز العمال (٧/ ٦٥٩) ومجمع الزوائد للهيثمي، وقال: رجاله موثقون إلا شيخ الطبراني: محمد بن أحمد بن نصر المروزي، لم أر من ترجمه ا.ه»، وعزاه في صحيح الجامع إلى الطبراني في الكبير، وتمام والعقيلي.

وما نبهت على هذا إلا لأنه أخذ يمثل في زماننا هذا ظاهرة لها صفة التكاثر، والفضائل لا تدرك بارتكاب النواهي؛ مع أنه (فتنة للمتبوع)، والله تعالى أعلم»، انتهى ص(٨١، ٨٠). «المؤلف»

الأمر الثالث:

ألا يتسبب الحرص على قارئ معين في تفويت ما هو أهم، مثل أن يكون سببًا في الإخلال بالمشي إلى الصلاة بسَكِينة ووقار، أو يترتب عليه فوات شيء من الصلاة، كتكبيرة الإحرام، أو الركعة الأولى، ونحو ذلك.

الأمر الرابع:

الاحتراز من المفاضلة بين القراء مفاضلة تتضمن تنقص أحدهم أو اغتيابه.

تنبيهات للمرأة

التنبيه الأول:

بعض النساء يَكُنَّ على حالة حسنة في رمضان من الاجتهاد في الطاعة، فإذا ما أتتها عادتها فترت وكسلت وتركت ما كانت عليه من نشاط.

ولا شك أن هذا حرمان لنفسها من الخير، فأبواب الخير - ولله الحمد - كثيرة، فإذا لم تستطع الصلاة والصيام فأمامها أبواب من الطاعات.

أمامها: الدعاء، قال رسول الله ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادةُ**»(١)، وقال: «**إن ربَّكم حَيِيٌّ كريمٌ يستحِي من عبدِه إذا رفعَ يديه إليه أن يَرُدَّهُما صِفْرًا خائبتينِ**»(٢)، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرضِ مسلمٌ يدعو اللهَ تعالى بدعوةٍ إلا آتاهُ اللهُ إياها، أو صَرَفَ عنه من السوءِ مثلَها، ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ**»، فقال رجل من القوم: إذًا نكثر(٣)، قال: «**اللهُ أكثرُ**»(٤).

وأمامها: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، ففي الحديث عنه ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وحسّنه، وابن ماجه (٣٨٦٥).

(٣) أي: من الدعاء. «المؤلف»

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وانظر: صحيح الجامع، الحديث رقم: (٥٦٣٧). «المؤلف»

«ما عَمِلَ آدميٌّ عملًا أنجى له من عذابِ اللهِ من ذِكرِ اللهِ»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أقولَ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ»(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «الطَّهورُ شطرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ أو تملأُ ما بين السماواتِ والأرضِ» الحديث(٣)، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «أيعجزُ أحدُكم أن يكسبَ كلَّ يومٍ ألفَ حسنةٍ؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يُسَبِّحُ مئةَ تسبيحةٍ فيُكتبُ له ألفُ حسنةٍ أو يُحَطُّ عنه ألفُ خطيئةٍ»(٤).

وانظروا ـ أيضًا ـ هذا الفضل العظيم: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، في يومٍ مئةَ مرةٍ، كانت له عدلَ عشرِ رقابٍ، وكُتبتْ له مئةُ حسنةٍ، ومُحيتْ عنه مئةُ سيئةٍ، وكانتْ له حِرزًا من الشيطانِ يومَه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ به؛ إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك»(٥)، وقال: «من قال: سبحانَ اللهِ وبحمدِه في يومٍ مئةَ مرةٍ: حُطَّتْ خطاياهُ، وإن كانت مثلَ زبدِ البحرِ»(٦).

وكذلك: الصلاة على النبي ﷺ فقد قال ﷺ: «من صلى عليَّ واحدةً صلى اللهُ عليه بها عشرًا»(٧)، فهل يريد المسلم شيئًا فوق هذا الفضل؟ إذا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٠٧٩)، وقال في صحيح الجامع: «صحيح»، الحديث رقم: (٥٦٤٤). «المؤلف»
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٨).
(٥) أخرجه (٦٤٠٣) واللفظ له، ومسلم (٢٦٩١).
(٦) أخرجه (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).
(٧) أخرجه مسلم (٤٠٨).

صليت على النبي ﷺ صلاة واحدة أثنى الله عليك بها عند الملائكة عشر مرات، اللهمَّ لك الحمد، ولا تحرمنا اللهمَّ خير ما عندك بشر ما عندنا.

وأيضًا: السلام عليه ﷺ: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وكذلك: الاستغفار، قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناسُ! توبوا إلى اللهِ، فإني أتوبُ في اليومِ إليه مئةَ مرةٍ»**(١)، وروي: **«طوبى لمن وجدَ في صحيفتِه استغفارًا كثيرًا»**(٢).

وكذلك: الصدقة، قال رسول الله ﷺ: **«من تصدقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسبٍ طَيِّبٍ ـ ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيبَ ـ فإن اللهَ يقبلُها بيمينِه، ثم يُرَبِّيها لصاحبِها كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ**(٣)**، حتى تكونَ مثلَ الجبلِ»**(٤)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«يا معشرَ النساءِ تَصَدَّقْنَ وأَكْثِرْنَ الاستغفارَ؛ فإني رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ»**، قالت امرأة منهن: ما لنا أكثرُ أهل النار؟ قال: **«تُكْثِرْنَ اللعنَ، وتَكْفُرْنَ العشيرَ»** الحديث(٥).

فالحمد لله على ما يسر من الطاعات وما أجزل من الأجر والثواب.

وأيضًا فمن أبواب الخير الواسعة: قيامها على خدمة الصائمين في بيتها، كما في الحديث عنه ﷺ: **«ذهبَ المفطرونَ اليومَ بالأجرِ»**(٦).

كل هذا غير ما تحتسبه من أن يُكتب لها أجرُ ما تَمَنَّتْ عمله من الطاعات، فعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: **«إن بالمدينةِ رجالًا ما سِرتُم مسيرًا ولا قطعتُم واديًا إلا كانوا معكم، حبسَهم المرضُ»**، وفي رواية:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨).

(٣) **الفَلُو هو**: الـمُهْر. «المؤلف» وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٩٩).

(٤) أخرجه (١٤١٠) و(٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٥) أخرجه (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

(٦) أخرجه البخاري (٢٨٩٠)، ومسلم (١١١٩).

«إلا شَرَكُوكُم في الأجرِ»، رواه مسلم[١]، ورواه البخاري عن أنس ﷺ قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ، فقال: **«إن أقوامًا خلفنا بالمدينةِ ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا، حبسَهم العذرُ»**[٢].

التنبيه الآخر:

للمرأة أن تصلي في المسجد، وصلاتها في بيتها خير لها؛ كما قال النبي ﷺ.

وقد عقد الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله ـ المتوفى عام (٧٠٥) ـ في كتابه: «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» فصلًا بعنوان: «ثواب صلاة المرأة في بيتها»، أنقله مختصرًا.

قال رحمه الله: «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تمنعوا نساءَكم المساجدَ، وبيوتُهنَّ خيرٌ لهنَّ»**، رواه أبو داود. وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«المرأةُ عورةٌ، وإنها إذا خرجتْ من بيتِها اسْتَشْرَفَها[٣] الشيطانُ، وإنها لا تكونُ أقربَ إلى اللهِ منها في قَعْرِ بيتِها»**، رواه الطبراني بإسناد جيد. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في حجرتِها[٤]، وصلاتُها في مِخْدَعِها[٥] أفضلُ من صلاتِها في بيتِها»**، رواه أبو داود وابن خزيمة. والمراد: أن المرأة كلما استترت وبَعُد

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٩) و(٤٤٢٣).

(٣) أي: تَطَلَّع إليها؛ ليفتنها ويفتن بها. «المؤلف»

(٤) هي ما يحتجر في المنزل خارج البيت وقرب الباب، ولعله يشبه ما يسمى عند الناس اليوم (بالملحق). «المؤلف»

(٥) قال الحافظ الدمياطي: «هو الخزانة تكون داخل البيت» ا.ه قلت: الأشبه بذلك غرفتها الخاصة بها. «المؤلف»

منظرها عن أعين الناس كان أفضل لصلاتها، وقد صرح ابن خزيمة وجماعة من العلماء بأن صلاتها في دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وإن كان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس، والإطلاقات في الأحاديث المتقدمة تدل على ذلك، وقد صرح النبي ﷺ بذلك في حديث أم حميد الآتي.

فالرجل كلما بعد ممشاه وكثرت خطاه زاد أجره وعظمت حسناته، والمرأة كلما بعد ممشاها قَلَّ أجرها ونقصت حسناتها. وعن أم حميد ـ امرأة أبي حميد الساعدي، ﵄ ـ أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: **«قد علمتُ أنكِ تُحِبينَ الصلاةَ معي، وصلاتُك في بيتِك خيرٌ من صلاتِك في حجرتِك، وصلاتُك في حجرتِك خيرٌ من صلاتِك في دارِك، وصلاتُك في دارِك خيرٌ من صلاتِك في مسجدِ قومِك، وصلاتُك في مسجدِ قومِك خيرٌ من صلاتِك في مسجدي»**، قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمِه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله ﷻ. رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان.

قلت ـ أي الدمياطي ـ: كان النساء في عهد رسول الله ﷺ إذا خرجن من بيوتهن إلى الصلاة يخرجن متبذلات متلفعات بالأكسية لا يُعرفن من الغلس، وكان إذا سلم النبي ﷺ يقال للرجال: مكانكم حتى ينصرف النساء، ومع هذا قال رسول الله ﷺ: إن صلاتهن في بيوتهن خير لهن. فما ظنك بمن تخرج متزينة متبخرة متبهرجة لابسة أحسن ثيابها!؟ وقد قالت عائشة ﵂: «لو علم النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن الخروج إلى المسجد»، هذا قولها في حق الصحابيات ونساء الصدر الأول، فما ظنك لو رأت نساء زماننا هذا؟!» انتهى[١].

هذا كلامه ﵀ وهو في القرن السابع!

---

(١) المتجر الرابح ص (٨٥ ـ ٨٨).

وهنا مسألتان:

المسألة الأولى: ما ذكره الحافظ الدمياطي من تفضيل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد الحرام وغيره يستوي فيه صلاة الفرض والنفل، ومن كانت مقيمة في مكة، ومن أتت بقصد الحج والعمرة أيامًا محددة، والله أعلم.

المسألة الثانية: أن المرأة إذا خشيت أن تكسل إذا صلت في بيتها وكانت صلاتها في المسجد أنشط لها وأمنت الفتنة، أو كان هناك خير ـ كسماع علم أو وعظ ونحو ذلك ـ لا تناله إلا بذهابها إلى المسجد وأمنت الفتنة: فالصلاة في المسجد أفضل، والله أعلم.

تنبيهات حول العمرة

في الحديث عنه ﷺ: «عمرةٌ في رمضانَ تعدلُ حجةً»[١]، فليُنتبه لأمور؛ منها:

١ - أن يحرص المعتمر على حفظ وقته وكسبه وإمضائه في المسجد الحرام - ما أمكن -، فإن كان هناك خروج منه لتدارس علم - مثلًا - فليقتصر هذا الخروج وهذه الدروس على قدر الحاجة؛ إذ المدارسة ممكنة في أي وقت، والمكث في المسجد الحرام لا يتيسر كل الوقت.

٢ - ليحفظ الوقت كله، وخاصة ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، وما بين القيام الأول والقيام الآخر، وليحذر من تضييعه بالتحدث، وما لا ينفع، أو الانشغال بالتجول في الأسواق، ونحوه مما لا حاجة إليه.

٣ - كف اللسان عن اللغو والغيبة وعن الانشغال بما لا يَعني من القول والفعل، كالمفاضلة بين الأئمة في قراءاتهم، ونحو ذلك.

٤ - حفظ ليالي العشر وعدم تشتيتها بالأسفار؛ إذ بعض المعتمرين قد يفوته من العشر ليلتان في السفر، إحداهما في المسير والأخرى في أعقاب هذا المسير حيث يكون مجهدًا من آثار سفره، ثم تفوته ليلتان أُخريان عند رجوعه من سفره.

٥ - الموازنة بين أداء العمرة ليالي العشر وبين أدائها أول الشهر[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٢) سبق ذكر ذلك في المسائل والتنبيهات؛ المسألة الأولى.

٦ ـ كما سبق التنبيه على عمارة المقيم في المسجد الحرام لليالي العشر بما يكون أنفع له وأكثر أجرًا وأحب إلى الله وأرضى له سبحانه، وعدم الإصرار على لون معين من الطاعات.

٧ ـ لِيَتحاشَ المعتمر في تردده إلى المسجد الحرام المرور بالأسواق التي يكثر فيها النساء، وفي الحديث عن النبي ﷺ: **«أَحَبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأَبْغَضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها»**[1]، ومعروف حال الأسواق في رمضان خاصة، وللأسف.

(١) أخرجه مسلم (٦٧١).

أعمال صالحة تتأكد في رمضان

قبل الشروع في ذكر بعض هذه الأعمال الصالحة التي تتأكد في رمضان تُلاحَظ أمور:

أحدها: الإدراك الحقيقي لقيمة هذا الموسم وفضله وأنه إن مضى فلا تضمن أنك ستدرك غيره، وأنه فرصة قصيرة، وصدق الله حيث قال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فما أسرع ما بين أن يقول الناس: هَلَّ رمضان، ثم أن يقولوا: انتهى رمضان، ولا يكفي الشعور المبهم المجمل بأن رمضان موسم فاضل فحسب.

الثاني: أن الأعمال تتفاضل، فمنها الفاضل، ومنها المفضول، ومنها المحبوب إلى الله، ومنها الأكثر حبًّا إليه سبحانه، فليحرص المسلم على أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأعظمها أجرًا.

❖ ومن الأعمال المتأكدة في شهر رمضان:

أولًا: تلاوة القرآن:

شهر رمضان شهر القرآن، فمن أفضل ما تعمر به الأوقات الاهتمام بالقرآن؛ حفظًا وتلاوةً وتدبرًا وعملًا.

وهكذا كان سلف الأمة، وقد ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «لطائف المعارف» نبذة مفيدة في خصوصية القرآن في رمضان، وعن حال السلف مع القرآن في رمضان، نذكر بعضًا منها:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجودُ ما يكون: في رمضان حين يلقاه جبريل فيُدَارِسُه

القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيُدَارِسُه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسَلَة». . . ، ودل الحديث أيضًا: على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة ﵂ عن أبيها ﷺ أنه أخبرها أن جبريل ﵇ كان يعارضه القرآن(١) كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين.

وفي حديث ابن عباس السابق ـ أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلًا ـ دلالةٌ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلًا، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥](٢).

ثم تحدث ﵀ عن أحوال السلف في التلاوة فقال:

«وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع؛ منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر؛ منهم أبو رجاء العطاردي.

وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها.

وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان. وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل

---

(١) معنى معارضة القرآن: أن يعرض كل من القارئين قراءته على الآخر، فيقرأ أحدهما والآخر يستمع، ثم يقرأ الآخر كذلك. «المؤلف»

(٢) ينظر: لطائف المعارف ص (٣٥٨ ـ ٣٧١)، ط: دار ابن كثير.

ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة. وعن أبي حنيفة نحوه.

وكان قتادة يَدْرُس القرآن في شهر رمضان.

وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

وقال سفيان: كان زُبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه.

وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان ـ خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر ـ، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها: فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره»[1].

ثانيًا: الصدقة:

للصدقة مزية وخصوصية في رمضان، فينبغي المبادرة إليها والحرص عليها وعدم إهمالها أو التقصيرِ في أبوابها أو النظرِ إليها وكأنها مقصورة على سن معين أو مستوى مالي معين.

---

(١) المرجع السابق ص (٣٧٤ ـ ٣٧٥).

ولها أشكال كثيرة؛ منها: إطعام الطعام، وتفطير الصائمين، وقد كان السلف يحرصون كثيرًا على إطعام الطعام؛ سواء كان إشباع جائع أو تفطير صائم أو إطعام أخ صالح، فلا يشترط في المُطْعَم الفقر.

وكانوا يفضلونه ـ أي: إطعام الطعام ـ ويقدمونه على عبادات كثيرة؛ حتى إنه يروى عن علي ﷺ أنه قال: «لأَنْ أجمع أناسًا من إخواني على صاع من طعام أحبُّ إلي من أنْ أدخل سوقكم هذا فأبتاعَ نَسَمة فأعتقَها»، وروي عن غيره نحوُ هذا[١].

وقد ذكر ابن رجب ﷺ نبذة قيمة في هذا الموضوع في «شرح حديث اختصام الملأ الأعلى»[٢].

وتلك العبادة ـ إطعام الطعام ـ ينشأ عنها عبادات كثيرة: من شكر نعمة الله في المال والطعام، ومن التودد والتحبب إلى إخوانك الذين أطعمتهم، فيكون هذا سببًا في دخول الجنة، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**لا تدخلونَ الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا**»[٣]، كما أنها سبب للاجتماع بالصالحين ومجالستهم، وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «**وجَبَتْ محبتي للمتحابينَ فيَّ، والمتجالسينَ فيَّ**» الحديثَ[٤]، كما ينشأ عنها معونتهم على الطاعات التي تَقَوَّوا عليها بطعامك، وغيرها من أبواب الخير.

---

(١) في الأدب المفرد للبخاري برقم: (٥٦٦): «عن علي ﷺ قال: «لَأنْ أجمع نفرًا من إخواني على صاع أو صاعين من طعام أحبُّ إليَّ من أن أخرج إلى سوقكم فأعتقَ رقبة»».
وفي المتجر الرابح للحافظ الدمياطي ص (٣٠٢): «عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «لَأنْ أجمع نفرًا من إخواني على صاع أو صاعين من طعام أحبُّ إلي من أن أدخل سوقكم فأشتريَ رقبة فأعتقَها». وعن الحسن بن علي ﷺ قال: «لَأنْ أطعم أخًا لي في الله لقمةً أحبُّ إلي من أن أتصدقَ على مسكين بدرهم»».

(٢) ينظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص (٧٣ ـ ٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٣٥٠٧/ ٧٦٣)، قال النووي ﷺ: «حديث صحيح، رواه =

كما ذكر ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» بعض فوائد الصدقة في رمضان، وذلك في تعليقه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي سبق ذكره ـ حديث مدارسة جبريل للنبي ﷺ القرآن في رمضان وتَضَاعُف جوده ﷺ في رمضان ـ، أذكرها بشيء من الاختصار والتصرف.

قال رحمه الله: وفي تَضَاعُف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة؛ منها:

١ ـ شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه.

٢ ـ إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن **«من جَهَّزَ غازيًا في سبيلِ اللهِ فقد غزا، ومن خَلَفَهُ في أهلِه بخيرٍ فقد غزا»**، وفي حديث زيد بن خالد عن النبي ﷺ: **«من فَطَّرَ صائمًا فله مثلُ أجرِه، من غيرِ أن ينقصَ من أجرِ الصائمِ شيءٌ»**.

٣ ـ ومن فوائد تضاعف جود النبي ﷺ في رمضان أنه شهر يجود الله على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار؛ لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: **«إنما يرحمُ اللهُ من عبادِه الرحماءَ»**، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاءُ من جنس العمل.

٤ ـ أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنةِ غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهرِها، أعدَّها اللهُ تعالى لمن أطعمَ الطعامَ، وأَلَانَ الكلامَ، وتابعَ الصيامَ، وصلى بالليلِ والناسُ نيامٌ»**.

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن: الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام، فإنه يُنْهَى فيه الصائم عن اللغو والرفث.

= مالك في الموطأ بإسناد صحيح»، ينظر: رياض الصالحين، باب فضل الحب في الله. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٤٣٣١). «المؤلف»

٥ ـ أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضُمَّ إلى ذلك قيام الليل[١].

٦ ـ أن الصيام لابد أن يقع فيه خلل أو نقص، والصدقة تجبر ذلك النقص والخلل. انتهى من «لطائف المعارف»[٢] ملخصًا.

ثالثًا: جلوس الإنسان في مُصلَّاه حتى تطلع الشمس:

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مُصلَّاه حتى تطلع الشمس[٣]. وروى الترمذي عن أنس ﷺ مرفوعًا: «**من صلى الغَداةَ[٤] في جماعةٍ ثم قعدَ يَذْكُرُ اللهَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ، ثم صلى ركعتينِ، كانت له كأجرِ حجةٍ وعمرةٍ تامةٍ تامةٍ تامةٍ**»[٥].

هذا الفضل على مدى العام، فما الظن برمضان؟! لا شك أن فضل هذا يتأكد.

لكن المكث في المسجد تلك الساعة قد يثقل على النفس حين يرى المرء المصلين ينصرفون واحدًا تلو الآخر؛ لكن ينبغي للحازم أن ينظر ـ في أمور الدين ـ إلى من هو فوقه ومن هو أنشط منه؛ لا العكس.

وثمة سبب آخر قد يحول دون الاستفادة من تلك الساعة الثمينة: وهو مواصلة السهر، أو عدم النوم في الليل فترة كافية.

---

(١) أورد الحافظ ابن رجب رحمه الله عدة أحاديث في ذلك. «المؤلف»

(٢) ينظر: ص (٣٦٥ ـ ٣٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧٠).

(٤) أي الفجر. «المؤلف»

(٥) أخرجه الترمذي (٥٨٦)، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «لا بأس به، له طرق جيدة»، وصححه العلامة الألباني رحمه الله. انظر إن شئت: «الترغيب والترهيب» تخريج الألباني رحمه الله (١/ ١٦٤ و١٦٥)، و«الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» لمصطفى بن العدوي ص(٨٦، ٨٧). «المؤلف»

وهذا لا ينبغي؛ لأنه ولو كان انشغالًا في طاعة فإنه يُفوِّت ـ غالبًا ـ ما هو أفضل منه؛ لما يلي:

أ ـ أنه خلاف سنة النبي ﷺ المستنبطة من قول عائشة رضي الله عنها «كان ـ أي رسول الله ﷺ ـ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»(١)، فيُفهم منه ـ والله أعلم ـ: أن إحياء الليل مختص بليالي العشر.

ب ـ مما يحرص عليه المسلم التبكير بالنوم، وكراهة السَّمَر بعد العشاء ثابتة في الصحيحين، فعن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها(٢).

قال النووي رحمه الله في «رياض الصالحين»(٣): باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة، والمراد به: الحديث الذي يكون مباحًا في غير هذا الوقت، وفعله وتركه سواء، وأما الحديث مع الضيف ومع طالب حاجة ونحوها فلا كراهة فيه؛ بل هو مستحب، وكذا الحديث لعذر وعارض لا كراهية فيه، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على كل ما ذكرته. ثم ساق بعضًا منها.

وما ذكره رحمه الله لا يعارض ما سبق ذكره من كراهة الحديث بعد العشاء، إذ هو الأصل؛ لكن تبقى تلك الأحوال التي ذكرها ونحوها استثناءات.

فلا ينبغي أن يُجعل الاستثناء هو الأصل، ويُجعل الأصل هو العارض الطارئ، والذي يحدث منا ـ غالبًا ـ أننا نرخص لأنفسنا التمادي في السهر، متوسعين بتلك الأعذار، والسُّنَّة بين الغالي والجافي، فما ينبغي للمسلم أن يترخص الترخص الجافي، ولا يتشدد التشدد الغالي.

والمسلم يحرص على كمال الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ ليكون في القمة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨)، ومسلم (٦٤٧).

(٣) ينظر: ص (٥١١)، ط: دار الفيحاء.

من الطائفة المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «**لا تَزَالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يضرُّهم من خَذَلَهُم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم كذلك**»، رواه مسلم(١).

فلا يَغِبْ عن بَالِنا أنه كما أن الصحابة ﷺ يتفاوتون في درجة الصحبة وفي سَبْقهم ومنازلهم، فكذلك تلك الطائفة المنصورة، فمنهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه، وذلك بحسب تمسكهم بسنة إمامهم ﷺ والدفاع عنها والدعوة إليها.

ج ـ طول السهر بالليل يُفَوِّت كثيرًا من النشاط بالنهار، فيُحرم الساهر من طاعات كثيرة، كالتبكير للصلوات، والاستكثار من النوافل ـ كصلاة الضحى وغيرها ـ، فيفوته الجمع بين تلك العبادات مع عبادة الصيام.

رابعًا: اغتنام آخر ساعة من النهار، وآخر ساعات الليل:

وقد تقدم الحديث عنها، وفيه قول ابن رجب رحمه الله: «كان السلف لآخر النهار أشد تعظيمًا من أوله»(٢).

خامسًا: التبكير إلى الجمعة:

ويوم الجمعة له مزية وفضل وشرف على سائر أيام الأسبوع، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار، قال الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فاقتضت حكمته وعلمه تفضيل بعض البشر على بعض، فأفضلهم الأنبياء، وفَضَّل بعض البقاع على بعض، وفَضَّل بعض الأزمنة على بعض، فرمضان أفضل شهور العام، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

(٢) المحجة في سير الدلجة ص (٦٤).

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره» انتهى(١).

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة في بيان فضل هذا اليوم وذكر خصائصه، فمنها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ يوم طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجمعةِ؛ فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ الساعةُ إلا في يومِ الجمعةِ»**(٢).

وعن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه مرفوعًا: **«خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجمعةِ؛ فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُهْبِطَ، وفيه تِيْبَ عليه، وفيه ماتَ، وفيه تقومُ الساعةُ، وما من دابةٍ إلا وهي مُصِيخَةٌ يومَ الجمعةِ من حينِ تصبحُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ؛ شَفَقًا من الساعةِ؛ إلا الجنَّ والإنسَ، وفيه ساعةٌ لا يصادفُها عبدٌ مسلمٌ وهو يصلي يسألُ اللهَ شيئًا إلا أعطاه إياه»**(٣).

وعن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: **«فيه ساعةٌ لا يوافقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي يسألُ اللهَ شيئًا إلا أعطاه إياه»**، وأشار بيده يقللها(٤).

وقد رجح جمع من أهل العلم أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان سعيد بن جبير إذا صلى العصر لم يكلم أحدًا حتى تغرب الشمس»(٥).

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٦٣) ط: مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٣) أخرجه ابن حبان (٢٧٧٢)، قال في صحيح الجامع: حديث صحيح، رواه الإمام مالك والإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان والحاكم. «المؤلف»

(٤) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

(٥) زاد المعاد: (١/ ٣٨٢) وقد ذكر رحمه الله كلاماً مفيدًا في خصائص يوم الجمعة فليراجعه من شاء: (١/ ٣٦٣ ـ ٤٠٨). «المؤلف»

ومن الأعمال التي يتأكد استحبابها في هذا اليوم: التبكير للجمعة، وقد ورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ، ومنها:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من اغتسلَ يومَ الجمعةِ غُسْلَ الجنابةِ ثم راحَ فكأنما قَرَّبَ بدنةً، ومن راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قَرَّبَ بقرةً، ومن راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قَرَّبَ كبشًا أَقْرَنَ، ومن راحَ في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قَرَّبَ دجاجةً، ومن راحَ في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قَرَّبَ بيضةً، فإذا خرجَ الإمامُ حَضَرَتِ الملائكةُ يستمعونَ الذِّكْرَ»**(١).

٢ - عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من غَسَّلَ يومَ الجمعةِ واغتسلَ، وبكَّرَ وابتكرَ، ومشى ولم يركبْ، ودنا من الإمامِ فاستمعَ ولم يَلْغُ؛ كان له بكلِّ خُطوةٍ عملُ سنةٍ؛ أجرُ صيامِها وقيامِها»**(٢)، وفي رواية: **«وذلك على اللهِ يسيرٌ»**(٣).

٣ - عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تقعدُ الملائكةُ على أبوابِ المساجدِ فيكتبونَ الأولَ والثانيَ، حتى إذا خرجَ الإمامُ رُفِعَتِ الصحفُ»**، رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني(٤). وفي رواية لهما: قال قلت: يا أبا أمامة! ليس لمن جاء بعد خروج الإمام جمعة؟ قال: بلى، ولكن ليس ممن يكتب في الصحف(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) قال الدمياطي في المتجر الرابح: «رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الإسناد» انتهى ص (١٥٥)، وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في شرح المنتقى: «الحديث له أسانيد جيدة». «المؤلف»

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٨١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٤٢)، والطبراني في الكبير (٨١٠٢)، قال في صحيح الجامع: «حسن». «المؤلف»

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٦٨)، والطبراني في الكبير (٨٠٨٥).

٤ ـ عن علقمة قال: خرجت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة من الله ببعيد، إني سمعت رسول الله يقول: «**إن الناسَ يجلسونَ يومَ القيامةِ من اللهِ ﷻ على قَدْرِ رَوَاحِهم إلى الجمعاتِ، الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع**»، وما رابع أربعة ببعيد(١).

قال الشافعي رحمه الله: «من شأن الناس التهجير إلى الجمعة، والصلاة إلى خروج الإمام»(٢).

قال رحمه الله: «ولو بَكَّر إليها بعد الفجر وقبل طلوع الشمس لكان حسنًا»(٣).

قال الحافظ عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله المتوفى عام (٧٠٥): «قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله: (كان يُرى في القرن الأول في السحر وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد، حتى اندرس ذلك)، وقيل: أول بدعة حدثت في الإسلام تركُ البكور إلى الجامع يوم الجمعة» انتهى(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «الثالثة والعشرون ـ من خواص يوم الجمعة ـ: أنه اليوم الذي يستحب أن يُتفرغ فيه للعبادة، وله على سائر الأيام مزية بأنواع من العبادات؛ واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم، سلم له سائر أسبوعه»، انتهى(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٩٤)، قال في المتجر الرابح: «رواه ابن ماجه بإسناد حسن». «المؤلف»

(٢) الأم للشافعي (١/ ١٧٥).

(٣) الاستذكار (٢/ ٦)، زاد المعاد (١/ ٣٨٨).

(٤) المتجر الرابح (١٥٩ ـ ١٦٠).

(٥) زاد المعاد (١/ ٣٨٦) بتصرف يسير.

وقد روى أبو داود عن ابن عمر ﷺ أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة، ويصلي بعدها ركعتين، ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك[(١)].

أيها المسلم! هذا بعض ما ورد في فضل هذا اليوم الشريف وفضل التبكير إلى الجمعة، وهذا هدي السلف الصالح في اغتنام ذلك الفضل وجِدِّهم فيه، ولكن العبد قد يُحرَم فَضْل الله وثوابه بسبب ذنوبه فيتباطأ عن الطاعة أو يستثقلها؛ بل قد يَقلب مواسم الخير والعبادة إلى مواسم عبث ولهو، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ في تفسيرها: «أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه: فاجتهد في العبادة والدعاء، ولا تكن ممن إذا فرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره فتكون من الخاسرين»، انتهى[(٢)].

سادسًا: الاعتكاف:

وهو من الأعمال الصالحة التي تتأكد في رمضان، ومن السنن التي كان النبي ﷺ يواظب عليها في هذا الشهر.

فليحرص المسلم على أن يكون له نصيب من ذلك، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، إذ ما الصعوبة في المكث في المسجد والانشغال بالطاعات؛ من تلاوة وصلاة وذكر ودعاء وغيرها، فإن احتاج للراحة ارتاح، وإذا احتاج للطعام فإن لم يكن له من يأتيه بطعامه خرج ليأكل ثم عاد، فلا صعوبة فيه؛ لكن ما قد يتصوره البعض من أنه شاق جدًّا وعسير فهو بحمد الله غير صحيح، أو مبالغ فيه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٨٠٧)، وأبو داود (١١٢٨)، قال الشوكاني ﷺ: «قال العراقي: إسناد صحيح» ثم قال: «الحاصل أن الصلاة قبل الجمعة مرغب فيها». نيل الاوطار (٣/ ٣٠٣). «المؤلف»

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص (٩٢٩) باختصار، ط: مؤسسة الرسالة.

فخذ أيها الصائم نصيبك من الاعتكاف، لعلك تكتب من المقبولين، ولتكن من المقتدين بسنة النبي ﷺ المحيين لها.

سابعًا: العمرة:

ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**عمرةٌ في رمضانَ تَعْدِلُ حجةً**»(١).

ونورد هنا بعض الأحاديث المتعلقة بالعمرة وهي مستخلصة من «صحيح الجامع الصغير وزيادته» معزوة كما عزاها الكتاب، وقد بوبتها إكمالًا للنفع.

فضل العمرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ**»(٢).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وَفْدُ اللهِ ثلاثةٌ: الغازي والحاجُّ والمعتمرُ**»(٣).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الحُجاجُ والعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم**»(٤).

فضل التلبية:

عن السائب بن خلاد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريلُ فأمرني أن آمرَ أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتَهم بالتلبيةِ**»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٣٩)، والنسائي في الكبرى (٤٢١١)، وابن ماجه (٢٩٩١)، وهو في صحيح البخاري (١٧٨٢)، وصحيح مسلم (١٢٥٦) بألفاظ قريبة.

(٢) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٤١٣٦).

(٣) حديث صحيح، رواه النسائي وابن حبان والحاكم. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٧١١٢).

(٤) حديث حسن، رواه البزار. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٣١٧٣).

(٥) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والبيهقي وابن حبان والحاكم وهو صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قطُّ، ولا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قطُّ إلا بُشِّرَ بالجنةِ»[١].

فضل الطواف بالبيت:

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من طافَ بهذا البيتِ أسبوعًا[٢] فأحصاه، كان كعتقِ رقبةٍ، لا يضعُ قدمًا ولا يرفعُ أخرى إلا حَطَّ اللهُ عنه بها خطيئةً، وكَتَبَ له بها حسنةً»[٣].

وعنه أيضًا ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من طافَ بهذا البيتِ سبعًا وصلى ركعتينِ كان كعتقِ رقبةٍ»[٤].

فضل استلام الحجر:

عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «واللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ يومَ القيامةِ - يعني الحجر - له عينانِ يبصرُ بهما، ولسانٌ ينطقُ به يشهدُ على من استلمه بحقٍّ»[٥].

فضل الشرب من ماء زمزم:

عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ماءُ زمزمَ لما شُرِبَ له»[٦].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وهو حسن. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٥٦٩).

(٢) أي سبعة أشواط. «المؤلف».

(٣) حديث صحيح، رواه الترمذي والنسائي والحاكم. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٣٨٠).

(٤) حديث صحيح، رواه ابن ماجه. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٣٧٩).

(٥) حديث صحيح، رواه الترمذي. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٧٠٩٨).

(٦) رواه ابن أبي شيبة والإمام أحمد وابن ماجه والبيهقي في السنن، وهو صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٥٠٢).

حكم التتابع في صيام الست من شوال

روى الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من صامَ رمضانَ ثم أتبعَهُ ستًّا من شوالٍ كان كصيامِ الدهرِ»[١].

ولأهل العلم أقوال في كيفية صيامها؛ فمنهم من استحب صيامها من أول الشهر متتابعة، وهو قول الشافعي وابن المبارك.

ومنهم من قال: لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله، وهما سواء، وهو قول وكيع وأحمد[٢].

ولا يخفى أن قول الشافعي وابن المبارك أظهر في الدليل، وذلك:

أولًا: أنه أقرب إلى تحقيق كمال الإتْبَاع في قوله ﷺ: «**ثم أتبعَهُ ستًّا من شوالٍ**».

ثانيًا: أن الأصل في الطاعات استحباب المبادرة بها وفعلها في أول وقتها؛ إلا ما دل الدليل على استحباب تأخيره، كتأخير العشاء عن أول وقتها، والظهر عند اشتداد الحر، وصلاة الليل لمن وثق من نفسه القيام آخره، والله أعلم.

قال في «الروض المربع»[٣]: «ويستحب تتابعها ـ أي أيام الست ـ، وكونها عقب العيد؛ لما فيه من المسارعة إلى الخير»، انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤).

(٢) ينظر: لطائف المعارف ص (٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(٣) الروض المربع بشرح زاد المستنقع (٢/ ٤٢)، ط: دار الركائز.

ومع ذلك فمن أخرها أو فرقها في الشهر فعل السنة وحصلت له هذه الفضيلة المذكورة في قوله ﷺ: «**كان كصيامِ الدهرِ**».

قال النووي رحمه الله: «قال أصحابنا: والأفضل أن تصام الستة متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل الشهر إلى أواخره حصلت فضيلة المتابعة؛ لأنه يصدق أنه أتبعه ستًّا من شوال»[١]، انتهى.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٥٦)، ط: دار إحياء التراث.

بُشرى

يقول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، ويقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، ويقول النبي ﷺ: «**وبشروا ولا تنفروا**»، رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم[١].

وإني أبشرك يا أخي المسلم بأن ربك غفور، يقبل العمل اليسير ويجزي الجزاء الجزيل، ويغفر الذنب العظيم، وأنه أرحم بك وبجميع عباده من الأم بولدها.

وأبشر أنه قد أعد جنة عرضها السماوات والأرض قد فتحت أبوابها ـ في هذا الشهر ـ واطَّرَدَتْ أنهارها، وتزينت حورها واكتمل نعيمها، أعدت للمتقين.

نسأل الله أن نكون وإياك ووالدينا منهم وجميع المسلمين.

فاثبت على ما قد عرفت من الخير والهدى، وأَحِبَّ الله من قلبك: تجد التوفيق في الدنيا، وتسهيل الطاعة عليك، بل تحبيبها إلى قلبك، وتجد الرحمة الواسعة في الآخرة، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٧٤٢)، والبخاري (٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٣٣).

«عشر ذي الحجة وأيام التشريق والأضاحي»

لِلشَّيخ فَهدبنِ سُليمان ٱلقَاضِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه نُقولٌ مختارة في المسائل التالية:

١ ـ عشر ذي الحجة.

٢ ـ أيام التشريق.

٣ ـ الأضاحي.

القصد منها: التذكير بفضلها.

هذا، ولا يفوتنا أن نشكر من ساعد في إخراج هذه الرسالة الموجزة، ونخص منهم: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان اللذين أفادا بعلمهما، وأَسْدَيا توجيهاتهما حول ما كُتب فيها.

أولًا: عشر ذي الحجة

مِن منّة الله ﷻ: أنْ جَعل لعباده الصالحين مواسم متكررة في السنة يستكثرون فيها من الأعمال الصالحة، ويتنافسون فيما يقربهم إلى ربهم ومَلِيكهم سبحانه، ويُجزل لهم فيها بفضله وكرمه الأجر والثواب.

ومن هذه المواسم: عشر ذي الحجة، وقد ورد في فضلها أدلة من الكتاب والسنة؛ منها:

١ ـ قال الله ﷻ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٧]، قال ابن عباس ﵄: الأيام المعلومات أيام العشر، رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم(١).

٢ ـ قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال ابن عمر ﵄: «هي شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة»، رواه البخاري(٢).

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١ ـ ٢]، قال ابن كثير ؒ: «المراد بها: عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف»(٣).

٤ ـ عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام»، يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء»، رواه البخاري(٤).

وكان سعيد بن جبير ؒ ـ وهو الذي روى الحديث السابق عن ابن عباس ﵄ ـ إذا دخلت العشر اجتهد اجتهادًا ما يكاد يُقدَر عليه(٥)، وروي عنه أنه قال: «لا تطفئوا سُرُجَكم ليالي العشر»(٦).

٥ ـ وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أعظم

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٠).
(٢) أخرجه البخاري تعليقا (٢/ ١٤١).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٠).
(٤) أخرجه البخاري (٩٦٩)، واللفظ لأبي داود (٢٤٣٨).
(٥) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ١١١٣).
(٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٨١).

عند الله سبحانه ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»، رواه أحمد(١).

٦ ـ تمتاز عشر ذي الحجة على غيرها من الأزمنة: باجتماع أمهات العبادة فيها، وهي: الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يَتَأَتَّى ذلك في غيرها.

قال ابن رجب رحمه الله في اللطائف: «لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس عباده المؤمنين حنينًا إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادرًا على مشاهدته كل عام: فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشترَكًا بين السائرين والقاعدين»(٢).

❖ ما يستحب فعله في أيام العشر:

يستحب الإكثار من العمل الصالح عمومًا؛ لقوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله»، الحديث، ومن أمثلة ذلك:

١ ـ **الصلاة**، من التبكير إلى الفرائض، والإكثار من النوافل، فإنها من أفضل القربات.

روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود؛ فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»(٣).

٢ ـ **الصيام**؛ لدخوله في الأعمال الصالحة، فقول النبي ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح» الحديث، يدخل فيه الصوم من باب الأولى والأحرى.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٣٨).

(٢) لطائف المعارف ص (٤٧٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٨).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء - يعني عن صومها -: إنه مستحب استحبابًا شديدًا(١).

٣ - **التكبير والتهليل والتحميد**؛ لما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

قال البخاري رحمه الله: وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يَخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما، وكان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق، حتى تَرْتَجَّ منى تكبيرًا، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيام جميعًا(٢).

والمستحب: أن يجهر بالتكبير؛ لفعل عمر وابنه وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وحريٌّ بالمسلمين أن يُحْيُوْا هذه السُّنَّة التي قد أُضيعت في هذه الأزمان، وتكاد تُنسى حتى من بعض أهل الصلاح والخير - وللأسف -، بخلاف ما كان عليه السلف الصالح من المحافظة عليها إلى ما قبل سنوات قريبة لا زلنا نَذكرها.

ويُفهم مما سبق من الأدلة أن التكبير مطلقٌ حتى في أيام منى، وليس مقيدًا بأدبار الصلوات؛ لفعل عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، والله أعلم.

موازنة بين عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان:

قال ابن كثير رحمه الله: قيل: إن عشر ذي الحجة أفضل أيام السنة، كما نطق به الحديث، وفَضَّلَه كثيرٌ - يعني من أهل العلم - على عشر رمضان الأخير؛ لأنه يشرع فيه ما يشرع في رمضان، من صلاة وصيام وصدقة وغيره، ويمتاز باختصاصه بأداء فرض الحج فيه، وقيل: عشر رمضان الأخير أفضل؛ لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وتوسط آخرون فقالوا:

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (٨/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري تعليقا (٢/ ٢٠).

أيام عشر ذي الحجة أفضل، وليالي عشر رمضان الأخير أفضل، وبهذا يجتمع شمل الأدلة، والله أعلم[١].

وبنحو كلام ابن كثير أجاب ابن القيم في زاد المعاد[٢].

أما بن رجب فقال ـ بعد ما ذكر آثارًا في فضل عشر ذي الحجة ـ: «وهذا كله يدل على أن عشر ذي الحجة أفضل من غيره من الأيام من غير استثناء، هذا في أيامه، فأما لياليه فمن المتأخرين من زعم أن ليالي عشر رمضان أفضل من لياليه؛ لاشتمالها على ليلة القدر، وهذا بعيد جدًّا»[٣].

وأيًّا ما كان الراجح مما سبق فالمقصود من عرض هذه المسألة التنبيهُ على التفريط في هذه الأيام العظيمة، حتى إنها لَتَمُرُّ على أكثرنا وكأنها مثل سائر الأيام أو كأن فضلها مقتصر على الحجاج فقط!

❖ بم تُستقبل عشر ذي الحجة؟

١ ـ حريٌّ بالمسلم أن يستقبل مواسم الخير عامة بالتوبة الصادقة؛ ذلك أنه ما حُرم أحدٌ خيرًا إلا بسبب ذنوبه، سواء كان خيرًا دينيًّا أو دنيويًّا، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، ومن أعظم المصائب: فواتُ الأجرِ والثوابِ والحرمانُ من المواسم الفاضلة، فالذنوب هي السبب في حرمان العبد فضلَ ربه، وحجبِ قلبه عن ربه.

٢ ـ كذلك تُستقبل ـ مواسم الخير عامة ـ: بالعزم الصادق الجاد على اغتنامها وعمارتها بما يُرضي الله، فمن عزم عزمًا جادًّا أعانه الله، ومن صدق الله صدقه الله، وهَيَّأ له الأسباب الموصلة إلى الخير، وأعانه عليها،

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد (١/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٣) لطائف المعارف ص (٤٦٧).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فهذا وعد من الله، والله سبحانه لا يخلف الميعاد.

❖ **صيام يوم عرفة:**

يتأكد صوم يوم عرفة؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال عن صوم ذلك اليوم: «يكفر السنة الماضية والباقية»، رواه مسلم(١).

لكن من كان في عرفة - أي: حاجًا - فإنه لا يستحب له صيامه؛ لأن النبي ﷺ وقف بعرفة مفطرًا(٢).

❖ **فضل يوم النحر:**

يدرك المسلمون أو أكثرهم فضل يوم عرفة، سواء عملوا بمقتضى ذلك أم لم يعملوا.

أما يوم النحر ذلك اليوم العظيم فإنه غالبًا ما يُغفل عن خطره وجلالة شأنه وعِظم فضله، هذا مع أن بعض العلماء يرون أنه أفضل أيام السنة على الإطلاق، حتى قالوا: إنه أفضل من يوم عرفة.

قال ابن القيم رحمه الله: «خير الأيام عند الله يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر، كما في السنن عن النبي ﷺ: «أفضل الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القَرّ»، وقيل: يوم عرفة أفضل منه؛ لأن صيامه يكفر سنتين، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة، ولأن الله ﷻ يدنو فيه من عباده، ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف، والصواب القول الأول؛ لأن الحديث الدالّ على ذلك لا يعارضه شيء يقاومه»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري (١٩٨٨)، ومسلم (١١٢٣).

(٣) زاد المعاد (١/ ٥٤ - ٥٥).

وسواء كان هو أفضل أم يوم عرفة فليحرص المسلم ـ حاجًا كان أم غير حاج ـ على إدراك فضله وانتهاز فرصته.

❖ **صيغة التكبير:**

ورد فيه عدة صيغ مروية عن الصحابة والتابعين[١]، منها:

١ ـ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا.

قال ابن حجر ﵀: أصح ما ورد فيه ـ أي صيغ التكبير ـ: ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان ﵁ قال: «كبروا اللهَ: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا»[٢].

٢ ـ الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

٣ ـ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

ولمراجعة بعض المسائل المتعلقة بالتكبير، مثل: متى يبتدئ؟ ومتى ينتهي؟ وهل يُطلق في كل وقت أم يُقيَّد؟ وعن صيغته؟ ونحو هذه المسائل، يمكن مراجعة:

١ ـ فتح الباري، كتاب العيدين.

٢ ـ نيل الأوطار، كتاب العيدين.

٣ ـ مصنف عبد الرزاق.

٤ ـ مصنف ابن أبي شيبة.

٥ ـ تفسير ابن كثير، سورة البقرة آية (٢٠٣).

---

(١) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥٦٥٠، ٥٦٥١، ٥٦٥٣، ٥٦٥٤، ٥٦٥٥، ٥٧٥١، ٥٧٦٤).

(٢) فتح الباري (٢/ ٤٦٢).

٦ ـ لطائف المعارف لابن رجب.

٧ ـ مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح العثيمين، المجلس الثلاثون.

والكتب الثلاثة الأخيرة أشارت إلى الموضوع إشارات مختصرة.

* * *

ثانيًا: أيام التشريق

وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وهي الأيام المعدودة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، كما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)]، وهي من المواسم الفاضلة والأيام العظيمة، كما قال النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله»، رواه أحمد ومسلم[(٢)].

فينبغي للمسلم أن يغتنمها، وألا يمضيها وقت غفلة، وأن يكثر فيها من التكبير والذكر عمومًا.

وذكر العلماء أن الحكمة في ذلك ـ أي التكبير في تلك الأيام ـ أن أهل الجاهلية كانوا يذبحون لطواغيتهم فيها، فشرع التكبير فيها؛ إشارةً إلى تخصيص الذبح لله سبحانه، وعلى اسمه ﷻ، قاله ابن رجب رحمه الله.

وقال أيضًا: وأفضلها ـ أي: أيام التشريق ـ: أولها، ويسمى يوم القَرّ؛ لأن أهل منى يستقرون فيه، ولا يجوز فيه النَّفْر، وفي حديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القَرّ»، ثم يوم النفر الأول وهو أوسطها، ثم يوم النَّفْر الآخِر[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأحمد في مسنده (٢٠٧٢٢).

(٣) ينظر: لطائف المعارف ص (٥٠٣).

❖ تنبيه يتعلق بالمسافرين عمومًا وبالحجاج خصوصًا:

حيث إن النبي ﷺ كان لا يحافظ على شيء من الرواتب في السفر غير الوتر وركعتي الفجر، فقد يُفهم من هذا سقوطُ مشروعية النوافل غير الراتبة كلها.

بل هي باقية على استحبابها، خاصةً في الأزمنة الفاضلة، كشهر رمضان، وعشر ذي الحجة، وأيام التشريق، والأمكنة الفاضلة مثل منى والحرم عمومًا.

لذا، فمَن كان مسافرًا فيبقى مستحبًّا في حقه أن يصلي صلاة الضحى، وركعتي الوضوء، والركعات الأربع التي كان النبي ﷺ يصليهن إذا زالت الشمس، ولـمَّا سئل عنهن قال: «إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح»[1]، والركعتين بين الأذان والإقامة، وغيرها مما ورد مشروعيته.

❁ ❁ ❁

ثالثًا: الأضاحي

فضلها: الأضحية من العبادات المشروعة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

فأما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٤].

وأما سنة رسول الله ﷺ فقد ثبتت مشروعية الأضحية فيها بقول النبي ﷺ وفعله وإقراره:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٧٨).

فمن ذلك ما في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: ضحّى النبي ﷺ بكبشين أملحين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما(١).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي، رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن(٢).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين»(٣).

وعن عطاء بن يسار قال: سألت أبا أيوب الأنصاري ﷺ: كيف كانت الضحايا فيكم على عهد النبي ﷺ؟ فقال: كان الرجل يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته، رواه ابن ماجه والترمذي وصححه(٤).

وأما إجماع المسلمين على مشروعية الأضحية فقد نقله غير واحد من أهل العلم(٥).

لكن اختلفوا: أواجبة هي أم سنة؟ على قولين:

أحدهما: أنها واجبة، وهو قول الأوزاعي والليث، ومذهب أبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وإليها يميل شيخ الإسلام ابن تيمية.

القول الآخر: أنها سنة مؤكدة، وهو قول الجمهور، ومذهب الشافعي، ومالك وأحمد في المشهور عنهما، لكن صرَّح كثير من أرباب هذا القول بأن تركها يكره للقادر.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٥)، ومسلم (١٩٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٠٧)، وأحمد في مسنده (٤٩٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٦٠)، ومسلم (١٩٦١).

(٤) أخرجه الترمذي (١٥٠٥)، وابن ماجه (٣١٤٧).

(٥) ينظر: المغني (١٣/ ٣٦٠).

انتهى من رسالة «أحكام الأضحية والذكاة»، للشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله، بشيء من الاختصار والتصرف[١].

ومن أجوبته أيضًا:

س: هل يَقترض الفقير ليضحي؟

الجواب: إن كان له وفاء فينبغي أن يقترض ويقيم هذه الشعيرة، وإن لم يكن له وفاء فلا ينبغي له ذلك.

س: إذا كان هناك إخوة مقتدرون في بيت واحد، وآخر في بيت مستقل، فهل يشرع في حق كل منهم أن يضحي عن نفسه؛ اغتنامًا لفضل الأضحية؟

الجواب: المشتركون في البيت يضحون عنهم أضحية واحدة، والذي في بيت مستقل يضحي أضحية مستقلة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) ينظر: أحكام الأضحية والذكاة ص (٥ ـ ٧).

«خطوات إلى حياة طيِّبة»

لِلشَّيخ فَهْدِبْنِ سُلَيمَانَ ٱلقَاضِي
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تفضل بمراجعته فضيلة العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فهذه رسالة إليكِ أنتِ يا أَمَة الله؛ أمًّا وأختًا وزوجة وابنةً، يا من علَّق النبي ﷺ خَيْرِيَّتَنا بحسن التعامل معكِ، فقال ﷺ: «**أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا، وخيرُكم خيرُكم لنسائِهم**»[1].

والباعث لكتابة هذه الرسالة هو التذكير؛ امتثالاً لأمر الله ﷻ حيث قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

ولاحظي - وفقك الله أيتها المؤمنة - كيف ربط الانتفاع بالذكرى بالإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون انتفاعه بالذكرى.

إن من نعم الله علينا أن نشأنا في هذا المجتمع الذي هو أفضل المجتمعات المعاصرة - في الجملة - وأقومها منهجًا وأصحها سلوكًا، فترى في أهله حب الخير وحب أهله، وإقامة الشعائر الظاهرة، والتسابق إلى فعل الخير وإطعام الجائعين ومساعدة المحتاجين مهما فصلت بينهم المسافات والحدود، ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٦٢)، وقال: «حديث حسن صحيح».

وهذا الخير كله ـ الديني والدنيوي ـ إن لم نجاهد في حفظه وتنميته، فإنه سيحل محله الشر؛ لأن النفس أمارة بالسوء، كما أن هناك من يسعى سعيًا شديدًا في نشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة، وهؤلاء هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض، وهذه الفئة ما سلم منها مجتمع من المجتمعات.

فإنْ نحن لم نجاهد في نشر الخير وتنميته، وأقول: «نجاهد»؛ أي: نستفرغ وسعنا وجهدنا في ذلك، لا أن يكون سعينا جهودًا مبعثرة في ساعات متفرقة حسب هوى النفس ورغبتها، إن نحن لم نفعل ذلك فسيكثر الشر ويرحل الخير ويحل الفساد.

وكوننا أحسن من غيرنا والخير لازال ـ ولله الحمد ـ ظاهرًا لا يوجب التهاون بما عندنا من الفساد والانحراف الذي تجب المبادرة إلى علاجه والجد في ذلك دائمًا.

فإليك أيتها المسلمة عشر مسائل تمس الحاجة إلى التنبيه عليها لتحقيق التقوى، وكون بعضها مما تكرر طرقه وكثر الحديث في شأنه ليس مدعاة للإعراض عنه والزهد في بحثه؛ بل ذلك علامة على أهميته وتأكد الحاجة إلى علاجه.

وشأن المرأة العاقلة المنصفة التي تؤثر رضا ربها على هوى نفسها، وتقدم شرع الله على رغبات الناس وعاداتهم: أن تبحث عن الحق بتجرد وإنصاف ثم تتبعه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر كل الذين ساهموا في إعداد هذه الرسالة، وأخص منهم: صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الذي تفضل بمراجعتها، فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء.

الصلاة

إن من محاسن ديننا هذه الصلوات الخمس التي هي ركن الإسلام الأعظم بعد الشهادتين وعموده الذي لا يقوم بناؤه إلا عليه، فلا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة[١]، ومن حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة.

ولقد اختُصت الصلاة بخصائص ليست لغيرها من العبادات؛ منها:

١ ـ أنها فرضت في السماء، فرضها الله على نبيه ﷺ من غير واسطة، ليلة المعراج.

٢ ـ **ومنها**: أنها أول ما فرض من أحكام الإسلام بعد الشهادتين.

٣ ـ **ومنها**: أنها فرضت في مكة قبل الهجرة.

٤ ـ **ومن ذلك**: أنها تجب في جميع الأحوال، فهي واجبة في الصيف وفي الشتاء، وفي السلم وفي الحرب، وفي حالة الصحة والمرض، وتجب على كل مكلف، على الغني والفقير، والذكر والأنثى، والحر والعبد.

٥ ـ **ومما اختصت به**: أنه يؤمر بها في سن مبكرة من حين التمييز، قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ، وفرقوا بينهم في المضاجعِ**»[٢].

---

(١) أي لا نصيب له. «المؤلف»

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، قال النووي: «حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد حسن». «المؤلف»

٦ ـ **ومن خصائصها**: أنه يكفر من تركها، قال رسول الله ﷺ: «**إن بين الرجلِ وبين الشركِ والكفرِ تركَ الصلاةِ**»[١]، وقال عبد الله بن شقيق التابعي الجليل رحمه الله: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[٢].

وفي مجتمعنا ـ ولله الحمد والمنة ـ نشهد صورًا وضيئة من صور الاعتناء بها، فما أكثر ما نرى الرجال والنساء إذا حانت الصلاة بادروا إلى إقامتها.

فهذه كانت منهمكة في عملها وشؤون بيتها فلما وجبت فريضة الله عليها قطعت أعمالها وأشغالها وقامت تؤدي ما أوجب الله عليها؛ التماسًا لرضاه.

وهؤلاء الرجال والنساء مسافرون ولهم غاية يريدون الوصول إليها، ولكن لما حان وقت الصلاة أوقفوا سيارتهم وقاموا ركعًا سجدًا يؤدون فريضة الله، ثم واصلوا سيرهم.

إلى غير ذلك من الصور الوضيئة.

ولكنْ مع ذلك هناك من يُقصِّر، فمن النساء من لا تكمل الطهارة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يَقبلُ اللهُ صلاةً بغيرِ طَهُورٍ**»[٣]، إما بسبب وجود ما يحول دون وصول الماء إلى البشرة، أو بسبب عدم إسباغ الوضوء على الأعضاء المفروضة، أو غير ذلك.

ومن النساء من اعتادت تأخير الصلاة إلى آخر وقتها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**تلك صلاةُ المنافقِ يجلسُ يَرْقُبُ الشمسَ حتى إذا كانت بين قَرْنَي الشيطانِ قام فَنَقَرَها أربعًا لا يذكرُ اللهَ فيها إلا قليلًا**»[٤]، وصلاة العشاء قد

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى (١٣٩)، وابن ماجه (٢٧٣)، وأخرجه مسلم (٢٢٤) بلفظ: «**لا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ طَهُورٍ**».

(٤) أخرجه مسلم (٦٢٢).

ورد استحباب تأخيرها عن أول وقتها؛ لكن من النساء من يؤخرنها حتى يفرغن من جميع أعمالهن وأشغالهن، فإذا هن في حالة من التعب والإعياء والرغبة في النوم، فيصلينها بكسل وعدم خشوع ولا حضور قلب، وليس لابن آدم من صلاته إلا ما عقل؛ بل ربما تمادى بعضهن في التأخير حتى تجاوزن نصف الليل. هذا وقد رأى النبي ﷺ من يعذب بأن يهشم رأسه بالحجارة - نسأل الله العافية والسلامة -، ثم يعود صحيحًا كما كان، ثم يهشم، وهكذا لا يزال في العذاب، فلما سأل عنه؟ قيل له: هذا هو الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة(١).

❖ **أيتها المسلمة:**

إن تأخير الصلاة عن وقتها عمدًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر؛ بل إن من يفعل ذلك فإنه يخشى على دينه، نسأل الله العافية والسلامة.

وقد يقول قائل: أليس النوم عذرًا في تأخير الصلاة عن وقتها؛ لحديث: «**رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ**» ومنهم: «**النائمِ حتى يستيقظَ**»(٢)؟

فالجواب: أن النوم عذر في حق من عزم على القيام للصلاة ولكن غلبه النوم، أما من لم يعزم على القيام ولم يتخذ سببًا للاستيقاظ فإنه لا يعذر؛ لأنه مفرط.

والواجب على كل مسلم ومسلمة **أن يأخذ بالأسباب المُعِينة له على القيام لصلاة الفجر، ومنها:** التبكير بالنوم لصلاة الفجر، واستعمال المنبه، والتعاون بين أفراد الأسرة، فتوقظ المرأة زوجها والرجل امرأته، والوالد ولده، وهكذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٩٨)، والترمذي (١٤٢٣)، والنسائي في المجتبى (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٢٠٤١)، قال في صحيح الجامع: «صحيح». «المؤلف»

لكن العجيب أن الشيطان يغوينا بمثل ما أغوى به أبوينا عليهما السلام، فقد أسكنهما الله الجنة وأباح لهما أن يأكلا منها حيث شاءا رغدًا؛ إلا تلك الشجرة، فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويُعْلِي قدرها في نفسيهما حتى أكلا منها.

وها هو يعيد معنا المكيدة بنفس الأسلوب، فقد أباح الله لنا النوم متى ما شئنا ما لم يصرفنا عن طاعة؛ لكن النفس لا تحرص عليه ولا تَتَشَبَّثُ به إلا إذا وافق وقت صلاة.

❖ **أيتها المسلمة:**

اعرفي شأن الصلاة، واعلمي أن **لها ثمرات معجلة** غير ما ادّخره الله لأهلها حين يُودَعون في قبورهم فتشفع لهم أعمالهم، وحين يقوم الناس لرب العالمين.

فمن ثمراتها العاجلة: أن الله يحفظ بها العبد، فيكونُ في ذمة الله وحفظه وكلاءته؛ يحفظه في بدنه وعقله وماله وأهله وذريته، قال رسول الله ﷺ: «**احفظِ اللهَ يحفظْكَ**»(١).

ولصلاة الفجر خصوصية في هذا، خرَّج مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من صلى الصبحَ فهو في ذمةِ اللهِ، فلا يَطْلُبَنَّكم اللهُ من ذمتِه بشيءٍ**»(٢)، معناه ـ والله تعالى أعلم ـ: احذر أن تتعرض لمن هو في ذمة الله(٣).

ومما يبين شأن الصلاة وكونَها سببًا لأنْ يُحفظ العبدُ في نفسه وفي عرضه: ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**قَدِمَ إبراهيمُ عليه السلام أرضَ جبارٍ ومعه سارةُ وكانت أحسنَ الناسِ، فقال لها: إن هذا الجبارَ إن يَعلمْ أنكِ امرأتي يَغلبْني عليكِ، فإن سألكِ فأخبريه أنكِ أختي، فإنكِ أختي في**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٧).

(٣) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/٥٣٦).

الإسلامِ، فإني لا أَعلمُ في الأرضِ مسلمًا غيري وغيرَكِ. فلما دخلَ أرضَهُ رآها بعضُ أهلِ الجبارِ، أتاهُ فقال له: لقد قدمَ أرضَكَ امرأةٌ لا ينبغي لها أن تكونَ إلا لكَ، فأرسَلَ إليها فأُتي بها، فقامَ إبراهيمُ عليه السلام إلى الصلاةِ، فلما دخلتْ عليه لم يتمالكْ أن بسطَ يدَهُ إليها فقُبِضتْ يدُه قبضةً شديدةً، فقال لها: ادعي اللهَ أن يُطْلِقَ يدي ولا أضرَّكِ، ففعلتْ، فعادَ فقُبِضَتْ أشدَّ من القبضةِ الأولى، فقال لها مثلَ ذلك ففعلتْ، فعادَ، فقُبِضَتْ أشدَّ من القبضتينِ الأوليينِ، فقال: ادعي اللهَ أن يُطْلِقَ يدي فلَكِ اللهَ أن لا أضرَّكِ، ففعلتْ وأُطْلِقَتْ يدُه، ودعا الذي جاءَ بها فقال له: إنَّما أتيتني بشيطانٍ ولم تأتِني بإنسانٍ فأَخْرِجْها من أرضي وأَعْطِها هاجرَ، قال: فأقبلتْ تمشي، فلما رآها إبراهيمُ عليه السلام انصرفَ[1]، فقال لها: مَهْيَمْ[2]؟ قالت: خيرًا، كفَّ اللهُ يدَ الفاجرِ وأَخْدَمَ خادِمًا»[3].

كذلك من آثارها العاجلة: النشاط، وانشراح الصدر. روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال: «يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ، يضربُ مكانَ كلِّ عقدةٍ: عليكَ ليلٌ طويلٌ فارقدْ، فإنِ استيقظَ فذكرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإن توضأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإن صلى انْحَلَّتْ عُقَدُه كلُّها، فأصبحَ نشيطًا طيبَ النفسِ، وإلا أصبحَ خبيثَ النَّفسِ كسلانَ»[4].

ولو أردنا استقصاء آثار الصلاة وثمراتها وفوائدها لطال بنا المقام، لكن لعل فيما ذُكر تنبيهًا لمن في قلبه حياة.

---

(١) يعني من الصلاة التي كان فيها. «المؤلف»

(٢) أي: ما شأنكِ وما خبركِ. «المؤلف»

(٣) أخرجه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦).

التوكّل على الله

إن التوكل على الله شعبة من شعب الإيمان وواجب من أهم واجباته، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقد يطرأ على العبد نقص فيه وضعف في تحقيقه تبعًا لضعف الإيمان ونقصه.

وحقيقة التوكل هي: اعتماد القلب على الله وتفويض الأمور إليه[١].

ولا ينافيه فعل الأسباب؛ بل فعل الأسباب مع التوكل على الله قد دلَّ عليه الشرع والعقل.

ولكن إذا ضعف التوكل مال القلب إلى الأسباب وتعلق بها وربط تحقق النتائج بها، إن قويت الأسباب جزم بالنتيجة، وإن ضعفت ضعف رجاؤه بالنتائج، وإن اضمحلت الأسباب يئس من النتائج.

ونشهد في واقعنا صورًا لضعف التوكل، فمنها:

الاعتماد في الرزق على الأسباب، كالوظائف، كأن الرزق لا يحصل إلا عن طريقها. لا شك أن الوظيفة سبب، لكن الله ﷻ هو الرزاق ذو القوة المتين، ولا يعني هذا أن يترك العبد التكسب والتسبب لذلك؛ بل يبذل الأسباب وقلبه متعلق بالله وحده.

---

(١) قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرح العقيدة الواسطية ص (٣٣): «التوكل لغة: التفويض، يقال: وكلت أمري إلى فلان؛ أي: فوضته. ومعناه شرعًا: اعتماد القلب على الله في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر». «المؤلف»

ومثال آخر لضعف التوكل: التعلق بالأسباب في حفظ الصحة.

وكما تقدم لا يعني هذا الدعوةَ إلى ترك ما جعله الله سببًا لحفظ الصحة وعلاج الأمراض والوقاية منها؛ بل تُبذل الأسباب، ويعتمد القلب على الله وحده، ويُؤْمَن بأنه النافع الضار، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو سبحانه وتعالى.

أمور تعين على تحقيق التوكل

منها:

١ - تكميل الإيمان، قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فإذا كمل إيمان العبد نتج عنه كمال التوكل، فإن التوكل شعبة من شعب الإيمان.

٢ - تعلم العلم الشرعي؛ ليعرف الحق فيثبت عليه، بخلاف من قَصُر علمه فإنه يكون مترددًا لا يستقر على حال ولا يجزم برأي، قال الله ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وقال تعالى عن الأنبياء عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢].

٣ - قراءة سِيَر المتوكلين وأخبارهم، وسيدُهم هو النبي ﷺ. ومن ذلك قصة هاجر لما وضعها إبراهيم هي وابنها الرضيع إسماعيل عليهما السلام في صحراء ليس فيها أنيس ولا ماء ولا شيء؛ امتثالًا لأمر الله العليم الحكيم الرحيم، وترك عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! ثم قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا، قالتها ثقة بالله وتوكلًا عليه وتسليمًا لأمره. ثم نفد الطعام والماء وعطشت وعطش ابنها وشارف على الهلاك، ثم جاءهما الفرج من عند الله[1].

٤ - ومن الأسباب المعينة على تحقيق التوكل وتكميله؛ بل أعظمها وأجلها: معرفة عظمة الرب ﷻ وجلالِه وكمالِه وتمامِ قدرته سبحانه واطلاعِه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

على أمور عباده، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨ ـ ٥٩].

فإذا عرف العبد ربه بصفاته، فعرف أنه الحي الذي لا يموت، فَيَكفي مَن توكل عليه، ولا يغفل عنه ﷻ، وهو الذي خلق السماوات والأرض فهو على كل شيء قدير، وهو ﷻ الذي استوى على العرش يدبر الأمر: أثمر ذلك صحة توكله على الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

الحذر من فتنة الدنيا

جعل الله ﷻ ما على الأرض زينة لها؛ ليبلو العباد أيهم أحسن عملًا.

وقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يهبط آدم وزوجه إلى الأرض، وأن يخلق الجنة والنار، فحفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات؛ ابتلاء واختبارًا ليظهر من يؤثر رضا الله وطاعته، ويوقن بوعده، ويستجيب لأمره، ويشمر للغاية التي أمامه، ومن يتبع شهواته، ويؤثر رغباته، ويستجيب لتسويل الشيطان، ويستسلم للنفس الأمّارة بالسوء.

وما أكثر ما تتعلق النفوس بالدنيا، جمعًا للمال، وتكديسًا للباس، وتنويعًا للحلي، وتباهيًا بالأثاث، إلى غير ذلك من الأمور التي أباحها الله لعباده، وامتن عليهم بها؛ لكنه حذّر من الافتتان بها، والانكباب عليها والانهماك فيها، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥ ـ ٦].

لذا؛ ينبغي للمرأة المسلمة العاقلة أن تعلم أن الدنيا ممر وليست دار مقر، وأن هذه الحياة وسيلة وليست غاية، فتستمتع بطيبات ما أحل الله لها، وتطلب المال من حله وتصرفه في حقه، وتحذر أن يمتلئ قلبها بحب الدنيا فتزاحم محبتها محبة الله سبحانه، عليها أن تحذر وتجاهد نفسها عن التعلق بالدنيا وعن مجاراة من حولها إذا رأتهم يتنافسون فيها.

ولعل مما يعين على ذلك:

١ ـ معرفة حقيقة الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال رسول الله ﷺ: **«واللهِ ما الدنيا في الآخرةِ إلا مثلُ ما يَجعلُ أحدُكم إصبعَه هذه في اليَمِّ، فلْيَنظرْ بِمَ ترجعُ؟»**(١).

٢ ـ العمل بوصية النبي ﷺ في قوله: **«أكثروا ذِكْرَ هَاذِمِ اللذاتِ: الموتِ»**(٢).

٣ ـ النظر إلى من فضَّلك الله عليه في أمور الدنيا، قال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى من هو أسفلُ منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم، فهو أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللهِ عليكم»**(٣).

٤ ـ مجالسة من يُنتفع بمجالستهم، وهم الذين يُذَكِّرون بالله ويعينون على طاعته.

٥ ـ المحافظة على الفرائض والنوافل وكثرة تلاوة القرآن وذكر الله، وقراءة الكتب وسماع المواد النافعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي في سننه (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، قال في صحيح الجامع: صحيح، رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم. «المؤلف»

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٣).

٦ ـ سؤال الله ﷻ العصمة من فتنة الدنيا ولا سيما بالأدعية الواردة عن النبي ﷺ، مثل: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك من البُخْلِ، وأعوذُ بك من الجُبْنِ، وأعوذُ بك أن أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وأعوذُ بك من فتنةِ الدنيا، وأعوذُ بك من عذابِ القبرِ**»[(١)]، ومثل: «**اللهمَّ اقسمْ لنا من اليقينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مصائبَ الدنيا**»[(٢)]، ومثل: «**اللهمَّ لا تَجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا، ولا مبلغَ عِلْمِنا**»[(٣)].

❖ **فتنة المال:**

وهي من فتنة الدنيا؛ لكن ما أعظمَها من فتنة، وما أَقَلَّ من ينجح في امتحانها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**إن لكلِّ أُمَّةٍ فتنةً، وفتنةُ أمتي المالُ**»[(٤)].

ونحن في مجتمعنا نشهد ـ ولله الحمد ـ في أوساط النساء من جاهدن أنفسهن بالتقرب إلى الله ﷻ بأموالهن.

فانظري إلى تلك المجموعة من الزميلات اللاتي اتفقن على تخصيص جزء من رواتبهن يصرف في كفالة الأيتام ومواساة المساكين.

وانظري إلى أخريات يدعمن بأموالهن مشاريع خيرية يستفيد منها المسلمون، القريبون والبعيدون.

فانظري إلى ذلك البئر الذي يستقي منه مئات من الناس كانوا عطاشًا، واغبطي من تبرع بحفره.

بل انظري إلى ذلك الداعية في إحدى بقاع المعمورة الذي يجوب الأحياء والقرى والمدن داعية إلى التوحيد ومحذرًا من الشرك والبدع ومكافحًا جهود المفسدين من المنصِّرين وغيرهم الذين يسعون لإضلال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٧٠).

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه برقم: (٣٥٠٢)، وقال: «حديث حسن».

(٣) كالسابق.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائي في الكبرى (١١٧٩٥).

إخوانك وأخواتك هناك، من أين يَقْتَات؟ وكيف يعول أسرته؟ ومن الذي أتاح له التفرغ للدعوة إلى الله؟ إنَّ (فلانة) قد تكفلت بِمُرَتَّبِه.

فيا سعد من وفق إلى الخير.

ومع هذه الومضات المضيئة إلا أن الكثيرات يخفقن فلا يقمن بشكر هذه النعمة.

ولعلي هنا أورد رسالة كَتَبَتْها إحدى الأخوات، تقول فيها:

«قد مَنَّ الله سبحانه على كثير من نساء مجتمعنا برواتب جيدة تجري عليهن كل شهر، ولكن للأسف الشديد كيف كان تعامل الكثيرات تجاه تلك المادة الحيوية التي هي بحق شريان الحياة؟

في الغالب لا تعدو أن تكون الخطوة الأولى بعد تسلمه الذهاب إلى السوق وتنعيم النفس، مستندة في ذلك إلى حديث: «**إن اللهَ - تعالى - يُحِبُّ أنْ يَرى أثرَ نعمتِه على عبدِه**»[(١)]، أو أن تبرر لنفسها بأنها ما دامت تستلم راتبًا يجري كل شهر فما الضرر من اقتطاع ألف ريال أو أكثر كل شهر على أشياء كمالية تؤخذ من السوق؟!!

وفي اعتقادي أنه ما كثرت الأسواق بهذا العدد العجيب، وما انتشرت المطاعم ومراكز إرسال الوجبات إلى المنازل، إلا من «دعم» تلك الفئة من النساء.

وأنا أُقر أن المال حق لهن، ولكن من باب المحبة والإشفاق والنصح الذي تعبدنا الله به أسلط الضوء على هذه الظاهرة:

أليس من المحزن أن تخرج المرأة من بيتها كل صباح، تاركة أفلاذ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨١٠٧)، الترمذي (٢٨١٩)، والحاكم في مستدركه (٧١٨٨)، قال في صحيح الجامع: حديث حسن، رواه الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. «المؤلف»

كبدها الصغار بين يدي امرأة الله أعلم ماذا تعمل بهم، وهذا سعيًا لتحصيل المال، ثم إذا حصلته كان هذا التبديد وعدم قَدْرِ النعمة قدرها؟! ثم من يضمن لهؤلاء أن النعمة ستدوم؟!».

ثم تدعو إلى حسن الإنفاق فتقول: «فلْتَسْعَ إلى الاقتصاد في الإنفاق، وتربية نفسها على ذلك، ولتضع نصب عينيها أن المال نافد وهالك، ولا يبقى منه إلا ما تقربت به إلى الله ﷻ، وهذا سبب لأن يُبارك لها فيما أبقت».

ثم تورد اقترحًا: «بأن يُنشأ صندوق خيري في كل مدرسة أو مركز عمل نسائي، يخصص له جزء من الراتب، ثم يصرف في المصارف المناسبة، فكم من المشاريع جمدت وفيها النفع العظيم وما ذلك إلا لقلة التمويل أو انقطاعه، وكم من شاب لم يتزوج ونفسه تتقطع حسرات، والسبب قلة ذات يده، وكم من أناس يعيشون المرض والبؤس للسبب نفسه، وكم من إنسان يمكن إنقاذه من الكفر وإدخاله في الإسلام بتألُّف قلبه بشيء يسير من المال، وكم من حلقات علم كانت منارة مضيئة على من حولها توقفت لانقطاع المدد»، انتهى كلامها.

وتأييدًا لما تقدم، أُذَكِّر بقول النبي ﷺ: **«لا تَزُولُ قدما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عندِ ربِّه حتى يُسألَ عن خمسٍ: عن عُمُرِه فيمَ أفناه، وعن شبابِه فيمَ أبلاه، وعن مالِه من أين اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ»**[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، قال في صحيح الجامع: حديث حسن، رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه. «المؤلف»

حفظ اللسان

إن اللسان من أعظم نعم الله على الإنسان في خَلقه، وهو عظيم النفع إن استعمل فيما يحب الله من الكلام، عظيم الضرر إن استعمل في ضد ذلك.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب»(١).

فالواجب على المسلم والمسلمة أن يحفظ لسانه إلا عن الخير ـ خاصة حال الصيام ـ، قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ»**(٢).

وحفظ اللسان هو مِلاك أمر الإنسان، كما قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: **«ألا أخبرُك بمِلاكِ ذلك كلِّه»** قال بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: **«كُفَّ عليك هذا»**، قال يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: **«ثَكِلَتْكَ أمُّكَ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم»**(٣).

إذن، فمن الخطر العظيم ما يقع فيه كثير من الناس من إطلاق ألسنتهم والتهاون بالكلام غافلين عن أنه يُحصى عليهم ما تتلفظ به ألسنتهم ويُسألون

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص (٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

عنه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «**الفمُ والفرجُ**»(١).

ومن تدبَّر هذا الحديث ونحوه من النصوص الواردة في الكتاب والسنة، عرف حقيقة اللسان وخطره، فإن اللسان لا يَكَلُّ كما تَكَلّ سائر الأعضاء، ثم إن المعاصي التي تكون باللسان كثيرة؛ منها: الغيبة، والنميمة، وقول الزور، والسخرية بالمسلمين، والكذب في الحديث ـ وأعظمه الكذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ ـ.

وأكثر هذه الذنوب انتشارًا بين العامة والخاصة وبين الرجال والنساء: الغيبة التي فسرها النبي ﷺ بقوله: «**ذِكْرُكَ أخاك بما يَكْرَهُ**»(٢).

ومع ذلك قد يتعرض المتكلم في مجلس واحد لعدد من الناس فيذكرهم بما يكرهون، وإذا نُصِح قال: والله إني لم أزد عليهم شيئًا فكل ما قلتُ هو فيهم.

وهذا جهل، فما صدر منه هو الغيبة بعينها، فقد سُئل النبي ﷺ فقيل له: أفريت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إنْ كان فيه ما تقولُ فقد اغتبتَهُ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بَهَتَّهُ**»(٣).

ومن خطورة الغيبة: أن من اغتاب فإن إثم غيبته لا يقتصر عليه؛ بل يشمل من سمعه فلم ينكر عليه، فيكونون شركاء له في الغيبة.

وفي قصة ماعز رضي الله عنه أنه بعد ما رجم سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِم رَجْم الكلب! ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار، فقال: «**أين فلانٌ**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٩٠٧)، والترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

وفلانٌ؟ انزِلَا فكُلَا من جيفةِ هذا الحمارِ»، قالا: غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ: «فما نِلْتُمَا من أخيكما آنفًا أشدُّ أَكْلًا منه، والذي نفسي بيدِه! إنه الآنَ لفي أنهارِ الجنةِ ينغمسُ فيها»(١).

وقد يجمع بعض الناس مع الغيبة السب والشتم بغير حق، وقد قال ﷺ: «سِبَابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ»(٢).

وهذا كله من مظالم العباد التي إن لم يتب منها فإن التقاضي يوم القيامة يكون بالحسنات، قال رسول الله ﷺ: «أتدرونَ ما المفلسُ؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «المفلسُ من أمتي من يأتي يوم القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ثم طُرِحَ في النارِ»(٣).

ومن أخطر جنايات اللسان: النميمة، وهي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد، مما يؤدي إلى فساد ذات البين وتفريق القلوب وزرع العداوات.

فكم من كلمة هدمت بيتًا، وشتت أسرة، وفرقت بين متحابين؛ بل وأوقدت حربًا، وأججت فتنًا، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ نمامٌ»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٧١٢٦)، وذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٧/ ٣٨٣) عن أبي يعلى الموصلي ـ وهو في مسنده برقم: (٦١٤٠) ـ وقال: «إسناده صحيح». «المؤلف»

(٢) أخرجه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) واللفظ له.

وحفظ اللسان سبب لدخول الجنة، كما قال رسول الله ﷺ: **«من يَضْمَنْ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ[1] وما بينَ رِجْلَيه أضمنْ له الجنةَ»**[2].

ولو لم يكن في كثرة الكلام إلا أنه سبب لقسوة القلب لكان كافيًا، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذِكرِ اللهِ، فإنَّ كَثْرَةَ الكلامِ بغيرِ ذِكرِ اللهِ قسوةٌ للقلبِ، وإنَّ أَبْعَدَ الناسِ من اللهِ القلبُ القاسي»**[3].

❖ أيتها المسلمة:

اعلمي أن الأمر كما روي عن عمر رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»[4].

❖ فيا أمة الله:

احفظي دينك، ووفري حسناتك، وكُفِّي لسانك إلا عن الخير، قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ»**[5].

---

(١) قال ابن حجر: «**اللحيان**: هما العظمان في جانبي الفم، والمراد بما بينهما: اللسان وما يتأتى به النطق. وبما بين الرجلين: الفرج. دلَّ الحديث على عظم خطر اللسان والفرج، فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر»، انتهى، فتح الباري (١١/ ٣٠٩). «المؤلف»

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٥٣)، وابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (٤٤).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

حفظ السمع والبصر

من نعم الله ﷻ التي امتنَّ بها على عباده نعمتا السمع والبصر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وهما كغيرهما من النعم التي يبتلي الله بها عباده، هل يشكرون أو يكفرون؟ قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢ ـ ٣].

فمن شَكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد، والشاكر موعود بالزيادة، ومن كفر نعم الله فهو متوعد بعذاب شديد، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

❖ **والشكر له أركان:**

١ ـ الاعتراف بالنعمة.

٢ ـ ونسبتها إلى المنعم المتفضل سبحانه.

٣ ـ واستعمالهما فيما يُحِب المنعم.

ومِن شكر نعمتي السمع والبصر: استعمالهما فيما يحب الله؛ من سماع القرآن، وسماع الذِّكر، والنظر في آيات الله، وحفظُهما عما حرَّم الله من النظر والسماع، والعبد مسؤول عن ذلك كله، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

أما البصر: فقد أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ

ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

فيجب على المسلمة أن تَغُضَّ بصرها عن النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة.

وانظري إلى أهمية غض البصر كيف قُدم الأمر به على الأمر بحفظ الفرج، وهذا ـ والله أعلم ـ لأن الأول وسيلة لحصول الثاني، فغض البصر من أهم أسباب العفاف.

هذا؛ ولغض البصر من الفوائد والمنافع الشيء العظيم، فمن ذلك:

١ ـ أنه امتثال لأمر الله ﷻ، وليس للعبد في دنياه وأخراه أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢ ـ أنه يورث القلب محبة الله والأنس به، كما أن إطلاق البصر يوقع الوحشة بين العبد وربه.

٣ ـ أنه يكسب القلب نورًا وإشراقًا، وكلما قوي هذا النور وتم: ظهر في العين وفي الوجه. ومن أثر هذا النور: التمييز بين الحق والباطل، والضار والنافع، والعدو والصديق.

٤ ـ أنه يورث القلب سرورًا وفرحًا وانشرحًا أعظم من اللذة الحاصلة بالنظر، فإن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. قال أحد الصالحين: «والله لَلَذَّةُ العفة أعظم من لذة الذنب»[١]، فلذة المعصية ساعة ثم يعقبها

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة ابن القيم ص (١٠٣).

القلق والكآبة والعذاب إلى قيام الساعة ـ إن لم يتب ـ، ولذة الطاعة دائمة إلى قيام الساعة، وفي الحديث الذي يُروى عن النبي ﷺ عن ربه ﷻ: «**النظرةُ سهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليسَ، مَن تركها مِن مخافتي أَبْدَلْتُه إيمانًا يجدُ حلاوتَه في قلبِه**»(١).

٥ ـ أنه يقطع الطريق على الشيطان، فإن النظر من أخطر الثغرات التي ينفذ منها الشيطان إلى القلب.

٦ ـ أنه يسد عن العبد بابًا من أبواب العذاب والعناء والقلق، فإن المرء حينما يطلق بصره إنما يفعل ذلك بحثًا عن المتعة، لكنه لما لم يجدها مَنَّتْه نفسه أن المتعة في خطوة أخرى ـ كالابتسامة مثلًا ـ، لكنه لما لم يجدها أيضًا أو وجدها على خلاف ما أَمَّل: مَنَّاهُ شيطانه ونفسه الأمّارة بالسوء أنها في الخطوة التالية، ولا يزال على هذه الحال في عناء وقلق كمن يلاحق ظِلَّه، كلما تقدم إليه ابتعد عنه، فيصبح أسير شهوته، والأسير حقًّا من أسره هواه وشهوته(٢)، ومع هذا فهو ينحدر من معصية إلى معصية، حتى قد لا ينتهي به الحال إلا بمواقعة الكبائر والفواحش.

٧ ـ ذلك غير ما فيه من الفوائد الصحية البدنية والنفسية، ففي بحث طبي أعده الدكتور صادق محمد، جاء فيه: «ثبت بالدراسة والبحث العلمي أن تكرار النظر بِشَرَهٍ للجنس الآخر يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض احتقان غدة البروستاتا والضعف الجنسي، وبالتحليل النفسي لهذا الإنسان وُجد أنه يتعرض لأزمات نفسية واكتئاب وتغيير في سلوكه

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٣٦٢)، والحاكم في مستدركه (٧٨٧٥)، وانظر: ضعيف الترغيب والترهيب (١١٩٤).

(٢) قال العلامة ابن القيم في الوابل الصيب ص (١٠٩): «وقال لي مرة ـ يعني شيخ الإسلام ابن تيمية ـ: المحبوس من حُبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه».

وشخصيته»، وأشار الباحث إلى أن حاسة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية(١).

❖ **فيا أيتها المسلمة:**

اتقي الله وامتثلي أمره، وغضي بصرك عما حرم الله، خاصة فيما يبث من المسلسلات والمسرحيات، التي يظهر فيها النساء والرجال بصورة فاتنة، فيها إثارة للجنسين؛ الرجال والنساء.

فاحذري أيتها المسلمة أن تطلقي بصرك في هذه المواد الآثمة التي تفسد العفة والكرامة وتجذب إلى العلاقات المحرمة.

وليكن لك من إيمانك وازع عما حرم الله عليك، فإن الإيمان أقوى ما يحول بين العبد وبين العصيان، ولهذا وجه الله الخطاب للمؤمنين والمؤمنات بوصف الإيمان: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية.

هذا بعض ما يتعلق بالبصر.

أما السمع: فيجب على المسلم أن يصون سمعه عن سماع كل محرم، وليعلم أنه مسئول عن ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن السماع المحرم: الغناء. وقد وردت نصوص كثيرة صحيحة صريحة في تحريمه وفي التحذير منه وبيان آفاته؛ في القرآن والسنة وفي كلام الصحابة والتابعين.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

---

(١) يراجع كلام العلامة ابن القيم في الجواب الكافي عن فوائد غض البصر، وينظر أيضًا كتاب: دماغك تحت تأثير الإباحية، تأليف: غاري ويلسون.

وقد فسَّر عدد من الصحابة والتابعين ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: بأنه الغناء، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر ﷺ[١].

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «لَيَكُونَنَّ من أمتي أقوامٌ يستحلونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ»[٢].

والعزف: الغناء واللعب بآلاته، والمعازف آلات الغناء. قال في القاموس: «المعازف الملاهي، كالعود والطنبور. والعازف: اللاعب بها والمغني».

قال الضحاك بن مزاحم رحمه الله: «الغناء مَفْسَدَة للقلب، مَسْخَطَة للرب»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «لا تجد أحدًا عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علمًا وعملًا، وفيه رغبة[٤] عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يُسكت القارئ ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني ويستقصر نَوْبَتَه[٥]»[٦].

وقال: «والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب: أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم وفَشَتْ فيهم واشتغلوا بها إلا سُلِّطَ عليهم العدو، وبُلُوا بالقحط والجدب وولاة السوء»[٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٤٤٢).

(٤) أي: إعراض.

(٥) أي: وقتَه.

(٦) إغاثة اللهفان (١/ ٤٢٦).

(٧) مدارج السالكين (١/ ٤٩٦).

هذا؛ وقد اتفق الأئمة والعلماء المعتبرون من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريمه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أما الإمام مالك رحمه الله فإنه لما سئل عن الغناء قال: إنما يفعله عندنا الفساق. وأما أصحاب أبي حنيفة رحمه الله فقد صرحوا بتحريم سماع الملاهي كلها. وأما الإمام الشافعي رحمه الله وأصحابه فهم أغلظ الناس قولًا في ذلك. وأما الإمام أحمد رحمه الله فإنه لما سئل عن الغناء قال: الغناء ينبت النفاق في القلب(١).

ووجه كونه مُنْبِتًا للنفاق في القلب: أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا؛ لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفس وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها، ويحركها إلى كل قبيح(٢).

❖ **أيتها المسلمة الشريفة:**

هذا كلام أئمة الإسلام الناصحين، وأُعِيذُكِ بالله أن تكوني كمن قال فيهم نبيهم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

هذا، وإن من أضراره: أنه يحرك الشهوة المحرمة، قال يزيد بن الوليد: «يا بني أمية: إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنى»(٣).

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان (١/ ٤٠٤) باختصار، وأكثر النقول في هذه المسألة منه، راجع الكتاب (١/ ٤٠٠ - ٤٧٢). «المؤلف»

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان (١/ ٤٣٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١/ ٤٣٤).

ومن الـمُشاهَد: أن كثيرًا من الفساق حينما يتعرضون للنساء يجتهدون في إسماعهن صوت أغنية.

❖ **فيا من تؤمن بالله واليوم الآخر:**

اتقي الله، وامتثلي أمره، واعلمي أن السعادة تنال بامتثال أمر الله واجتناب نهيه، وخذي عبرة من أولئك الناس الذين إذا نُصحوا عن سماع الحرام اعتذروا بأنهم يريدون أن يمتعوا نفوسهم ويروّحوا عن قلوبهم.

فانظري ماذا كانت النتيجة؟

قلق هذه النفس التي أرادوا تمتيعها، وكثرة الهموم والأوهام والاكتئاب، وتوتر العلاقات الأسرية، وغيرُ ذلك مما هو نتيجة طبيعة لمن طلب الأمور من غير طريقها المشروع، قال الله ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

فكما أن رزق الله لا يطلب بمعصيته، فكذلك السعادة لا تطلب بالأفعال المحرمة.

إن السعادة من الله، يهبها لمن يشاء، والسبيل الوحيد لنيلها هو ما بينه الله ﷻ في كتابه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]، الآية، هذان هما سببا نيل السعادة: الإيمان، والعمل الصالح.

الحذر من خطوات الشيطان

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

و﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ هي: طرقه التي يدعو إليها، ويَدخل فيها جميع المعاصي المتعلقة بالقلب واللسان والبدن.

والفحشاء: ما عَظُم قبحه من الذنوب[١].

ومن خطوات الشيطان: ما تقدم في الباب الماضي: «حفظ السمع والبصر».

ومن خطوات الشيطان: ما يسمى بالمعاكسات التي تكون بين الرجال والنساء الأجانب، وهذه المحادثة والاتصال طريق؛ بل من أقرب الطرق إلى الوقوع في الفاحشة، وباب هو من أوسع الأبواب للدخول في عالم الخبيثين والخبيثات، فكم من عفيفة دخلته فودعت بذلك حياءها وأخلاقها، وكم من عذراء طرقته باسمه فخرجت منه ثيبًا باكية، وكم من (صياد) ماكر جعله طُعمًا يخفي وراءه مآربه وأطماعه.

وبداياته قد تتعدد؛ لكن حقيقته ونهايته واحدة..

فأحيانًا تكون بدايته إغراءً من جليسة سوء: خذي هذا الرقم وجربي، ولن يضرك شيء.

وأحيانًا تسويل من النفس: أُكلّم مجرد (وناسة) وتَمضية للوقت فقط.

وأحيانًا (غَيرَة) حينما تسمع مَن حولها مِن جليسات السوء يحكين ما قلن

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (١/ ٩٩، ٥/ ٤٠١).

وما قيل لهن، فتقول في نفسها: وهل أنا أقصر عنهن في جمال أو حسن جواب، فيستفزها الشيطان لتثبت (تفوقها) على غيرها، فتلقي بيدها إلى التهلكة.

وفي هذه الحالات كلها، وفي غيرها إنما هي مكيدة من العدو، فأخذ ينحط بها (وبه) دركات حتى يصل بها إلى حيث خطط لهما من إيقاعهما في الفواحش والموبقات، ولو لم يكونا قد قصدا ذلك قصدًا في بداية الطريق.

فالمنحرفون والمنحرفات ما وُلِدوا منحرفين، وإنَّما بدأ انحرافهم ـ غالبًا ـ بأعمال يسيرة ومعاصٍ صغيرة، منها انطلقوا ـ أو انطلق بهم الشيطان ـ في مسيرة الانحراف، فكانت نهايتها الفواحش والمنكرات.

ولذا؛ فقد حذرنا ربنا ﷻ من ذلك وبصرنا بهذه المكيدة كما في الآية المتقدمة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

والعجيب: أن من الفتيات من قد تسمع بمن سلكت هذا المسلك، والمآل الذي آلت إليه، والفضيحة التي وقعت عليها، والندامة التي قطّعتها حسرات، بعد أن انقشعت سحابة الأحلام وتبددت تلك (الوعود).

ثم.. لا تعتبر؛ إما بحجة أن (صاحبها) يختلف عن الآخرين، فهو شاب صادق ورجل شريف، وهو جاد في وعوده، أو تقنع نفسها بأنها هي التي تضحك عليه و(تلعب في عقله)، والأمر في يدها، فمتى شاءت أن تقطع هذه العلاقة قطعتها وأنهت أمرها، أو تأخذها الثقة بنفسها بأنه لو فرض أنه دبر لها مكيدة فلديها من الذكاء والنباهة ما تخلص به نفسها.

وكل هذه نظرات ساذجة، فهذا الذي تظنه شريفًا، صادقًا في وعوده، جادًّا في كلامه، ماذا عندها من البراهين على ذلك؟! لا شيء؛ اللهمَّ إلا لباقته في الحديث، وبراعته في الكلام، ونجاحه في خداع أمثالها.

ولتثق بأنه حَالَمَا يُنهي مكالمته معها فإنه يتصل بأخرى، ويعطيها من الكلام المعسول مثل ما أعطى تلك، ويبث من (الأشواق المصطنعة) مثل ما بث لها،

كيف تصدقين أنه جاد في الاقتران بك؟ وهل يثق فيك ويرضى بك شريكة حياته وراعية أسرته؟ كيف يثق ويطمئن إليك وهو يتذكر بداية العلاقة بينكما؟!

وكذلك تلك التي تظن أن تلك المعاكسات مجرد (فسحة) متى ما شاءت عادت سالمة غانمة؛ الواقع يثبت عكس ذلك، فكثير من المعاكسين قد برعوا في هذا العمل، وتفننوا في (تضبيط) أمورهم و(مسك) الإدانات (عليهن)، حتى إن فكرت مرة من المرات في عصيان أوامره أو التملص من (طلباته) وإذا هو يشهر في وجهها سلاح (الصور) و(الأشرطة) وغيرهما من الإدانات التي كان قد ضبطها عليها دون أن تشعر.

وكم من نهايات أليمة انتهت إليها كثير من الفتيات المسكينات، حتى إن منهن من أردن التوبة والإقلاع عن هذا المسلك المشين وما جر إليه، لكن (الصياد) كان ماهرًا في تكبيل فريسته.

حدثني أحد المصلحين ـ أحسبه هكذا والله حسيبه ـ عن فتاة اتصلت عليه تطلب منه حلًّا تتخلص به من رجل كانت لها به علاقة توقفت قبل ثلاث سنوات، وتقول إنها قد قطعت علاقتها به، لكنه مازال يهددها بما عنده عليها، عِلمًا أنه متزوج وله أولاد.

بل غالبًا ما يعز على ذلك (الذئب) أن يفرط في فريسته ويتنازل عنها حتى لو تزوجت، كيف لا والحبل في يده يسحبها متى ما شاء وكيفما شاء.

كانت إحدى الفتيات على علاقة مع شاب، ثم تزوجت وسافرت مع زوجها لإكمال دراسته، ثم عادت وإذا بذلك الرجل يتصل عليها ويهددها بأنها إن لم تستجب لرغباته فإنه سيفضحها أمام زوجها.

❖ أيتها الفتاة النبيهة:

كل هذه المشكلات تَفَادِيها سهل والوقاية منها هينة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

انحراف المحبة

يحصل أحيانًا أن تنشأ (علاقة) بين فتى وفتاة، وهذه أقل ما يقال عنها: إنها خطوة من خطوات الشيطان يستدرجهما بها ليوقعهما في الفواحش والموبقات.

ومن مكر الشيطان أنه أحيانًا يضفي على هذه الأفعال ما يسوغها، ككون هذه العلاقة نظيفة ومقصدها سَامٍ، وغير ذلك من الأعذار التي لا تخرج عن كونها خداعًا من خداع النفس وحِيَلًا من حيل الشيطان، والنتيجة دائمًا الندم، وأحيانًا مع هذا الندم يصعب استدراك الأمر وعلاجه، وغالبًا ما يَسُلُّ الرجل نفسه وتبقى المرأة المسكينة.

كنت في يوم من الأيام عند رئيس مركز من مراكز الهيئة فتلقى اتصالًا هاتفيًّا، وإذا المتصل فتاة تشكو إليه مشكلتها وتلتمس منه الحل، فقد كانت مع علاقة مع شاب، وتمادت هذه العلاقة وتطورت حتى استلب منها أكثر ما تعتز به العذراء، ثم لفظها كما يلفظ النوى، وتقول إنها تابت واستقامت، لكن مشكلتها أنها قد خطبت وقد حان موعد زفافها ولم يبق عليه إلا أسبوعان؛ فكيف تتصرف مع عريسها إذا دخل بها؟

وقد يصل الأمر إلى أبعد مما سبق...

حصل في أحد الأحياء أنَّ فتى وفتاة تعرفا على بعض، وسارت هذه المعرفة من خطوة إلى خطوة، حتى وصلا إلى تحديد لقاء بينهما، وأين؟ في بيت الفتاة، وبأسلوب أو بآخر تم ذلك، وتكرر هذا اللقاء. وكما أخبر من

لا ينطق عن الهوى ﷺ: **«ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ»**(١).

فأوقعهما الشيطان فيما كان قد خطط لهما، وبعد أن وقعت الفتاة فيما وقعت فيه أخذت تفكر في مصيرها ومستقبلها؟ لو تقدم لها خاطب فهل ستوافق؟ كيف توافق والناس يظنونها بكرًا وهي ليست كذلك؟ لذا فقد قررت ألا تتزوج، وإذن ما دام أنها لن تتزوج وما دامت قد سارت في هذا الطريق فلتواصل سيرها فيه وليكن بعد ذلك ما يكون، فقررت أن تهرب من بيتها!

ولكِ أن تتصوري أي مصير ينتظرها، وأي عارٍ جَرَّتْهُ على نفسها ولَوَّثَتْ به أسرتها ومن تنتسب إليه، وأي فاجعة أوقعتْها بأمها وبأبيها. ثم ألا تعجبين بل تتألمين لنهاية وصلت إليها فتاة كانت صبية بريئة وبرعمًا متفتحًا وزهرة ندية!

لكنْ لا عجب.. هي خطوات الشيطان.

التعلُّق:

من الانحرافات الواقعة في المحبة: ما يُعرف بالتعلق، وهو عبارة عن محبة طبيعية أو دينية خالطها شهوة وهوى.

والمقصود به هنا: تعلق فتاة بأخرى، وليس كما يتبادر إلى بعض الأذهان أن أمره يسير؛ لا بل أمره خطير، وعواقبه وخيمة، وآثاره قبيحة، وقد تترتب عليه نتائج خطيرة من فعل الموبقات وترك الواجبات، بل القدح في التوحيد.

وليكن معلومًا أن نشوء علاقات الغرام والحب المنحرف إنما تنشأ من نقص في محبة الله ولابد.

فحيثما رأيتِ من عشق فاعلمي أن هذا أثر من آثار ضعف محبته لربه ﷻ، فمن أحب الله ورسوله ﷺ محبة صادقة من قلبه أنتج ذلك له أن يحب

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٦٩٦)، والترمذي (٢١٦٥) واللفظ له.

ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، فيرضى ما يرضى به الله ورسوله ﷺ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، ويعمل بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل شيئًا يخالف ذلك دلَّ على نقص محبته الواجبة، «فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله ﷺ»[١].

ومن المتعين توضيح لَبْسٍ تقع فيه بعض (المتعلقات)، حيث تزعم أن فعلها هذا حب في الله، وسبحان الله! ما أبعد ما بين التعلق الذي هو عشقٌ وهوى نفسٍ وتسويلٌ من الشيطان، والحب في الله الذي هو واجب من واجبات الدين وعروة هي أوثق عرى الإيمان.

إن الحب في الله معناه: أن المرء قد خالف هوى نفسه، فسخَّر محبته فجعلها تابعة لمحبة الله ﷻ، فما أحبه الله ﷻ من الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة أحبه، وما أبغضه الله ﷻ من الأشخاص والأعمال والأمكنة أبغضه.

وهذه حال تحتاج إلى مجاهدة للنفس، وترويض لها، ومتابعة ومحاسبة دائبتين.

إن محبة الله ﷻ شأنها عظيم، إن إخلاصها لله وحده هو أصل التوحيد وروحه، وهي أصل التعبد لله؛ بل هي حقيقة العبادة، «ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب»[٢].

وهذا الحب هو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه.

وماذا حصّل من سعادة الدنيا من فاتته هذه السعادة؟ وليس للقلب صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه**

---

(١) يراجع: فتح المجيد ص (٤٠٩)، ط. دار الفكر.

(٢) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها للحافظ ابن رجب ص (٣٤).

مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا للهِ، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفرِ بعد إذ أنقذَهُ اللهُ منه كما يكرهُ أن يُلقى في النارِ»[١].

ولنا في قصص النبيين والصالحين أسوة حسنة، حيث كملوا محبة الله ﷻ وصبروا على ما نالهم من أذى، فأُخرجوا من ديارهم وقُتلوا وحُرقوا إيثارًا لمحبة الله ﷻ.

وفي المقابل لنا عبرة فيمن صرفوا شيئًا من محبتهم لغير الله، كيف عُذبوا بمن أحبوه من أشخاص أو أشياء في الدنيا قبل عذاب الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

والأسباب التي تقطعت هي: ما كان بينهم من محبة ومودة[٢]، فقد اضمحلت وزالت وتقطعت أحوج ما كانوا إليها؛ بل إن تلك المحبة الشديدة تنقلب إلى عداوة؛ لأنها لم تكن في الله، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، فخذي حذرك يا أَمَة الله.

وقد ذكر أهل العلم أسبابًا تقوي محبة العبد لربه ﷻ، فمنها:

١ ـ معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، فإن النفوس جبلت على حب الكمال، والله ﷻ له غاية الجلال والكمال والجمال.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
ويراجع في هذا الموضوع: «مدارج السالكين» لابن القيم، و«كلمة الإخلاص» و«استنشاق نسيم الأنس»، وكلاهما لابن رجب. و«فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن، و«القول السديد» للشيخ عبد الرحمن السعدي. «المؤلف»

(٢) هذا التفسير مروي عن ابن عباس ﵄. «المؤلف» ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٧٧).

٢ ـ الحرص على الفرائض والاستكثار من النوافل، ففي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «**وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افْتَرَضْتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّهُ**»[١].

٣ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٤ ـ كثرة ذكر الله.

٥ ـ تَذَكُّر نِعم الله التي أسبغها علينا؛ ظاهرة وباطنة، فالإنسان يحب من أحسن إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

٦ ـ ترك الذنوب والتوبة منها، فإنها تمرض القلب، فيبغض ما يحبه الله ويحب ما يبغضه الله.

٧ ـ البعد عن المجالس التي لا يستفاد منها، وملازمة الصحبة الصالحة.

٨ ـ الدعاء. ومن الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ: «**...أسألُك حُبَّكَ، وحُبَّ من يُحِبُّكَ، وحُبَّ عملٍ يقربني إلى حُبِّكَ**»[٢]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان من دعاءِ داودَ ﷺ: اللهمَّ إني أسأَلُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ من يُحِبُّكَ والعملَ الذي يبلغني حُبَّكَ، اللهمَّ اجعلْ حُبَّكَ أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماءِ الباردِ**»[٣].

❖ **أيتها المسلمة:**

حققي شهادتك أن لا إله إلا الله، وطبقي ما تتلفظين به، فإن «الإله» هو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥)، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠)، وقال: «حديث حسن».

المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له، وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في حاجاتها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه[١].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين للعلامة ابن القيم ص (٣٢٠)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص (٣٧)، وأصل الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الحجاب

من نِعَم الله علينا أن نساءنا ـ والحق يُقال ـ من خير النساء حشمة وحياءً وعفافًا وتسترًا، وهذا اقْتَبَسْنَهُ ممن قبلهن من أمهاتهن المحتشمات العفيفات الصالحات، فحمَل الجيل الصالح هذا الأثر عمن سلف.

لكنْ لما علم أعداء هذا الدين ومن امتلأت قلوبهم بالرغبة في إفساد المسلمين أن أسهل وأقصر وأيسر طرق الإفساد هو إسقاط الحجاب، فإذا سقط الحجاب سقط الحياء وسقطت الأخلاق فسقط المجتمع كله..

لما علموا ذلك شنوا الحرب متعددة الصور مختلفة الرايات، فمرة يشككون في شرعية الحجاب، ومرة يشككون في هيئته وصورته، ومرة يظهرونه مظهر النقص والازدراء، إلى غير ذلك.

وهم ـ في الغالب ـ يُظهرون أنفسهم مظهر الناصح المشفق الحريص على الإصلاح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وأحيانًا لا يستطيعون أن يكتموا كل ما تُكِنُّه صدروهم، فيفلت منهم من العبارات ما يفضح حقيقتهم؛ من السب والشتم لهذا الحجاب الذي عرقل مسيرتهم وأَرْبَكَ مخططاتهم وبَطَّأ تحقيق أهدافهم.

وبحمد الله؛ فلازالت المرأة المجاهدة صامدة، ولازال الحجاب عزيزًا، ولكن كلما ضعف الإيمان وقصر العلم: حصل التأثر بهم، ولذا نرى من نسائنا من تأثرن بهذه المعركة وخُدعن بتلك المكيدة، فبِتْنَ يحاولن التخفف من الحجاب والتملص منه أو التمرد عليه؛ بل ربما تمادى الأمر ببعضهن

فباتت تنظر إلى الحجاب كأنه عقوبة فرضت على النساء! فسبحان الله العظيم؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إن إدراك المرء لكمال شرع الله ولحُسن حُكمه مرتبطٌ بيقينه، فكلما قوي يقينه أدرك ذلك وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأن شرعه تعالى فيه الخير العاجل والآجل، والثمرات الطيبة والآثار الحسنة، وإذا ضعف إيمانه ونقص توحيده واختل يقينه: انقلبت المحاسن في عينه مساوئ.

هذا؛ وإن من الأقوال التي تثار ـ أحيانًا ـ: الزعم بأن الوجه ليس بعورة.

والحمد لله، قد نزل الله كتابه تبيانًا لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ولن نضل ما تمسكنا بكتاب الله وسنة نبينا ﷺ، إنَّما يحصل الضلال وتكثر الأقوال وتتشعب الآراء وتتفرق القلوب إذا هُجر الكتاب والسنة، كمن اكتفى بعقله واستغنى عن هدي كتاب ربه وسنة رسول الله ﷺ، أو من رجع إلى الكتاب والسنة لا رجوع المسترشد المستهدي، ولكن ليبحث عما يؤيد به هوًى في نفسه مُبيَّتًا، وحكمًا في عقله مُقرَّرًا.

وبعبارة مختصرة: فإن سبب ضلال من ضل ناشئ عن جهل أو اتباع للهوى أو من اجتماع الأمرين.

إن وجوبَ سترِ المرأة وجهَها مسألةٌ بيَّنَتْهَا نصوصُ الكتاب والسنة وعملُ نساء الصحابة رضي الله عنهن ومَن بعدهن من نساء المسلمين.

فمن هذه الأدلة:

الدليل الأول:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

والجلباب: هو الرداء فوق الخمار؛ بمنزلة العباءة عندنا، قال

ابن عباس رضي الله عنهما: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة»[١].

ويوضح صورة ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفنا»[٢].

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] الآية.

فقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يوضح صورته أيضًا: ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساءَ المهاجرات الأُوَلَ، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن[٣] فاختمرن بها»[٤].

قال ابن حجر العسقلاني[٥] رحمه الله في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: «قوله «فاختمرن»؛ أي: غطين وجوههن، وصفة ذلك: أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقنع. قال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها، فأُمرن بالاستتار»، انتهى[٦].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٣٢٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٨١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٠٢١)، وأبو داود (١٨٣٣).

(٣) المِرْط: كساء من صوف أو خز، كانوا يأتزرون به. «المؤلف»

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٥٨).

(٥) هو: العالم العلّامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، صاحب التصانيف المشهورة، تفقه على مذهب الإمام الشافعي، وبرّز في الحديث حتى صار إمامًا من أئمة المسلمين فيه، (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ). «المؤلف»

(٦) فتح الباري (٨/ ٤٩٠).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي[(١)] رحمه الله: «وهذا الحديث الصحيح صريحٌ في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فَهِمْنَ أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أُزرهن فاختمرن، أي: سترن وجوههن بها؛ امتثالا لأمر الله في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ المقتضِي سترَ وجوهِهن.

وبهذا يتحقق الـمُنْصِف أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السنة الصحيحة المفسِّرة لكتاب الله تعالى، وقد أثنت عائشة رضي الله عنها على تلك النساء بمسارعتهن لامتثال أوامر الله في كتابه، ومعلوم أنهن ما فهمن ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، إلا من النبي ﷺ؛ لأنه موجود - بينهم - وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فلا يمكن أن يُفَسِّرْنَها من تلقاء أنفسهن.

وروى ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة ما يوضح ذلك، ولفظه: ذَكرنا عند عائشة رضي الله عنها نساء قريش وفضلهن، فقالت: «إن لنساء قريش لفضلًا، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب الله، ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أُنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أُنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها[(٢)] فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان[(٣)].

ومعنى «معتجرات»: مختمرات.

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، من شنقيط (موريتانيا)، عالم علامة تفقه على مذهب الإمام مالك رحمه الله، وبرع في أنواع من العلوم قلَّ أنْ تجتمع في واحد، ولد عام (١٣٢٥)، وتوفي رحمه الله عام (١٣٩٣هـ). «المؤلف»

(٢) المِرْط: كساء من صوف أو خز، كانوا يأتزرون به. «المؤلف»

(٣) في رواية: «من السكينة». «المؤلف»

فترى عائشةَ ﵂ مع علمها وفهمها وتُقاها أثنت عليهن هذا الثناء العظيم، وصرحت بأنها ما رأت أشد منهن تصديقًا بكتاب الله، ولا إيمانًا بالتنزيل، وهو دليل واضح على أن فهمهن لزوم ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: من تصديقهن بكتاب الله، وإيمانهن بتنزيله، كما ترى»، انتهى كلام الشنقيطي ﵀(١).

الدليل الثالث:

قوله تعالى - في حق أمهات المؤمنين -: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وأَمْرُ الشارع لواحد من الأمة أمْرٌ للأمة كلها؛ إلا أن يدل دليل على أن ذلك الحكم خاص بمن خوطب به؛ حتى النبي ﷺ أَمْرُ الله له أمر للأمة كلها؛ إلا أن يدل دليل على أن الحكم خاص به.

ومما يدل على أن الأمر الوارد في الآية عام لجميع النساء: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، فهذا هو علة الأمر وسببه، «وعموم علته دليل على عموم الحكم فيه»؛ كما في القاعدة الأصولية(٢).

ولا شك أن طهارة قلوب جميع الرجال والنساء أمر واجب ومطلوب، وأن أهم أسبابها: تحجب النساء عن الرجال، وأنه بفقد التحجب تفقد الطهارة ويحصل ضدها، فدل ذلك على وجوبه.

الدليل الرابع:

أن النبي ﷺ لما حرم إسبال الثياب قالت أم سلمة ﵂: فكيف تصنع

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٦/ ٥٩٤ - ٥٩٥)، وكذلك: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٩٠).
(٢) ينظر: أضواء البيان (٦/ ٢٤٢).

النساء بذيولهن؟ قال: «يُرْخِينَ شبرًا»، قالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: «فيُرْخِينَ ذراعًا لا يَزِدْنَ»(١).

فأيهما أدعى لحصول الفتنة وأولى بالستر: الوجه أو القدمان؟!

هل يَظن من فَهِمَ الشريعة وعرف حكمتها أنها تطلب من النساء ستر أقدامهن وترخص في كشف وجوههن؟

إن هذا التصرف لو صدر من رجل في حق ابنته أو زوجته لانتقده الناس وخَطَّأوه، فكيف يُتصور أن ينسب هذا إلى شريعة الحكيم العليم؟

الدليل الخامس:

قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إذا خطبَ أحدُكم المرأةَ فلا جُناحَ عليه أن ينظرَ إليها إذا كان إنما ينظرُ إليها لخِطبتِه، وإن كانتْ لا تعلمُ**»(٢).

فقد نفى النبي ﷺ الجُناح - أي الإثم - على من كان ينظر لسبب الخطبة؛ فدل على أن الأصل في النظر إليها: التحريم.

والأدلة كثيرة، اقتصرتُ على ما تقدم؛ طلبًا للاختصار.

ولتتميم المقام، فإن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، هي التي لا بد أن تظهر كظاهر الثياب، ولذلك قال: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، ولم يقل ما أظهرن منها.

والزينة في لغة العرب هي: ما تتزين به المرأة مما هو ليس من أصل خلقتها.

وقد تكررت كلمة «الزينة» في القرآن مرادًا بها ما يزيّن به الشيء وهو ليس من أصل خلقته، كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٨٩)، وأبو داود (٤١١٧)، والترمذي (١٧٣١)، والنسائي في المجتبى (٥٣٣٦)، وابن ماجه (٣٥٨٠)، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦٠٢).

وقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وغير ذلك من الآيات.

فدلَّ ذلك على أن معنى ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، ليس مرادًا به شيء من بدن المرأة، وإنَّما هو أمر زائد على ذلك مما تتزين به المرأة؛ من الحلي واللباس ونحوهما، فهذا لم يُرَخَّص في إبداء شيء منه إلا ما ظهر، وهو ظاهر اللباس كالجلباب والعباءة؛ على ألا يكون هو بذاته مدعاة للفتنة(١).

فدلَّ هذا النهي على: أنه يحرم أن تُبْدِي المرأة شيئًا من زينتها الباطنة؛ من الثياب التي تحت الجلباب، والحلي، والكحل، ونحوها، وفي معنى ذلك: الطيب، فيحرم أن تخرج المسلمة متعطرة إذا كانت تمر على رجال أجانب.

وعلى أي حال؛ فهذا الكلام إنَّما ينتفع به من بحث عن الحق وحرص على اتّباعه، أما من اتبع هواه فأمره يختلف، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

ولنأخذ عبرة ممن حولنا ممن أخذوا بالأقوال الضعيفة، كيف آل بهم الأمر من إخراج الوجه ثم شيءٍ من الشعرِ ثم الشعرِ كلِّه ثم أطرافِ الساعدين ثم الساقين، حتى آل بهم الأمر إلى ما هو معلوم، حيث غدت بلدانهم كأنها قطعة من بلاد الكافرين.

ثم انظري أيتها المسلمة إلى عودة صالحاتهم إلى الحجاب الشرعي، لا الحجاب الناقص، لما رأى صالحوهم وصالحاتهم ما آل إليه الأمر فعرفوا الحق وتمسكوا به، مع قلة المعين وكثرة الشامتين وسخرية الساخرين.

ولم أَنْسَ ما رأيته في بلد هو قلعة من قلاع الحرب على المسلمين وموئل للتفسخ والعري، حيث رأيت من نساء المسلمين هناك من بنات ذلك البلد من

---

(١) يراجع أضواء البيان (٦/ ١٩٩).

هي متحجبة حجابًا كاملًا، فقلت في نفسي: سبحان الله! أين بنات بلدي من أولئك اللاتي لا يجدن إلا السخرية والإيذاء، وأقل ما يواجهنه النظرات المستغربة حيثما حللن وحيثما رحلن، فأسأل الله لنا ولهم الثبات.

كذلك التقيت بأحد الدعاة إثر قيامه بجولة شملت ـ فيما شملت ـ دول أوربا الشرقية، فأخبرني أنه لما كان في «بُلغاريا» ذُكِرَ له امرأة مسلمة هناك كانت لما طُبِّق النظام الشيوعي وأَمَرُوا النساء بنزع الحجاب لم تستجب لهم، ولأن الخيار ليس بيدها فقد لزمت بيتها حتى لا تخرج سافرة، وبقيت كذلك خمسًا وأربعين سنة!

يقول: وذهبت إليها في بيتها لأُسَلِّم عليها، وكانت قد تقدم بها العمر.

هذا؛ وإن ستر الوجه عن الأجانب هو الذي كان عليه المسلمون.

قال ابن حجر رحمه الله: «ولم تزل عادة النساء قديمًا وحديثًا يسترن وجوههن عن الأجانب»[1].

وذكر العلامة الشوكاني[2] رحمه الله في «نيل الأوطار» اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه[3].

وإن من أهم ما ينبغي التنبيه عليه هنا هو: التذكير بأن الحجاب عبادة نتعبد الله بها، كما نتعبده بالصلاة والزكاة وسائر شعائر الدين، وهذا أمر غاية في الأهمية، ومما يبين أهميته: أن من أهم أسباب تركِ الحجاب في بلدان كانت تتمسك به وتحافظ عليه ومصيرِها إلى ما صارت إليه هو: أنهم كانوا

---

(١) فتح الباري (٩/ ٣٢٤).

(٢) هو العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني، صاحب التصانيف في الفقه والحديث والتفسير والأصول وغيرها من علماء اليمن، توفي عام (١٢٥٠). «المؤلف»

(٣) ينظر: نيل الأوطار (٦/ ١٣٧)، وأصل الكلام لابن رسلان في شرح سنن أبي داود (١١/ ٣٩).

يتمسكون بالحجاب ويحافظون عليه على أنه عادة ورثها الجيل ممن قبله فحسب.

وهذا انحراف خطير؛ أن تتحول العبادات إلى عادات، **فالعبادات**: ترتبط بأمر الله ونهيه، ويترتب عليها رضى اللهِ وسخطه.

أما العادات: فهي أمور يتعارف عليها الناس، وغير مستنكر أن تختفي عادة ويحل محلَّها أخرى، وإن استَنكر تغييرَها بعضُ الناس، فما يلبث هذا الاستنكار أن يخف ثم يزول ويحل محله الإِلْفُ والإقرار لتلك العادة الجديدة.

وبعد؛ فيا أيتها المسلمة! **احفظي وصيتي هذه**:

اعلمي أن معركة الحجاب قديمة، ومحاولة إسقاطه ليست وليدة يومنا هذا، وفي كل جولة مضت كان العدو يرجع خاسئًا وهو حسير، والآن وقد وصل الدور إليكِ، وأمسكتِ اللواء بيدكِ، فاحذري أن تكون الهزيمة بسببك وأن يكون انتصار العدو في عهدك، فجاهدي لتظل راية الحق خفاقة ولواء الحشمة والعفاف مرفوعًا كما جاهد من قبلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

القرار في البيت

اعتاد بعض النساء كثرة الخروج من البيت ولو لغير حاجة، وهذا مخالف لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، حتى إن منهن من لو مرّ عليها أيام قلائل وهي لم تخرج تَعَكَّر مزاجها وانقبض صدرها. فسبحان الله العظيم!

إنَّ أَمْرَها بالقرار بالبيت حُكم من لدن الحكيم العليم اللطيف الخبير، الذي خلق الخلق؛ ذَكرهم وأنثاهم، وهو أعلم بهم وبما يُصلحهم وما يَصلح لهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

لكن لما اعتادت كثير من النساء هذا الخروج منذ الصغر ودرجن عليه، صعب عليهن تركه في الكبر.

ولا يشك المسلم أن امتثال أوامر الله مرتبط به ـ مع حَسَنة الآخرة ـ حَسَنةُ الدنيا؛ من السعادة والأنس وانشراح الصدر وراحة البال وطمأنينة القلب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وأن مخالفة أمره تعالى مرتبط بها ـ مع عقوبة الآخرة ـ عقوباتٌ في الدنيا؛ من الهموم والغموم والاكتئاب وقلة التوفيق، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ولهذا فإنَّنا نرى من قَلَّلْنَ الخروج من بيوتهن ـ امتثالًا لأمر الله ـ أسعد حالًا وأشرح صدورًا وأهنأ عيشًا وأكثر وئامًا وتوفيقًا، ولا عجب في هذا ولا غرابة.

وهذا كلام مفيد لبعض أهل العلم حول قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾:

﴿وَقَرْنَ﴾ من وَقَرَ يَقَرُ؛ أي: ثقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقًا، إنَّما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر، وما عداه استثناءً طارئًا لا يثقلن فيه ولا يستقررن، إنما هي الحاجة تقضى، وبقدرها.

والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى، غير مكدودة في غير وظيفتها التي هيّأها الله لها بالفطرة.

ولكي يهيئ الإسلام للبيت جوه ويهيئ للفراخ الناشئة فيه رعايتها، أوجب على الرجل النفقة، وجعلها فريضة؛ كي يتاح للأم من الجهد، ومن الوقت، ومن هدوء البال، ما تشرف به على هذه الفراخ الزغب.

فالأم المكدودة بالعمل للكسب، المرهقة بمقتضيات العمل، المقيدة بمواعيده، المستغرَقة الطاقة فيه.. لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها.

وبيوت الموظفات والعاملات لا تختلف كثيرًا عن جو الفنادق، وما يشيع فيها ذلك الأريج الذي يشيع في البيت.

فأريج البيت لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة، وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم.

والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها في العمل لن تطلق في جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال.

وإن خروج المرأة لتعمل.. كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة، أما أن يسارع إليها الناس وهم قادرون على اجتنابها؛ فتلك هي المصيبة.

ولقد كان النساء في عهد رسول الله ﷺ يخرجن للصلاة، وكان زمنًا فيه عفة، وفيه تقوى، وكانت المرأة تخرج إلى الصلاة متلفعة لا يعرفها أحد،

ولا يبرز من مفاتنها شيء، ومع هذا فقد كرهت عائشة رضي الله عنها لهن أن يخرجن بعد وفاة رسول الله ﷺ.

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ثم يرجعن متلفعات[١] بمروطهن ما يعرفن من الغلس»[٢]، وفي الصحيحين أيضًا أنها قالت: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل»[٣].

فماذا أحدث النساء في حياة عائشة رضي الله عنها؟ حتى ترى أن رسول الله ﷺ كان مانعهن من الصلاة؟ ماذا بالقياس إلى ما نراه في هذه الأيام؟ انتهى.

ومما يبين لك ـ وفقك الله ـ مكانة قرار المرأة في البيت وحب الله إياه: أنه خير للمرأة من خروجها إلى أفضل البقاع وهي المساجد، لأداء أفضل الأعمال وهي الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن**»[٤].

قال الدمياطي رحمه الله المتوفى سنة (٧٠٥هـ): «وقد صرح ابن خزيمة وجماعة من العلماء بأن صلاتها في دارها أفضل من صلاتها في المسجد وإن كان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس»[٥] انتهى.

---

(١) «**متلفعات**»: متلحفات أو متلففات. «**بمروطهن**»: جمع مِرط، وهو كساء من صوف أو خز، كانوا يأتزرون به. وقد تقدم تفسيره. «**الغلس**»: اختلاط ضياء الصبح بظلمة الليل مع غلبة الظلمة. «المؤلف»

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨)، ومسلم (٦٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٨٦٩)، ومسلم (٤٤٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥٤٦٨)، وأبو داود (٥٦٧)، وصدر هذا الحديث في صحيح مسلم (٤٤٢)، وقال في صحيح الجامع: حديث صحيح، رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم. «المؤلف»

(٥) المتجر الرابح ص (٨٧).

وقد عقد الدمياطي في كتابه «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» فصلًا بعنوان: «ثواب صلاة المرأة في بيتها» فقال: «عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**المرأةُ عورةٌ، وإنها إذا خرجتْ من بيتِها اسْتَشْرَفَها**[١] **الشيطانُ، وإنها لا تكونُ أقربَ إلى اللهِ منها في قَعْرِ بيتِها**» رواه الطبراني بإسناد جيد.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في حجرتِها**[٢]**، وصلاتُها في مِخْدَعِها**[٣] **أفضلُ من صلاتِها في بيتِها**»، رواه أبو داود وابن خزيمة.

والمراد: أن المرأة كلما استترت وبَعُدَ منظرها عن أعين الناس كان أفضل لصلاتها، فالرجل كلما بَعُدَ ممشاه وكثرت خطاه زاد أجره وعظمت حسناته، والمرأة كلما بعد ممشاها قل أجرها ونقصت حسناتها.

وعن أم حميد ـ امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما ـ أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: «**قد علمتُ أنكِ تُحِبينَ الصلاةَ معي، وصلاتُك في بيتِك خيرٌ من صلاتِك في حجرتِك، وصلاتُك في حجرتِك خيرٌ من صلاتِك في دارِك، وصلاتُك في دارِك خيرٌ من صلاتِك في مسجدِ قومِك، وصلاتُك في مسجدِ قومِك خيرٌ من صلاتِك في مسجدي**»، قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمِه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله ﷻ. رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان.

قلت ـ أي الدمياطي ـ: كان النساء في عهد رسول الله ﷺ إذا خرجن من بيوتهن يخرجن متبذلات متلفعات بالأكسية لا يُعرفن من الغلس، وكان إذا

---

(١) تطلَّع إليها وطمع فيها. «المؤلف»

(٢) هي ما يحتجر في المنزل خارج البيت وقرب الباب، ولعله يشبه ما يسمى عند الناس اليوم (بالملحق). «المؤلف»

(٣) قال الحافظ الدمياطي: «هو الخزانة تكون داخل البيت» ا.هـ قلت: الأشبه بذلك غرفتها الخاصة بها. «المؤلف»

سلم النبي ﷺ يقال للرجال: مكانكم حتى ينصرف النساء، ومع هذا قال رسول الله ﷺ: «إن صلاتهن في بيوتهن خير لهن»»، انتهى باختصار(١).

هذا، ولا تنسي ـ أعانك الله على طاعته ـ أن الحسنة تستتبع حسنات، والسيئة يتبعها سيئات.

فانظري إلى كثرة الخروج ماذا يترتب عليه، فغالبًا أنه لا يخلو من أن تترتب عليه مخالفات، كالتقصير في حق الأولاد أو حق الزوج، أو التأخر عن فريضة من الفرائض، أو التعرض لمجالس الغيبة واللغو، أو الاختلاء بالسائق، أو التعرض لنظرات الفساق وإيذائهم، كما أنه يتطلب الاستعداد له بكثرة اللباس وتنوعه، إلى غير ذلك من الأمور المكروهة أو المحرمة، ولو لم يكن فيه إلا أنه من الساعات التي سيسأل الله عنها كل عبد وكل أمَة فِيمَ أفناها لكان كافيًا.

ولذلك؛ فيا أمَة الله جاهدي نفسك في امتثال أمر الله، وأيقني بأن ما اختاره الله لك خير لك مما تشتهيه نفسك، ولا تقارني نفسك بالمقصرات فترين أنك كاملة، ولكن انظري إلى من هو أفضل منك وأكمل في التمسك بالدين وامتثال أوامر الله، سواء كانوا من المعاصرين أو من السالفين، فاقتدي بهم ونافسيهم: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وأبشرك بأن من حرص على امتثال أمر الله وجاهد نفسه في ذلك أعانة الله ووفقه ويسر له الطاعة؛ بل وحببها إلى نفسه، فطَعِم حينئذ طَعْم السعادة الحقيقية، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «من تَقَرَّبَ مني شبرًا تقربتُ منه ذرعًا، ومن تَقَرَّبَ مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَةً»(٢).

---

(١) ص (٨٥ ـ ٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٣٦)، ومسلم (٢٦٨٧) واللفظ له.

تحقيق التوحيد طريق الإصلاح

ما تقدم أمور تَعَيَّن التنبيه عليها، والرجل العاقل والمرأة اللبيبة إذا دُعيا إلى الله لَبَّيَا، وإذا نوديا استجابا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وليكن معلومًا أن أحكم منهج لبناء النفس وتربيتها وعلاج نقائصها وتصحيح أخطائها هو منهج النبي ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فمن أراد إصلاح نفسه وإصلاح غيره فليبدأ بما بدأ به النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لقد كانوا يبدأون بدعوة أقوامهم إلى التوحيد قائلين لهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

وما قد يكون في أقوامهم من انحرافات بارزة فإنهم لا يُغفلونها؛ بل يعالجونها مربوطة بذلك الأصل ـ التوحيد ـ، كما عالج شعيب عليه السلام انحراف قومه بتطفيف المكيال والميزان، وهكذا لوط وغيره عليهم السلام.

إن العبد إذا صح توحيده صحت باقي أحوله، وانقاد لأوامر الله واجتنب نواهيه، وإن وقع منه تقصير فسرعان ما يرجع.

أما إن اختل التوحيد فكالبناء الذي اختلت قاعدته وأساسه، لا يتحمل أن يقام عليه شيء.

ومما يبين منزلة التوحيد: أن كل كمال في المرء ـ كالقيام بحق كتاب الله والمحافظة على الصلوات والخشوع فيها والعطف على الأيتام والإحسان إلى المساكين والحرص على بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الخلق، وغير

ذلك من الأخلق الحميدة ـ فهو فرع عن التوحيد، وثمرة من ثمراته، ونتيجة من نتائجه.

وفي المقابل: فكل عيب ونقص أو تفريط في أي مجال من مجالات الخير فهو بسبب نقص في التوحيد وضعف فيه.

فلتكن أول خطوة لنا في إصلاح أنفسنا وإصلاح غيرنا: أن نراجع توحيدنا ونكمل نقصه.

وما من شك أن مجتمعنا ـ ولله الحمد ـ أفضل المجتمعات المعاصرة ـ في الجملة ـ وأقومها منهجًا وأصحها توحيدًا، فلقد تفيأ بحمد الله ظلال الدعوات الإصلاحية التي تَأَسَّتْ بالنبي ﷺ وسلكت مسلكه وعملت بوصيته في التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فنهجت منهج السلف الصالح، فقطف مجتمعنا من جنى تلك الشجرة الطيبة ثمرات يانعة لازال يتمتع بها وينعَم فيها.

ولكن لما خف شأن الدين في نفوس كثير من الناس، وزهدوا في العلم النافع الذي يُذَكِّر العبد بالغاية التي خلق لها ويبصره بالطريق التي يحقق بها تلك الغاية، وافتتنوا بالدنيا.. فحينئذ بهتت حقيقة التوحيد في نفوس كثير منهم، وصارت عندهم كأنها لقب يورث أو مجرد نسبة ينتسب إليها كما ينتسب إلى البلد والقبيلة.

وهذا الانحراف غاية في الخطورة؛ إذ هو متعلق بالأصل وبالأساس وبالقاعدة، فأي نقص يمسها يعود أثره ـ ولا بد ـ على ما يبنى عليه، وواكب ذلك تمامًا القصورُ في فهم الشرك، وقَصْرُه على بعض صوره.

فإن بعض الناس لما درسوا أن من أمثلة الشرك الأكبر: عبادةَ الأصنام، ودعاءَ الأموات، والذبحَ لغير الله؛ توهموا أن الشرك ينحصر في هذه الأفعال، وهم لأنهم سالمون منها فقد سلموا من الشرك الأكبر.

ولما درسوا ـ كذلك ـ أن من أمثلة الشرك الأصغر: الحلفَ بغير الله،

وقول: لولا اللهُ وأنت، وتعليق التمائم؛ توهموا أن الشرك الأصغر ينحصر فيها، ولأنهم سالمون منها فقد سلموا من الشرك الأصغر.

وبهذا ـ حسب هذا الفهم القاصر ـ فقد سلموا من الشرك كله كبيره وصغيره؛ إذن فقد حققوا التوحيد، ولا خوفَ عليهم من الشرك!

لو كان الأمر هكذا؛ فما تفسير خوف الأنبياء والصالحين على أنفسهم وبنيهم منه؟

ألم يَدْعُ إبراهيم ﷺ ـ وهو خليل الرحمن ومكسر الأوثان وأبو الأنبياء ـ ألم يَدْعُ ربه قائلًا: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؟

ألم يبتدئ لقمان وصاياه لابنه وهو يعِظه بتحذيره من الشرك؟ فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ولقد حذر النبي ﷺ أمته منه غاية التحذير، وبين خطره وشدة خفائه؛ حتى يتحرزوا منه ويحذروا الوقوع فيه. روي عنه ﷺ أنه قال: **«الشركُ في أمتي أخفى من دَبِيبِ النملِ على الصَّفَا»**(١).

إن صور الشرك أكثر من أن تحصر، إن من الشرك مراءاةَ المخلوقين، ومن الشرك الاعتماد على الأسباب، ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ومن الشرك إتيان الكهان والسحرة، ومن الشرك التشاؤم بالحيوانات أو الأزمنة أو الأمكنة وغيرها، ومن الشرك النظر في الأبراج لمعرفة المستقبل، ومن الشرك طاعة من حرم ما أحل الله، أو أحل ما حرم الله، ومن الشرك مولاة أعداء الله ومعادة أوليائه، ومن الشرك الإفراط في حب المال والأولاد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٦٠٦) بلفظ: «اتقوا هذا الشركَ؛ فإنه أخفى من دَبِيبِ النملِ»، وأخرجه العقيلي (٣/ ٦٠) في الضعفاء بلفظ: «الشركُ أخفى من دَبِيبِ النملِ على الصَّفَا في الليلةِ الظلماءِ»، وهو في مستدرك الحاكم (٣١٤٨): «الشركُ أخفى من دَبِيبِ الذَّرِّ على الصَّفَا في الليلةِ الظلماءِ»، قال في صحيح الجامع: حديث صحيح، رواه الحكيم الترمذي.

وغيرهما من المحبوبات، قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدينارِ وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الخَمِيصَةِ، إن أُعطيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتَقَشَ»(١).

هذا؛ وإن من محاسن ديننا: يُسْرَه ووضوحَه، ومن ذلك: وضوح أصله وقاعدته، وهي التوحيد، ولكنْ بسبب الإعراض عن تعليم الدين والاغترار بالدنيا قصّر من قصر في التوحيد ووقع في الشرك.

إن التوحيد الذي جاءت به الرسل ﷺ يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن تشهد أن لا إله إلا الله، فلا تعبد إلا إياه، ولا تتوكل إلا عليه، ولا توالي إلا له، ولا تعادي إلا فيه، ولا تعمل إلا لأجله(٢).

والشرك - وهو أعظم ذنب عُصي الله به - لا ينجو منه إلا من كمَّل توحيد الله، وعادى المشركين في الله، وتقرب إلى الله ببغضهم، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فأخلص حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله؛ متبعًا لأمره متطلبًا مرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهذا هو الذي حقق التوحيد وسلم من الشرك(٣).

هذا، وبالله التوفيق، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٤)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص (١٢).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥٤)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص (٢٠٨).

«السحر والعين والرقية منهما»

لِلشَّيْخ فَهْدِبْنِ سُلَيْمَانَ ٱلقَاضِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مُقَدِّمَة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد..

فقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يَخلق الإنسان في كَبَد وتعب ونَصَب، وأن يَجعل الدنيا دار عناء؛ تكفيرًا لذنوب المؤمنين ورفعة لدرجاتهم، وعذابًا للكافرين، وتنبيهًا للناس أجمعين؛ كي لا يركنوا إلى الدنيا ويطمئنوا إليها، بل يتطلعوا ويتشوقوا إلى دار يحيا أهلها فلا يموتون أبدًا، ويَصِحُّون فلا يسقمون أبدًا، ويشِبُّون فلا يهرمون أبدًا، ويَنْعَمُون فلا يبأسون أبدًا.

ومن هذه الابتلاءات التي يصاب بها بعض الناس: السحر والعين، وهما ثابتان بالشرع والحس، وفي الآونة الأخيرة تفشى هذان الداءان وكثر المشتكون منهما، والمسلم إذا تدبر كتاب الله عرف سبب الداء وسبيل الدواء.

أسباب الإصابة بالسحر والعين

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، فذنوبنا هي سبب ما أصابنا، فمنها:

١ ـ ضعف توحيد الله في القلوب:

والشرك لا يقتصر على صور معيَّنة، وبعض الناس إذا رأى نفسه سالمًا من بعض الأعمال الشركية ظن أنه قد كمل توحيده، وأنه سالم من الشرك كبيره وصغيره.

فالشرك الأكبر: صَرْفُ أيِّ عبادة لغير الله، والشرك الأصغر: كل وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر.

(إن صور الشرك أكثر من أن تحصر، إن من الشرك مراءاة المخلوقين، ومن الشرك الاعتماد على الأسباب، ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ومن الشرك إتيان الكهان والسحرة، ومن الشرك التشاؤم بالحيوانات أو الأزمنة أو الأمكنة وغيرها، ومن الشرك النظر في الأبراج لمعرفة المستقبل، ومن الشرك طاعة من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم الله، ومن الشرك موالاة أعداء الله ومعاداة أوليائه، ومن الشرك الإفراط في حب الأموال والأولاد وغيرهما من المحبوبات، قال رسول الله ﷺ «تَعِسَ عبدُ الدينارِ

وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الخَميصَةِ، إن أُعطيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتَقَشَ»(١))(٢).

فكما أن دعاء الموتى شرك، والذبح لغير الله شرك، والنذر لغير الله شرك، فأيضًا التوكل على غير الله والاعتماد عليه كما يُعتمد على الله شرك، واعتقاد الضر والنفع في غير الله شرك، وكذا من أحب شيئًا غير الله كما يحب الله فقد أشرك، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢ ـ ترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات:

كمن يتساهل بالصلاة ـ وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ـ، وإقامتُها ليس مجرد فعلها على أي وجه، إنما هو أداؤها قائمة على أتم الوجوه، وذلك بفعل شروطها وأركانها وواجباتها.

وهكذا من قصَّر في أي واجب أوجبه الله عليه، أو ارتكب نهيًا نهاه الله عنه فقد تسبب على نفسه بالمصائب والعقوبات.

٣ ـ الغفلة عن ذكر الله:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، معنى ﴿يَعْشُ﴾: يُعْرِض(٣).

لـمَّا أعرض كثير من الناس عن ذكر الله ﷻ وهجروا كتابه، وامتلأت بيوتهم بآلات اللهو والصور والغفلة، وعمروا أوقاتهم باللغو وما لا يفيد: تسلطت عليهم الشياطين فَأَزَّتْهُم إلى المعاصي، وأفسدت بين الأزواج المتحابين، والأصحاب المتصافين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) أفاده فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك. «المؤلف»

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢٢٨).

ولما خَلَتْ بيوتهم وقلوبهم من ذكر الله تسلل إليها الشيطان، فملأ القلوب بالوساوس والأوهام والشكوك، وملأ البيوت بالمشكلات والخصومات، فترى أحدهم حين يدخل بيته ينقبض صدره ويشمئز قلبه وتغيب ابتسامته، وبدل أن يقابل زوجته وأولاده بالتحية والابتسامة والحنان تراه يدخل بوجه عبوس مُتَجَهِّم ولسان سليط، وبمثل هذا أو نحوه تقابله زوجته، فيكثر الخصام وتثور المشكلات وتنقطع المودة والرحمة، ويحل محلها العتب والسخط والخصومة.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخلَ الرجلُ بيتَهُ فذكرَ اللهَ ﷻ عندَ دخولِه وعندَ طعامِه، قال الشيطانُ: لا مَبِيتَ لكم ولا عشاءَ، وإذا دخلَ فلم يذكرِ اللهَ عندَ دخولِه قال الشيطانُ: أدركتُم المبيتَ، وإذا لم يذكرِ اللهَ عندَ طعامِه قال: أدكتُم المبيتَ والعشاءَ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٨).

الجزاء من جنس العمل

هذه قاعدة مُطَّرِدَة متكررة في الثواب والعقاب، فمن بَرَّ والديه بَرَّه أولاده، ومن عَقَّ عُقَّ، ومن عَفَّ عن أعراض الناس عَفَّ الناس عن عرضه، والعكس، كما تَدِين تُدَان، وفي الحديث **«احفظِ اللهَ يحفظْكَ»**(١).

وهنا ـ في مسألة تفشي الشكوى من السحر والعين ـ نرى جَريان هذه القاعدة:

فلما ضعف توكل كثير من الناس على الله واعتمدوا على الأسباب: وُكِلُوا إليها، ومن وُكِلَ إلى غير الله خُذِل.

وبذل الأسباب ـ كالتداوي عند الطبيب ـ لا ينافي التوكل؛ لكنْ لا يجوز أن تعتمد على الطبيب أو يتعلق قلبك به؛ بل اعتمد على الله وحده وعلق قلبك به وحده سبحانه.

ووجه آخر ترى فيه انطباق قاعدة «الجزاء من جنس العمل»: أن كثيرًا من الناس طلبوا ما يمتع نفوسهم ولو كان بأمر محرم، كمشاهدة ما لا يجوز مشاهدته، أو استماع ما يحرم استماعه، أو السفر إلى البلاد التي تَفْشُو فيها المنكرات ويجاهَر فيها بالمعاصي، كل ذلك ونحوه طلبًا لتمتيع نفوسهم، فحينئذ عوقبوا بنقيض مقصودهم، وابتُلوا بالهموم والأمراض النفسية والاكتئاب والقلق؛ جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

وكذلك لما توسع بعض الناس في أمر استقدام الخادمات والسائقين،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦).

ولم يراعوا الضوابط الشرعية، وتساهلوا فيما يترتب على ذلك من محظورات ومخالفات؛ منها سفر الخادمة من بلادها من غير محرم، ومنها ما قد يحصل أحيانًا من خلوة الرجل بالخادمة، أو المرأة بالسائق، ونحو ذلك.. فحينئذ صار بعض هؤلاء الخدم والسائقين سببًا للإصابة بالسحر.

حكم السحر والإتيان إلى العرافين

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

«لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدَّعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء شأنهم الكفر والضلال لكونهم يدَّعون أمور الغيب.

وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «من أتى عَرَّافًا فسألَهُ عن شيءٍ لم تُقبلْ له صلاةٌ أربعينَ يوماً»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنًا فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ»، رواه أبوداود وخرجه أهل السنن الأربع، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس مِنَّا من تَطيَّرَ أو تُطيِّرَ له، أو تَكهَّنَ أو تُكهِّنَ له، أو سَحرَ أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهنًا فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ»، رواه البزار بإسناد جيد.

في هذه الأحاديث دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدعيان علم الغيب، وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه.

والمصدق لهم بدعواهم علم الغيب ويعتقد بذلك: يكون مثلهم، وكل من تلقى هذه الأمور عمن يتعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ.

والسحر من المحرمات الكفرية، كما قال الله ﷻ في شأن الملَكين في سورة البقرة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا

مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فدلت هذه الآية الكريمة على أن السحر كفر.

نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين، كما نسأله سبحانه أن يقي المسلمين شرهم، وأن يوفق المسلمين للحذر منهم وتنفيذ حكم الله فيهم حتى يستريح العباد من ضررهم وأعمالهم الخبيثة، إنه جواد كريم»، انتهى باختصار(١).

وجدير بالذكر هنا: التنبيه على خطأ فاحش يقع فيه بعض الناس ـ خاصة النساء ـ، وهو: ظنهم أن العطف ـ أي: عطف قلب الرجل على امرأته، أو المرأة على زوجها، بواسطة السحر ـ أنه لا يشمله الوعيد السابق؛ لأن القصد منه حسن!

وهذا خطأ فاحش، وجهل قبيح، فإن هذا من السحر الذي ورد فيه ما تقدم من التغليظ والوعيد الشديد.

فإن هذا ـ العطف ـ لا يحصل بأسباب مشروعة أو مباحة، وإنما يحصل بأعمال كفرية تُغضِب الله ﷻ وتُسخِطه، ثم إن هذا المعطوف قلبه ليس هو في حالة طبيعة يتصرف بإرادته ووعيه واختياره، وإنما قد قُسر قَسرًا وغُلب على عقله فأصبح في حالة مَرَضية، ولم يحصل المقصود الذي هو اجتماع القلوب والتواد والتحاب الذي يثمر الطمأنينة والسكن بين الزوجين.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧).

كيف تتقي شر السحر والعين؟

قد شرع الله سبحانه لعباده ما يَتَّقُون به شر السحر والعين قبل وقوعهما، وأوضح لهم سبحانه ما يعالجونهما به بعد وقوعهما؛ رحمة منه وإحسانًا إليهم وإتمامًا لنعمته عليهم.

❖ **فمن أسباب الحفظ والوقاية:**

١ ـ **التوكل على الله**: فهو أعظم ما تدفع به الآفات وأنفع ما تحصل به المطالب، فمن توكل على الله كفاه أموره كلها، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

٢ ـ **امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه**، فمن حَفِظَ الله في أوامره ونواهيه حفظه الله في دينه ودنياه وأهله وماله.

٣ ـ **كثرة ذكر الله**: من تلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، فهذا من أنفع ما يُحرز به العبد نفسه، وقد روى الإمام أحمد والترمذي عن النبي ﷺ أن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فذكر منها: «**وآمرُكم أن تَذْكروا اللهَ تعالى، فإن مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رجلٍ خرجَ العدوُّ في أثرِهِ سِراعًا، حتى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ فأَحْرَزَ نفسَهُ منهم، كذلك العبدُ لا يُحْرِزُ نفسَهُ من الشيطانِ إلا بذكرِ اللهِ تعالى**»(١).

ومن هذه الأذكار:

أ ـ قراءة آية الكرسي عندما تأوي إلى فراشك، فإنه لا يزال عليك من الله

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣).

حفيظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح(١). كما ورد الحث على قراءتها بعد كل صلاة مكتوبة(٢).

ب ـ قراءة سورة البقرة، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة(٣).

ج ـ قراءة خواتيم سورة البقرة، فمن قرأها في ليلة كفتاه(٤). والمعنى ـ والله أعلم ـ: كفتاه من كل سوء(٥).

د ـ الأذكار المرتبة عندما تصبح وعندما تمسي، وعند نزول منزل، ودخول البيت، والخروج منه، وركوب الراحلة، وغيرها من المناسبات(٦).

هـ ـ تعويذ الصبيان كما كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: **«أعيذُكُما بكلماتِ اللهِ التامَّةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ»**(٧).

---

(١) أخرج البخاري (٢٣١١) و(٥٠١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان. . . ، الحديثَ، وفيه: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، وفيه: فقال النبي ﷺ: **«أمَا إنه قد صَدَقَكَ وهو كذوبٌ، تَعلمُ من تخاطِبُ منذ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرةَ»**، قال: لا، قال: **«ذاك شيطانٌ»**.

(٢) أخرج النسائي في الكبرى (٩٨٤٨) عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: **«مَن قرأ آيةَ الكرسيِّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعْهُ من دخولِ الجنةِ إلا أن يموتَ»**.

(٣) أخرج مسلم (٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ، إن الشيطانَ ينفرُ من البيتِ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ»**.

(٤) أخرج البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨) واللفظ له، عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مَن قرأَ هاتينِ الآيتينِ مِن آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كَفَتَاهُ»**.

(٥) ينظر للفائدة: فتح الباري (٩/ ٥٦).

(٦) ينظر لمعرفة أذكار الصباح والمساء ونزول المنزل ودخول البيت والخروج منه وركوب الراحلة وغيرها من المناسبات: كتاب «الأذكار من كلام سيد الأبرار» للنووي رحمه الله، وغيره من الكتب المختصة بالأذكار.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٤٣)، وأبو داود (٤٧٣٧)، والترمذي (٢٠٦٠)، وأخرجه =

و ـ الإكثار من التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، في الليل والنهار وعند نزول أي منزل؛ في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر(١).

❖ **وهناك أسباب أخرى للوقاية: منها:**

• إمساك الصبيان ساعة الغروب، قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان جُنْحُ الليلِ** ـ أو أمسيتُم ـ **فكُفُّوا صبيانَكُم، فإن الشياطينَ تنتشرُ حينئذٍ، فإذا ذهبَ ساعةٌ من الليلِ فخَلُّوهم**»، رواه البخاري ومسلم(٢).

«**جُنْحُ الليلِ**»: إقباله بعد غروب الشمس(٣).

• تطهير البيت من الصلبان والتماثيل وصور ذوات الأرواح والكلاب، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تلك الأشياء(٤). وأيضًا: تطهيره من آلات اللهو والمعازف والغناء.

• أن يَتَصبَّح بسبع تمرات عجوة ـ وهو نوع من تمر المدينة ـ، فقد روى

= البخاري في صحيحه (٣٣٧١) ولفظه: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما، ويقول: «**إن أباكُما كان يُعَوِّذُ بها إسماعيلَ وإسحاقَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامّة**».

(١) أخرج مسلم (٢٧٠٨) أن النبي ﷺ قال: «مَن نزلَ منزلًا ثم قال: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خلقَ: لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يرحلَ من منزلِه ذلك»، وفي صحيح مسلم أيضًا (٢٧٠٩) أن رجلًا لدغته عقرب، فقال له النبي ﷺ: «أمَا لو قُلْتَ حينَ أمسيتَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خلقَ؛ لم تَضُرَّكَ».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٠٤)، ومسلم (٢٠١٢).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٨٥).

(٤) أخرج البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةُ تماثيلَ»، وفي سنن أبي داود (٤٢٣١): «لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه جرسٌ»، وفي سنن النسائي (٥٢٢٢): «لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه جُلْجُلٌ ولا جرسٌ».

البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال: «**من تَصَبَّحَ بسبعِ تَمَرَاتٍ عجوةً: لم يَضُرَّهُ ذلك اليومَ سُمٌّ ولا سحرٌ**»[١].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: هذا يعم جميع تمر المدينة؛ لقوله ﷺ في رواية مسلم: «**مما بين لابتيها**[٢]»، ويرجى أن يعم ذلك جميع أنواع التمر؛ فإن المعنى موجود فيه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٩)، ومسلم (٢٠٤٧).

(٢) اللابة: الحَرَّة، وهي أرض تعلوها حجارة سوداء، والمدينة النبوية تقع بين حَرَّتين. «المؤلف»

(٣) ينظر: فتاوى نور على الدرب (٣/ ٢٩٧).

العلاج

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن أنفع علاجات السحر: الأدوية الإلهية؛ بل هي أدويته النافعة بالذات، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله مغمورًا بذكره، وله من الدعوات والأذكار والتعوذات وِرْدٌ لا يُخِلُّ به، يطابِق فيه قلبُه لسانَه: كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه»(١).

ومن السور التي يرقى بها:

١ ـ الفاتحة:

فقد كان جماعة من الصحابة مسافرين فمروا بقبيلة قد لدغ سيدهم فرقاه أحد الصحابة بالفاتحة، فقام كأنما لم يصبه شيء، فلما أخبروا النبي ﷺ تبسم وصوَّب فعله(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «ولقد مَرَّ بي وقت بمكة سَقِمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليه مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفعُ بها غاية الانتفاع»(٣).

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١١٦) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٦٤).

٢ ـ المعوذتان:

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة ﵂: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث»(١).

قال ابن القيم ﵀: «والمقصود الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًّا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَّفَس والطعام والشراب واللباس»(٢).

❖ ومن الأدعية المأثورة:

١ ـ **«اللهمَّ ربَّ الناسِ، أَذْهِبِ البأسَ، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُكَ، شفاءً لا يغادِرُ سَقَمًا»**(٣).

٢ ـ تضع يدك على الذي يَأْلَمُ من جسدك، وتقول: بسم الله ـ ثلاثًا ـ، وتقول سبع مرات: **«أعوذُ بعزةِ اللهِ وقدرتِه من شرِّ ما أجدُ وأحاذرُ»**(٤).

٣ ـ «بسمِ اللهِ أرقيكَ، من كلِّ شيءٍ يؤذيكَ، من شرِّ كلِّ نَفْسٍ أو عينِ حاسدٍ، اللهُ يشفيكَ، بسمِ اللهِ أرقيكَ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٧٠١ ـ ٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(٤) أخرج ابن ماجه (٣٥٢٢) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي ﵁ أنه قال: قدمت على النبي ﷺ وبي وجع قد كاد يُبْطِلُني، فقال لي النبي ﷺ: **«اجعلْ يدَكَ اليمنى عليه، وقلْ: بسمِ اللهِ، أعوذُ بعزةِ اللهِ وقدرتِه من شرِّ ما أَجِدُ وأحاذرُ، سبعَ مراتٍ»**، فقلت ذلك، فشفاني الله. وأخرجه مسلم وأصحاب السنن وغيرهم بألفاظ قريبة.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

❖ **ومن العلاج النافع للسحر ـ وغيره من البَلِيَّات ـ:**

التوبة إلى الله ﷻ، وكثرة الاستغفار، فالذنوب هي سبب المصائب، والتوبة هي الدواء، قال نبي الله صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

فحاسب نفسك، وفَتِّشْ في أمورك، ستجد أنك أُتيت من قِبَلِ نفسك: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ومن علاج السحر أيضًا ـ وهو من أنفع علاجه ـ: بذل الجهود في معرفة موضع السحر؛ في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عُرف واستُخرج وأُتلف: بطل السحر. ولا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين واستعمال ما يقولون؛ لأنهم لا يُؤْمَنون، ولأنهم كَذَبة فَجَرة، يَدَّعون علم الغيب، ويُلَبِّسون على الناس، وقد حَذَّر الرسول ﷺ من إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم»[1].

❖ **علاج من حُبس عن جماع أهله:**

مع الأسباب المتقدم ذكرها، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ومن علاج السحر بعد وقوعه ـ وهو علاج نافع للرجل إذا حُبس من جماع أهله ـ: أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغُسل ويقرأ فيها آية الكرسي، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

وآيات السحر التي في سورة الأعراف، وهي قوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧ ـ ١١٩].

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٢٨٠).

والآيات التي في سورة يونس: وهي قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٧٩ ـ ٨٢].

والآيات التي في سورة طه: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٥ ـ ٦٩].

وبعد قراءة ما ذُكر في الماء يشرب بعض الشيء، ويغتسل بالباقي، وبذلك يزول الداء إن شاء الله تعالى.

وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء»[(١)].

❖ **علاج من أصيب بالعين:**

١ ـ يُرقى بالقرآن والدعوات الطيبة ـ كما تقدم ـ.

١ ـ يَسْتَغْسِل من يظن أنه هو العائن، لقول النبي ﷺ: «**العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابَقَ القدرَ سبقتْهُ العينُ، وإذا استُغْسِلْتُم فاغسِلُوا**»، رواه مسلم[(٢)].

وصفة الاستغسال ـ كما ورد في الحديث[(٣)] ـ:

يؤمر العائن أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبته وداخلة إزاره، ثم يصب على الـمَعين ـ أي المصاب بالعين ـ.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٨).

(٣) أخرج أحمد في مسنده (١٥٩٨٠): اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلًا أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبأة، فلُبِطَ بسهل، فأُتي رسول الله ﷺ، فقيل له: يا رسول الله، هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه، وما يفيق، قال: «**هل تتهمونَ فيه مِن أحدٍ؟**» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامرًا، فتغيظ عليه، =

وفي لفظ: «يَكْفَأ الإناء من خلفه»[1]؛ أي: من خلف المَعين، يعني يصب عليه بغتة.

وقوله: «داخلة إزاره»[2]؛ فسرها بعض أهل العلم: بطرف الإزار الداخلي الذي يلامس الجسد[3].

قال فضيلة الشيخ محمد العثيمين ﵀: «ولعل مثلها: داخلة غترته وطاقيته وثوبه، والله أعلم»[4].

التداوي بالرقية من جميع الأمراض

كان النبي ﷺ إذا اشتكى رقى نفسه، فعن عائشة ﵂ «أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث»، رواه البخاري ومسلم.

فالرقية علاج لكل ما يَعرض للإنسان من الأمراض الجسدية والنفسية.

وها هنا أربعة أمور:

١ ـ أن يرقي المرء نفسه، وهذا ثبت من فعل النبي ﷺ ـ كما تقدم ـ.

٢ ـ أن يرقي غيره، وهذا إحسان إلى الناس، والله تعالى يحب المحسنين، وقد روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

= وقال: «عَلَامَ يَقتلُ أحدُكم أخاهُ؟ هَلَّا إذا رأيتَ ما يُعجبُكَ بَرَّكْتَ؟» ثم قال له: «اغتسِل له»، فغسل وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، يصبه رجل على رأسه، وظهره من خلفه، ثم يُكْفِئ القدح وراءه، ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس. ورواه أبو داود وابن ماجه وغيرهم بألفاظ متقاربة.

(١) كما عند ابن ماجه في سننه (٣٥٠٩).

(٢) كما عند أحمد في مسنده (١٥٩٨٠).

(٣) ينظر: فتح الباري (١١/ ١٢٦).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين (٢/ ١١٨).

٣ ـ أن يرقيه غيره ـ من غير طلب منه ـ: وهذا جائز، فقد روى مسلم أيضًا عن عائشة ﵂ قالت: «كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل ﵇، قال: باسم الله يُبْرِيك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، ومن شر كل ذي عين».

٤ ـ أن يسترقي ـ يعني: أن يطلب من غيره أن يرقيه ـ: وهذا تَرْكُه من كمال التوكل، وقد وصف النبي ﷺ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب بأنهم لا يَسترقون ولا يَكتبون ولا يَتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. رواه البخاري ومسلم.

وهذا ـ أي: الاسترقاء ـ مثل أن يذهب المرء إلى من يرجو أن يُجاب دعاؤه لصلاحه وتقواه وإطابته مطعمه لأجل أن يرقيه.

والناظر في أحوال الناس اليوم يرى كثيرًا منهم يهرعون إلى كل من ادعى أنه رَاقٍ، وقد لا يكون من أهل الصلاح؛ بل قد يكون من أهل الشعوذة والكهانة، وذلك لمَّا عم الجهل وهان على كثير من الناس أمر دينهم فلم يمحصوا ولم يتحروا، فأتاح هذا مجالًا واسعًا ومرتعًا خصيبًا لبعض الفساق في أن يَدَّعوا الرقية الشرعية وهم ليسوا من أهلها؛ بل أفسح المجال لبعض الدجالين والمشعوذين.

لذا؛ فاحرص يا أيها المسلم على أن ترقي نفسك، واعلم أن الله ﷻ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وكونك تعتذر بأنك مذنب ومقصر وتخاف ألا يستجاب دعاؤك هذا أمر حسن؛ لكن لا يتم حُسْنُه حتى تجمع مع هذا الخوفِ الرجاءَ، لتكون حالك حالًا صحيحة موافقة للشرع، فكما أنك تخاف ذنوبك فارْجُ رحمة الله، وإذا أحسن العبد ظنه بربه وأحسن العمل واجتهد في إصلاح حاله والتوبة من الذنوب فإن رحمة الله قريب من المحسنين، وفي الحديث القدسي: «**أنا عندَ**

ظَنِّ عبدِي بي»، رواه البخاري ومسلم[١]، فَحَسِّنْ ظنك بربك، واحذر من الظن السوء به ﷻ.

❖ **وفي رقيتِكَ نفسَك فوائد؛ منها:**

١ ـ كمال الاتباع للنبي ﷺ، فقد كان إذا اشتكى هو أو أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات[٢].

٢ ـ أنه أكمل للتوكل.

٣ ـ أنه أقرب إلى إجابة الدعاء، فلن يجتهد أحد في الدعاء ويتحمس للإجابة كما تجتهد أنت وتتحمس؛ حيث إنك أنت صاحب الحاجة.

٤ ـ أنه أدعى للسلامة من الانخداع ببعض الدجالين.

٥ ـ أنه أحفظ للنساء ـ حين ترقي أهلك أو يرقين أنفسهن ـ، وأدعى لصيانتهن من التعرض للرجال الأجانب.

❖ **كيف ترقي نفسك؟**

وكيفية الرقية: أن تقرأ الفاتحة ثم تنفث على الموضع الذي يألم من جسدك ـ أو على مريضك الذي تريد رقيته ـ، وهكذا تقرأ سورة (الفلق) ثم سورة (الناس) أو غيرها من السور والآيات التي يرقى بها، وكذلك الأدعية المشروعة.

❖ **كيف تفرق بين الكهانة والسحر والشعوذة وبين الرقية الشرعية؟**

مما قد يميز الكاهن والساحر والمشعوذ من القارئ قراءة شرعية أمور؛ منها:

١ ـ أن يسأل عن اسم المريض واسم أمه.

٢ ـ أن يأخذ أثرًا من المريض كطاقيته.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢).

٣ ـ أن يطلب ذبح حيوان بصفات معينة، وربما أمر بتلطيخ مواضع من البدن بالدم.

٤ ـ كتابة الطلاسم أو الحروف المقطعة.

٥ ـ التمتمة بكلام غير مفهوم.

٦ ـ إعطاء المريض أشياء يدفنها في الأرض أو يخفيها في المنزل.

٧ ـ إخبار المريض بمعلومات خاصة عنه.

٨ ـ ظهور علامات الفسق عليه، كحلق اللحية وإسبال الثوب وإطالة الشارب والتكاسل عن صلاة الجماعة.

وهناك علامات كثيرة غير هذه.

تنبيهات

○ لِيَكُنْ قصدك من الإتيان بالأذكار: تعبد الله والرغبة فيما عنده من الثواب والأجر الجزيل، وما يحصل من النفع الدنيوي ـ كحفظك من الآفات وحفظ أهلك ومالك ـ يكون تبعًا، فلا يصح أن يكون المقصد من تلك الأذكار مجرد حصول النفع الدنيوي.

○ إذا علمت عن ساحر أو كاهن أو عراف فيجب عليك أن تبلغ عنه الجهات المسؤولة ـ كمراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ؛ لقول النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فلْيُغَيِّرْهُ بيدِه، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»** رواه مسلم(١).

○ بروج الحظ ـ أبراج النجوم ـ التي تكتب في بعض الصحف والمجلات هي من التنجيم المحرم؛ لأنها ادعاء لعلم الغيب الذي لا يعلمه

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

إلا الله، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من اقتبسَ علمًا من النجومِ اقتبسَ شُعبةً من السحرِ، زادَ ما زادَ»**(١).

○ مَن أُعجب بشيء فخاف من نفسه أن يصيب غيره بالعين فعليه أن يُبَرِّك، فقد قال النبي ﷺ لرجل عان آخر - أي: أصابه بعينه -: **«ألا بَرَّكْتَ»**(٢)، وفي حديث آخر: **«إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرك عليه؛ فإن العين حق»**، رواه الإمام أحمد والحاكم وغيرهما(٣)، وفي رواية **«فليدع له بالبركة»**(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: «يقول: اللهمَّ بارك عليه»(٥)، وقال ابن عبد البر: «والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهمَّ بارك فيه»(٦).

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٤٠)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩٨٠) في قصة سهل بن حنيف، وسبق ذكرها.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٧٠٠)، والحاكم في مستدركه (٥٧٤٢)، في قصة سهل بن حنيف.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٥٠٩).

(٥) زاد المعاد (٤/ ١٥٦).

(٦) التمهيد (٦/ ٢٤١).

وينظر للاستزادة: كتاب النذير العريان لتحذير المرضى والعالجين بالرقى والقرآن.
وكتاب الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة.

«عواصم من الفتن»

لِلشَّيْخ فَهدِ بْنِ سُلَيمانَ ٱلقَاضِي

رَحمَهُ ٱللهُ

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اقتضت حكمة الله جلَّ وعلا أن يبتلي عباده بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، وفي الفتن تطيش العقول، وتضطرب المواقف، وتكثر البلبلة.

وللثبات على الحق - زمن الفتن - أسباب، لعل فيما يلي عونًا على تحصيلها:

١ - قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، فلا يُخاف علينا أكثر من ذنوبنا، إذن فلنُبادر بالتوبة.

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فالتوكل على الله أعظم سبب لأن يكفي العبد ما أهمّه من أمور دينه ودنياه. جاء في «سير أعلام النبلاء»[(١)]: «قال أبو تراب: سمعتُ حاتمًا[(٢)] يقول: لي أربع نسوة وتسعة أولاد، ما طمع شيطانٌ أن يوسوس إليَّ في أرزاقهم».

٣ - قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالتوحيد سبب الأمن، كما أن الشرك سبب الخوف مهما توافرت للعبد أسباب الأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٥).

(٢) هو حاتم الأصم، ينظر في ترجمته: المرجع السابق (١١/ ٤٨٤).

٤ ـ الدعاء سلاح عظيم، تسلَّح به الأنبياء والصالحون، فلْيُجْتَهَد فيه، ولْيُحَثَّ الناس عليه؛ خاصة كبار السن، ومن يرُجى فيهم الصلاح، قال رسول الله ﷺ: «**هل تُنصرونَ وتُرزقونَ إلا بضعفائِكم**»، رواه البخاري[(١)]، ورواه النسائي ولفظه: «**إنما يَنصرُ اللهُ هذه الأمةَ بضعيفِها؛ بدعوتِهم وصلاتِهم وإخلاصِهم**»[(٢)].

٥ ـ قال رسول الله ﷺ: «**احفظِ اللهَ يحفظْكَ**»[(٣)]، فمن حفظ الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: حفظه الله في نفسه وأهله وعرضه وماله.

٦ ـ بالشكر تُحفظ النعم؛ بل تُزاد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ولْيُحذر من الإسراف والترف، ومن حياة اللهو والعبث.

٧ ـ الاجتهاد في العبادات سبب لتثبيت العبد وتوفيقه إلى الصواب، وأن يُحفظ من الفتن؛ بخلاف الغافل المقصر، فإنه يُخاف عليه أن تَزِلَّ قدمه وتُضِلَّه الفتن.

كما أن للعبادة وقت الفتن شأنًا وفضلًا، قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمالِ فِتَنًا كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبحُ كافرًا، يبيعُ دِينَه بعرَضٍ من الدنيا**»، رواه مسلم[(٤)]، وقال ﷺ: «**العبادةُ في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ**»، رواه مسلم[(٥)].

قال النووي رحمه الله: «المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٣١٧٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦).

(٤) أخرجه مسلم (١١٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

وسبب كثرة فضل العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد» انتهى(١).

وأخرجه الإمام أحمد بلفظ: «**العبادةُ في الفتنةِ كالهجرةِ إليّ**»(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: «وسبب ذلك: أن الناس في زمن الفتنة يتبعون أهواءهم، فلا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه، ويعبد ربه، ويتبع مراضيه، ويجتنب مساخطه: كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا متبعًا لأوامره مجتنبًا نواهيه» انتهى(٣).

للنصر أسباب

منها:

١ ـ ما تضمنه قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].

٢ ـ **الصبر**: قال رسول الله ﷺ: «**واعلمْ أنَّ النصرَ مع الصبرِ**»(٤).

٣ ـ **العدل**: قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي ﷺ: «**ليس ذنبٌ أسرعَ عقوبةً من البغي وقطعيةِ الرحمِ**»» انتهى(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣١١).

(٣) لطائف المعارف ص (٢٥٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٠٣)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣) واللفظ له، والحاكم في مستدركه (٦٣٠٤).

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٢٣).

فليتخلص العبد من مظالم العباد، وليرد إلى أصحاب الحقوق حقوقهم؛ خاصة المستضعفين، كالخدم والعمال ونحوهم.

٤ ـ من المهم أن يدرك المرء سبب عداوة أعدائنا لنا، وأن يعرف هدفهم وغايتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، فلا تكفيهم التنازلات مهما كثرت وعظمت، إلا أن يرتد المسلمون عن دينهم. فالظن أن حربهم لنا لمجرد دوافع اقتصادية أو أهداف توسعية: تهوينٌ لشأن المعركة، وهو أمر يفرح به العدو.

❁ ❁ ❁

لتسليط العدو أسباب

١ ـ معادة أولياء الله، قال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ: مَن عادي لي وليًّا فقد آذنتُه بالحربِ**»، رواه البخاري[(١)].

٢ ـ أكل الربا، قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

وعمومًا؛ فإن سبب التسليط: الذنوب، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال ابن القيم رحمه الله: «والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب: أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم، وفَشَتْ فيهم، واشتغلوا بها، إلا سَلَّط الله عليهم العدو، وبُلوا بالقحط والجدب، وولاة السوء» انتهى[(٢)].

٣ ـ من أخطر الأدواء وأفتك الأمراض: التفرق، فَلْيُسْعَ إلى كلِّ ما من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٠٠).

شأنه جمع الكلمة، قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلونَ الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»**[(١)].

ولذلك أسباب منها: الرجوع إلى أهل العلم الربانيين، والصدور عن رأيهم ومشورتهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

٤ ـ ومن الأحداث المتكررة في التاريخ: مواقف المنافقين إذا حضر العدو وكانت الريح له، فإنهم يوالونه ويعينونه على المسلمين، ويدلونه على نقاط الضعف فيهم، وأيضًا يغتنمون انشغال المصلحين، فيقررون أوضاعًا وقرارات تخالف الشرع، وذلك مما يوجب الحذرَ منهم، وفضحَهم، وتحصينَ الناس من كيدهم.

على كل مسلم أن يقوم بواجبه من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ينتبه إلى ألا يكون الانشغال بالأهم مدعاة لترك المهم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(١) أخرجه مسلم (٥٤).

«الغيرة والحياء»

لِلشَّيخ فَهدِبنِ سُلَيمَانَ ٱلقَاضِي
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن من محاسن ديننا الاهتمامَ بمكارم الأخلاق، يقول النبي ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لأُتممَ صالحَ الأخلاقِ**»، رواه الإمام أحمد[1].

ولما بُعث النبي ﷺ أَقَرَّ ما كان عليه الجاهليون من أخلاق حسنة، وألغى ما كانوا عليه من أخلاق رديئة، وهذب ما كان يحتاج إلى تهذيب.

ومن مكارم الأخلاق التي كان الجاهليون يتَحَلَّوْنَ بها: غيرة الرجل على محارمه؛ بل كان بعضهم يشتط في هذا الأمر ويبالغ فيه، حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يَئِدَ بنته خوفًا من أن تقع في الفاحشة إذا كبرت، فحرم الشارع هذا، وهذب جانب الغيرة وحَسَّنه، وجعله من شعب الإيمان[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٩٥٢).

(٢) وطلق أعرابي امرأته لما رأى أُناسًا ينظرون إليها، فعُوتب في ذلك، فقال:

وأترك حبها من غير بغض ... وذاك لكثرة الشركاء فيه

إذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماءٍ ... إذا رأت الكلاب وَلَغنَ فيه

«المؤلف»، وينظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري (١/ ١١)، حراسة الفضيلة ص (٨٩).

قال رسول الله ﷺ: «**لا شيءَ أغيرُ من اللهِ**»، رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم[١].

وقال ﷺ: «**إن اللهَ تعالى يغارُ، وإن المؤمنَ يغارُ، وغيرةُ اللهِ أنْ يأتيَ المؤمنُ ما حَرَّمَ عليه**»، رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم[٢].

وقال ﷺ في خطبته لما كسفت الشمس: «**يا أمةَ محمدٍ، ما أحدٌ أغيرَ من اللهِ...**»، الحديث، رواه البخاري ومسلم[٣].

وقال ﷺ: «**إنَّ من الغيرةِ ما يُحبُّ اللهُ**» الحديثَ، رواه الإمام أحمد وأبو دواد والنسائي[٤].

ولما قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غيرَ مُصْفَح، قال النبي ﷺ: «**أتَعجبونَ من غيرةِ سعدٍ؟ لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مني**»، رواه البخاري ومسلم[٥].

ومعنى «غير مُصْفَح»: أن يضربه بحد السيف لا بعرضه، فالذي يضرب بحد السيف يقصد القتل؛ بخلاف الذي يضرب بعرض السيف فإنه يقصد التأديب[٦].

ولقد تحقق الصحابة رضي الله عنهم بهذا الأدب النبوي وتمسكوا به، شأنُه شأن غيره من واجبات الإيمان وشعبه، فلم يكن غريبًا من أحدهم أن يَقتل أو يُقتل بسبب المحافظة على هذا الأمر.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٩٤٣)، والبخاري (٥٢٢٢)، ومسلم (٢٧٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٩٥٠)، والبخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١) واللفظ لأحمد ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٢١) واللفظ له، ومسلم (٩٠١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٧٤٧)، وأبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي في المجتبى (٢٥٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٦٨٤٦) واللفظ له، ومسلم (١٤٩٩).

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٣١)، فتح الباري (٩/ ٣٢١).

روى ابن هشام أن امرأة من العرب قَدِمَتْ بجَلَب لها[١]، فباعته بسوق بني قينقاع ـ إحدى قبائل اليهود ـ، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ـ وهي لم تشعر ـ، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ ـ وكان يهوديًا ـ فقتله، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فسار إليهم النبي ﷺ وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فأجلاهم إلى الشام[٢].

وعلى هذا مضى سلف الأمة، ولم يتنازل المسلمون في هذا الخُلق أو يفرطوا فيه؛ حتى في فترات الضعف التي مرت بها الأمة الإسلامية.

فحينما احتل الصليبيون بعض بلاد المسلمين في الشام ودام احتلالهم لها قرابة قرنين من الزمان، وهي فترة قد تُلقِي في بعض النفوس الظن أنهم باقون أبدًا حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، في تلك الفترة سجل المؤرخون أن المسلمين كانوا ينظرون إلى النصارى نظرة احتقار وازدراء، وكان من وصفهم له أنهم «ديابيث، يكون الواحد منهم سائرًا مع زوجته في الطريق فتلتقي بصديق لها، فيتنحى الزوج ليتيح للمرأة أن تتحدث مع صديقها ما شاءت من الحديث».

❁ ❁ ❁

صور من التفريط في الغيرة والتقصير فيها

ومجتمعنا نحن وإن كان خيرًا من كثير من المجتمعات إلا أن بعض أفراده يقصِّر في هذا الواجب واجبِ الغيرة، فمن صور التقصير:

- أن ترى أحدهم يكون في سيارته فتنزل زوجته وتحادث البائع وتضاحكه وقد لا يحرك هذا فيه ساكنًا.

---

(١) ما يُجلب للأسواق ليباع فيها. «المؤلف»

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٨) ت: السقا.

• وترى أحدهم تختلي امرأته بالرجال الأجانب؛ بالسائق في السيارة، أو بالبائع في المتجر، أو بالطبيب في العيادة، أو غير ذلك، ولا يرى في هذا غضاضة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ**»، رواه الإمام أحمد والترمذي(١).

• ومن ذلك: ترك الرجل امرأته ومن في ولايته يلبسن من الملابس ـ عند خروجهن من البيت ـ ما يُظهر بعض البدن أو يُجَسِّده أو يصف البشرة.

• ومن صور التفريط في الغيرة: اصطحاب الرجل امرأته ومحارمه إلى أماكن تكون المرأة فيها عرضة للاحتكاك بالرجال بأبدانهم، أو تكون عرضة لإطلاق أبصارهم عليها.

• ومن صور خفة الغيرة لدى الرجل: تركه امرأته تسافر بدون محرم، قال رسول الله ﷺ: «**لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها محرمٌ، ولا تسافرُ المرأةُ إلا مع ذي محرمٍ**»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكْتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا، قال: «**انطلقْ فحُجَّ مع امرأتِك**»، رواه البخاري ومسلم(٢).

فهذا مجاهد في سبيل الله أَمَرَه النبي ﷺ أن يعدل عن الغزو في سبيل الله كي يرافق امرأته التي خرجت في سفر فاضل هو سفر الحج، ومع رفقة هم من أزكى الناس وأتقاهم، ثم إنها قد خرجت ومضت، ومع كل هذا قال رسول الله ﷺ: «**انطلقْ فحُجَّ مع امرأتِك**».

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٦٩٦)، والترمذي (٢١٦٥) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) واللفظ له.

أسباب ما سبق

ما تقدم ذكره من الصور حكاية لواقع حاصل ومشاهد، ومع هذا فالصبغة الغالبة ـ ولله الحمد ـ هي المحافظة على الأعراض والغيرة عليها؛ فما سبب ما يحصل من بعض الناس من ضعف الغيرة وقِلة الحياء؟

قبل الخوض في ذلك لعلنا نُلقي بعض الضوء على مكانة الحياء ومنزلته في الدين.

الحياء

الحياء شعبة من شعب الإيمان كما جاء ذلك في الحديث عن النبي ﷺ[(١)]، فمن قَلَّ حياؤه نقص إيمانه، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: **«الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ»**[(٢)]، وفي روايةٍ لمسلم: **«الحياءُ خيرٌ كلُّه»**، أو قال: **«كلُّه خيرٌ»**[(٣)].

ويروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: «إن الله إذا أراد بعبد هلاكًا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مَقيتًا مُمَقَّتًا»[(٤)].

وقال الشاعر:

فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
يعيش المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقى العُودُ ما بقي اللحاءُ

وقال آخر:

إني كأني أرى من لا حياءَ له ... ولا أمانةَ وسط الناسِ عريانَا

---

(١) روى البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن النبي ﷺ أنه قال: **«الحياء شعبة من الإيمان»**.
(٢) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).
(٣) أخرجه مسلم (٣٧).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١١٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٤).

❖ **ولخفة الحياء ـ لدى المرأة على وجه الخصوص ـ أسباب**

منها:

١ ـ التساهل في التربية عليه منذ الصغر، فمن شَبَّ على شيء شاب عليه، كما قيل:

إن الغصونَ إذا قوَّمتها اعتدلتْ ... ولا تلين إذا كانت من الخشبِ

٢ ـ كثرة احتكاك المرأة بالرجال الأجانب، وكثرة التحدث معهم.

٣ ـ مخالطة من قَلَّ حياؤهم، أو تَكَرُّرُ رؤيتهم؛ سواء كان ذلك ناتجًا عن السفر إلى الخارج، أو برؤيتهم في الأسواق والمنتزهات، أو مشاهدتهم في المسلسلات، أو نحو ذلك؛ فإن الأخلاق ـ حسنها وسيئها ـ تكتسب بالمخالطة.

٤ ـ ولعل من أهم الأسباب: كثرة خروج المرأة من بيتها، قال الله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وروى الطبراني بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال: «**المرأةُ عورةٌ، وإنها إذا خرجتْ من بيتِها استشرفَها الشيطانُ**[١]**، وإنها لا تكونُ أقربَ إلى اللهِ منها في قَعْرِ بيتِها**»[٢]. وقال النبي ﷺ: «**لا تمنعوا نساءَكم المساجدَ، وبيوتُهُنَّ خيرٌ لهن**»، رواه الإمام أحمد وأبو داود[٣].

قال الحافظ الدمياطي رحمه الله: «قد صرح ابن خزيمة وجماعة من العلماء بأن صلاتها في دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وإن كان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس» انتهى[٤].

ولينتبه العاقل الفطن إلى أن ما وصل إليه الأمر في بعض بلدان المسلمين

---

(١) «استشرفها»: تطلّع إليها، وطمع بها. «المؤلف»

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٨٩٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥٤٦٨، ٥٤٧١)، وأبو داود (٥٦٧).

(٤) المتجر الرابح ص (٨٧).

من التفسخ والتبذل لم يحدث دفعة واحدة، إنما بدأ - في الغالب - بدايات ساذجة حتى آل الأمر إلى ما آل إليه، فخذ حذرك.

وبعد؛ فيا أيها المسلم! حقق شهادتك أن محمدًا رسول الله ﷺ، بأن تصدقه فيما أخبر، وتطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر، وإياك أن تخالف أمره اتباعًا للهوى، أو مجاراة لأحد، أو لغير ذلك من الأسباب، فقد قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

«فضل الدعوة إلى الله»

لِلشَّيخ فَهدِبنِ سُلَيمانَ ٱلقَاضِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فههنا مسائل:

❖ **المسألة الأولى:**

أن المؤمن عبد لربه، ليس مسؤولًا عن النتائج، عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر - إذا وجد ما يقتضيه - بالطرق الشرعية، والنتائج لم يكلف بها.

❖ **المسألة الثانية:**

يتعاون مع إخوانه الصالحين، ويتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ومَن نَابَهُ شيء من الفتور والتقصير فإنه يُعان على نفسه.

❖ **المسألة الثالثة:**

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا في جميع التكاليف الشرعية، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسماحةُ الشريعة ويسرها يَعُمُّ جميع واجباتها، ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❖ **المسألة الرابعة:**

لا يُحْبَط مِن موقف إخوانه إذا لم يستجيبوا له بالصورة التي يُؤَمِّلُهَا؛ مستحضرًا وموقنًا أن الأمر لله، فإن تنشطوا لما تدعوهم إليه فهذا من الله وله الحمد، وإن لم يستجيبوا - بصورة أو بأخرى - وأخذوا يُكثرون من لوم الواقع، ويكررون عبارات:

تكاثرت الضباء على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

و«اتسع الخَرْق على الراقع»، ونحو هذه العبارات، أو جامَلوك في

طرحك مجردَ مجاملة، لكنْ تحولت مجالسهم إلى مجالس تَشَاكٍ وتَبَاكٍ ولومٍ للواقع وتنديد به، دون مساعٍ جادّة، أو نحو ذلك من الصور، فلا يحبطْك ذلك، أو يُفْضِ بك إلى العتبِ على إخوانك وهجرهم، ولا يصرفْك عن السير على منهج أهل السنة والجماعة؛ متذكرًا ما قاله السلف: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»(١).

واحذر أن تُفْرِطَ في إحسان الظن بنفسك، وتَزْكِيَة كل آرائك ونظراتك واجتهاداتك، فإن هذا مزلق خطير يؤول بالعبد إلى مآلات منكرَة، وقد ينتهي به إلى منابذة إخوانه، والموالاة على نظراته، والمعاداة عليها، وعمومًا فليحذر مما حذر الله منه أهل الاستقامة ـ على وجه الخصوص ـ، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [هود: ١١٢].

❖ المسألة الخامسة:

إذا استصحب العبد ما تقدم، وأدرك «فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» انزاح عن نفسه هَمٌّ ثقيل، وتَخَفَّفَ من أحمال ثقيلة كان يظن أنه مكلف بها وأنه سيسأل عنها، ورجا أن يكون له نصيب من قول الله ﷻ: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فهو يرجو أنه قد اهتدى، لَـمَّا امتثل أمر الله في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقام ـ حسب وُسعه ـ بمَا كُلِّفَ به (وهو نفسه هو)، أما نفوس من يُنكِر عليهم وقلوبُهم فلم يكلف بها ولله الحمد.

وصار يستحضر نعمة الله عليه حيث وَفَّقه لهذه الطاعة وهذا الباب الذي فات كثيرًا من الناس، ويسأل الله المزيد من فضله وتوفيقه، وكان له نصيب من الحياة الطيبة؛ حياة السعادة والأُنس وانشراح الصدر الموعود بها في مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم السنن للبيهقي (١/ ٤١٩).

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ومن ثَمَّ كان هذا سببًا في ثباته على هذا الطريق، وفي كونه لا ينتقل عن حال إلا إلى ما هو أفضل منها، فهو في زيادة خير إلى أن يأتيه اليقين.

❋ ❋ ❋

مما يعينه ويثبته

الذين يَثْبُتون: المتعبدون لله حقًّا، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية، ومن أسباب الثبات:

١ ـ الاجتهاد في الطاعات؛ اعتناءً بالفرائض، واستكثارًا من النوافل.

٢ ـ طلب العلم، وتحري سنة رسول الله ﷺ في جميع شؤونه.

٣ ـ إعطاء كل ذي حق حقه.

٤ ـ المشاورة.

❋ ❋ ❋

كل حال لها عبوديتها..

فمن الفقه استحضارُ أن من لم يَتَأَتَّ له أكمل حال ـ في الإصلاح ـ انتقل إلى ما دونها، وهكذا، ولا يتحاقر ما أُتيح له من فرص أو أسباب ولو كانت توصف بأنها ضعيفة التأثير، فهذه إذا لم يمكن إلا هي فَتَرْكُها نقصٌ في العلم وقصورٌ في الحكمة، أو أن المسألة فيها ـ كما يقال ـ: هوى خفي.

ومن الفقه: الانتقال ـ أحيانًا ـ إلى باب آخر من أبواب الإصلاح، كالدعوة والوعظ وتأليف الكتب والرسائل ونشرها، ونحو ذلك، وهذا إذا لم تَتَأَتَّ الحال الكاملة للاحتساب، وهي «الأمر» بالمعروف، و«النهي» عن المنكر، ويحذر من «الهوى»، ويراعي في ذلك «فقه الموازنات».

❋ ❋ ❋

من المهم إدراك الأبواب الجوامع للإصلاح

ومنها: إقامة الصلاة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومنها: نشر العلم الشرعي، قال ابن عباس ﷺ في قصة قوم نوح لما صوروا صور الصالحين: «فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسِيَ العلم - أو قال نُسخ العلم -: عُبدت»(١).

ونَشْر العلم يكون: بترغيب الناس في طلبه، وبيان مسيس حاجتهم إليه، وحث العلماء على تعليم الناس، وإقامة الحلق والدروس والدورات، وتعاهد مَن في «الأطراف»، يُستضافون لهذه الدورات، ويُؤَمَّنُ لهم السكن وما يحتاجونه، ويُتعاهدون أثناء العام.

ومن أبواب الإصلاح: الاعتناء بالتعليم النظامي، بالتواصل مع مسؤوليه، وإمدادهم بالمقترحات والمشاريع النافعة، والاحتساب على ما يحتاج احتسابًا، وإعداد مسابقات تُؤَمَّن جوائزها، فلها أثر في الإصلاح.

❁ ❁ ❁

ومن وسائل الإصلاح

وهي كثيرة جدًّا ولله الحمد:

١ - عيادة المرضى، ورقيتهم، وتعليمهم ما يحتاجون من أحكام.

٢ - الاعتناء بالمساجين، بمساعدة من يحتاج مساعدة، بالشفاعة، ورعاية من خَلَّف وراءه من عوائل محتاجة، وبالتعاون مع الجمعيات المتخصصة في هذا الشأن، ونحو ذلك.

٣ - إنشاء جمعيات خيرية، وأخذ تراخيص لها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

٤ ـ الاعتناء بالأوقاف، بِحَثِّ الناس على أن يوقفوا، وبتوجيه مصارف الأوقاف التوجيه الأمثل.

ويُنبه الناس على أن الأوقاف ليست حصرًا على الأثرياء؛ بل كل شخص يمكن أن يكون له سهم في الأوقاف، بحسب ما تيسر له.

٥ ـ التواصل مع مراكز الهيئة ومسؤوليها، ورفع هممهم ومعنوياتهم، وتذكيرهم أن ما هم مكلفون به: ما هو متاح لهم، فليستثمروه بأتم ما يمكن، ولا يثبطْهم أنهم منعوا من كذا ومن كذا؛ بل يستحضرون المجالات الكثيرة التي ما زالوا مُمَكَّنين منها ولله الحمد، وليحذروا من شرور أنفسهم وشر الشيطان وشِرْكه وحِيَله.

٦ ـ التواصل مع مكاتب الدعوة ومسؤوليها، وتذكيرهم ورفع هممهم، وحثهم على أن يزداد عطاؤهم، وأن تواكب مساعيهم وبرامجهم المستجدات التي يمر بها المجتمع، وإمداد الدعاة ومسؤوليها والخطباء بالموضوعات التي قد تحتاجها المجتمعات أكثر من غيرها، وتزويدهم بما يتيسر من الدراسات والإحصاءات والبرامج العملية، وكلما كانت المقترحات المقدمة لهم مدونة كان ذلك أبلغ في الاحتفاء بها والاستفادة منها.

ونحو ما تقدم، فإن هذا الباب ـ باب وسائل الإصلاح ـ واسع، ولله الحمد.

وليحذر المسلم مما يسمى: «الهوى الخفي»، وليتعوَّذ بالله من شر نفسه وشر الشيطان وشِركه، ولا تستهوِه هذه الأعمال ونحوها فتصرفه عن أعمال الاحتساب ـ المتاحة له ـ في الحال التي تكون هذه الأعمال الدعوية مفضولة، ذلك أن هذه الأعمال الدعوية ـ غالبًا ـ أقرب إلى هوى النفس.

وكل ما ذكر ـ من المقترحات الدعوية ـ ونحوه هو في الحال التي لا يتيسر فيها شيء من صور الاحتساب (بمعناه المطموح إليه).

ونسأل الله العافية، ونعوذ به من استباق البلاء، ونعوذ به من كفر النعمة؛

إذ إن الواقع ـ ولله الحمد ـ لا زالت فيه مساحة طيبة لممارسة كثير من المساعي الاحتسابية، كما هو حاصل، وكما هو مشاهد ـ ولله الحمد ـ من عدد من الجادِّين في أكثر من بلد، وليس بالضرورة أن تكون الأعمال الاحتسابية بنفس الصورة التي كانت من قبل، ولكن من الحكمة صياغتها بما يناسب المستجدات، وليتواصوا مع إخوانهم باليقظة من شرور أنفسهم ومن شر الشيطان، حيث ينشغل كثير منهم بالتحسر على الماضي والنوح عليه، ويستهلك هذا وقته وعواطفه ومشاعره، بل ومجالسه، وينشغل بهذا عن العمل الجاد المثمر مما هو متاح له والذي هو مكلف به.

هذا، والله أعلم، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

«السفر للخارج للسياحة، محاذير وشبهات»

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي

رَحِمَهُ اللَّهُ

السفر للخارج للسياحة

❖ **محاذير.. وشبهات:**

١ ـ **من المحاذير**: مخالفة قول النبي ﷺ: «**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أَظْهُرِ المشركينَ**»(١)، وفي الحديث الآخر عنه ﷺ: «**مَن جَامَعَ المشركَ وسكَنَ معه فإنه مثلُه**»(٢).

كما يتفرع عن هذه المخالفة ـ غالبًا ـ: الانبهار بالكفار وببلادهم وبتقدمهم المادي، مما يكون سبباً للتعلق بهم، ومن ثَمَّ تتهيأ النفس للافتتان بهم وبمبادئهم وأفكارهم.

شبهة: بعض تلك الدول إسلامية!

الجواب: قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «المراد بالبلاد الإسلامية: هي التي تتولاها حكومة تحكم بالشريعة الإسلامية؛ لا البلاد التي فيها مسلمون وتتولاها حكومة تحكم بغير الشريعة، فهذه ليست إسلامية».

٢ ـ **ومن المحاذير**: رؤية المنكرات والسكوت عن إنكارها، وفي هذا تحميل للذمة ما كانت في عافية منه، كما أن فيه تطبيعًا للنفس على رؤية المنكرات، فيضعف وَقْعُها على النفس، ويحل محل استنكارها والجفول منها: استمراؤها واعتيادها وزوال ـ أو ضعف ـ استنكارها في القلب.

وهذا أمر غاية في الخطورة؛ إذ فيه إضعاف لعقيدة الحب في الله

---

(١) رواه أبوداود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦١).

(٢) رواه أبوداود (٢٧٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٨٦).

والبغض فيه والموالاة فيه والمعاداة فيه، فيحل محل ذلك: المداهنة، وهي: ترك ما يجب؛ من بغض ما يبغضه الله وإنكار المنكر لغير عذر شرعي.

قال أحد المتقدمين: «والله لا أبالي بكثرة المنكرات والبدع، وإنما أخاف من تأنيس القلب بها»[١].

شبهة: هذه المنكرات موجودة عندنا؛ في المنتزهات والمستشفيات والأسواق... إلخ.

الجواب:

أ ـ في السفر إلى تلك البلدان ازدياد من رؤيتها.

ب ـ كما أنها في تلك البلدان بصورة أشد نكارة.

ومن هنا فلو كان في بلدك سوق تنتشر فيه المنكرات الظاهرة، وتعلم في نفسك أنك لو دخلته فستضعف وتتقاعس عن الإنكار، وسوق آخر أقل منه منكرات، وتجد فيه نفس السلع التي تحتاجها مما يباع في السوق الأول أو قريبًا منها، وبنفس الثمن أو قريب منه: فهنا لا يجوز لك أن تذهب إلى ذلك السوق، وأنت تعلم في نفسك التقصير عن إنكار ما قد تراه فيه من منكرات، فمن إنكار المنكر هجره ومفارقة مكانه.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: «ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار؛ إلا لموجب شرعي، مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لا بد فيه من حضوره، أو يكون مكرهًا، فأما حضوره لمجرد الفرجة وإحضار امرأته تشاهد ذلك؛ فهذا مما يقدح في عدالته ومُروءته إذا أصرَّ عليه، والله أعلم»[٢].

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس (ص١٠٦)، ويُنَبَّه إلى أن المراد بالعبارة السابقة: أن كثرة المنكرات والبدع مصيبة؛ لكن الأشد من ذلك تأنيس القلب بها.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٩).

شبهة: مشوارنا من المطار إلى قرية في الريف، لا نطالع المنكرات ولا نحتك بها!

الجواب:

أ ـ مثل هذه الرحلات لا تنفك عن رؤية المنكرات.

ب ـ لو سلمنا بصحة تلك الدعوى فإن هذه الرحلة تُمهد وتُهيئ لما بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١]، كما أن الإنسان من طبعه الملل وحب التغيير وعدم الرتابةِ والاقتصارِ على نمط واحد.

٣ ـ ومن المحاذير: صرف المال في غير وجهه، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الإسراء: ٢٧]، والنبي ﷺ نهى عن إضاعة المال[١]، وقال ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ**»، وذكر منها: «**عن مالِه من أين اكتسبَهُ وفِيمَ أنفقَهُ**»[٢].

شبهة: السياحة في بعض تلك الدول أرخص من السياحة في الداخل!

الجواب:

أ ـ هذا الكلام لا يخلو من المبالغة.

ب ـ العبد إذا عدل عن (الرخيص) إلى ما هو أغلى منه تحريًا للحلال فهو محمود على هذا، ولو عَكَس لم يكن فعله من الاقتصاد الذي يُحمد عليه.

من الشبهات: أن هناك من المشايخ والدعاة من يسافرون إلى هناك للسياحة؛ بل ربما سافروا بأهليهم!

الجواب: الحريص على دينه يستفتي ويقتدي بالأوثق من أهل العلم،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣)، أن النبي ﷺ قال: «إن اللهَ كَرِهَ لكم ثلاثًا: قيلَ وقالَ، وإضاعةَ المالِ، وكثرةَ السؤالِ».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

ولا يكون شأنه تتبع الرُّخَص، كما أنك تتحرى في سلامة بدنك وعلاج المرض مِن الأطباء مَن ترى أنه أكفأ من غيره.

وختاماً: فإن من البواعث على السفر إلى الخارج في كثير من الأحيان: الزوجة، والأولاد؛ بنينا أو بنات، استجابةً لطلباتهم، أو رضوخًا لإلحاحهم، أو ربما مبادرة بحجة ألا تنكسر خواطرهم أمام زملائهم وزميلاتهن حين يجتمعون فيسأل بعضهم بعضًا: أين سافرتم؟!

وهنا نُذَكِّر بقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٤ - ١٥]، وقوله ﷺ: «كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رَعِيَّتِه»(١).

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

«الفَرَج بعد الكرب»

لِلشَّيْخ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي

رَحِمَهُ اللَّهُ

«الفَرَج بعد الكرب»

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فمما يوصى به المكروب ما يلي[(١)]:

١ ـ حُسن الظن بالله، فقد قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «**أنا عندَ ظنِّ عبدِي بي**»[(٢)]، وروي عنه ﷺ أنه قال: «**واعلمْ أن النصرَ مع الصبرِ، وأن الفَرَجَ مع الكربِ، وأن مع العسرِ يسرًا**»[(٣)]، وفي الأثر: «**أفضلُ العبادةِ: انتظارُ الفَرَجِ**»[(٤)].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في بهجة قلوب الأبرار، تحت حديث رقم (٨٣): «الأسباب التي تحصل بها المحبوبات الدنيوية قسمان: أمور محسوسة، تدخل في إدراك الحواس ومدارك العقول، وأمور ربانية إلهية، قَدَّرها مَنْ هو على كل شيء قدير...»، وقال الشيخ السعدي رحمه الله في مطلع رسالته: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: «فإن راحة القلب وسروره وزوال همومه وغمومه هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلِّها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالًا ومآلًا».

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٨٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٧١).

٢ ـ احتساب الأجر، وقد جاء في هذا نصوص كثيرة؛ منها: ما رواه الترمذي عن النبي ﷺ: «ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ؛ في نفسِه وولدِه ومالِه، حتى يلقى اللهَ وما عليه خطيئةٌ»[١]، وقوله ﷺ: «لَيَوَدَّنَّ أهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ أن جلودَهم قُرِضَتْ بالمقاريضِ، مما يَرونَ من ثوابِ أهلِ البلاءِ»[٢].

٣ ـ كثرة الاستغفار، قال الله ﷻ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، وفي الأثر: «من لزمَ الاستغفارَ: جعلَ اللهُ له من كلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ومن كلِّ ضِيقٍ مخرجًا، ورزقَهُ من حيثُ لا يَحتسبُ»[٣].

٤ ـ اللجوء إلى الله والازدياد من طاعته.

٥ ـ الاستيقان أن الله وحده بيده مقاليد السماوات والأرض، وأنه لا يكشف الكروب إلا هو سبحانه، ومما يحقق هذا اليقين: تدبر الآيات الواردة في هذا الشأن، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الزمر: ٦٢ ـ ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

٦ ـ الإحسان إلى الخلق؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

٧ ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

٨ ـ الاجتهاد في الدعاء أن يحفظه الله في دنياه، وفي دينه ـ وهذا هو الأهم ـ؛ حيث إن بعض من يسجنون يكون السجن سببًا لفتنتهم في دينهم؛ بتفريط، أو إفراط ـ وهذا هو الغالب ـ.

فيدعى لهم بمثل:

- اللهم ألهمه رشده، وأعذه من شر نفسه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٤٨٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩).

• يا مقلب القلوب ثبت قلبه على دينك.

• اللهم أعذه من شر نفسه، ومن شر الشيطان وشركه، وأن يقترف على نفسه سوءًا أو يجره إلى مسلم.

• اللهم أعذه أن يَضل أو يُضل، أو يَزل أو يُزل، أو يَظلم أو يُظلم، أو يَجهل أو يُجهل عليه.

• اللهم أعنه على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

• اللهم اهد قلبه وسدد لسانه.

• اللهم ارزقه الهدى والتقى والعفاف والغنى.

• اللهم إني أستودعك دينه وأمانته وخواتيم عمله.

• اللهم إني أسلك له العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك له العفو والعافية في دينه ودنياه وأهله وماله، اللهم استر عوراته، وآمن روعاته، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وأعيذه اللهم بعظمتك أن يغتال من تحته.

• أعيذه بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

• اللهم ارزقه حسن الظن بك، وصدق التوكل عليك.

٩ ـ إذا دعوتَ لأسيرك فأشرك معه جميع أسرى المسلمين، وجميع المكروبين، قال رسول الله ﷺ: «دعوةُ المسلم لأخيه بظهرِ الغيبِ مستجابةٌ، إذا دعا قال المَلَكُ الموكَّلُ: آمين، ولك بمِثلٍ»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٣).

محاضرة

«من ثمرات الصلاة»

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي

رَحِمَهُ اللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فيقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

لقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يكون للصلاة شأنٌ عظيم، وأن تَخْتَصَّ بخصائص وميزات ليست في غيرها من فرائض الإسلام.

١ - فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين؛ إذ هي عمود الدين، قال رسول الله ﷺ: **«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»**(١).

٢ - ومما تميزت به: أنها فُرِضَت في السماء ومن غير واسطة، وغيرُها إنما فُرِض في الأرض بواسطة جبريل عليه السلام.

٣ - كذلك: فقد فُرِضَت في العهد المكي، وأكثر الشرائع فُرِض في العهد المدني.

٤ - كذلك: فإنه يؤمَر بها العبد قبل أن يبلغ ويُكلَّف، قال رسول الله ﷺ: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**، رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد في المسند (٦٧٥٦)، والحاكم في المستدرك (٧٠٨).

٥ ـ وأيضًا؛ فمن ميزات الصلاة: أنها لا تسقط عن المكلَّف ما دام عقله معه، وأما غيرها فقد تجب على أحدٍ دون أحد، أو في حالٍ دون حال.

فمثلًا: الزكاة إنما تجب على من مَلك النِّصاب وحال عليه الحول، والصوم يجب على من أطاقه، والحج يجب على من استطاع إلى البيت سبيلًا، والجهاد يجب على الرجال دون النساء، أما الصلاة فتجب على الذكر والأنثى، والغني والفقير، والحر والعبد، وفي السِّلم والحرب، وفي حال الصحة والمرض.

٦ ـ ومما اختصت به: أنها العبادة الوحيدة التي يكفر من تركها، وغيرها إنما يكفر من تركها جحودًا، أما الصلاة ـ على ما اختاره جمعٌ من المحققين ـ فإن من تركها فقد كفر؛ ولو لم يجحد وجوبها، يقول النبي ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ والشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»، رواه مسلم[١]، وقال ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»، أخرجه الإمام أحمد وأهل السُّنن بإسنادٍ صحيح[٢]. وقال عبد الله بن شقيق ـ التابعي الجليل ـ: ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ إلا الصلاة[٣].

٧ ـ ومن شأن الصلاة: ما جاء في قول النبي ﷺ: «**أوَّلُ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ، فإنْ صلَحَتْ صلَح له سائرُ عمَلِه، وإنْ فسَدَتْ فسَد سائرُ عمَلِه**»، رواه الطبراني في الأوسط[٤].

ولا عجب في هذا؛ فهي العمود ـ كما تقدم ذِكره ـ، وبحسب حال العمود يكون حال ما يُبنى عليه؛ قوةً أو ضعفًا، واستقامةً أو اعوجاجًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه وأحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٨٥٩)، قال الألباني رحمه الله: صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير (٢٥٧٢).

٨ ـ ومن شأن الصلاة: ما ورد في الحديث الآخر عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَوَّلُ ما يُرفَع من الناس الأمانةُ، وآخِر ما يَبقَى من دِينهم الصَّلاة**»[١].

وكما أمرنا الله ﷻ أن نستعين بالصبر والصلاة في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣]، فقد أمر من قبلنا بذلك، قال الله ﷻ آمرًا بني إسرائيل: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ٤٥].

ولقد امتثل النبي ﷺ أَمْرَ رَبِّه ﷻ، فكان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة[٢]، وكان ﷺ يقول: «**أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ**»[٣]؛ أي: بالصلاة، فقد كانت راحةَ بَالِ النبي ﷺ، وقرةَ عينه، وقال ﷺ: «**حُبِّبَ إليَّ من دُنْياكُمُ النِّساءُ والطِّيبُ، وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ**»[٤].

وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام من قبله ﷺ يستعينون بالصبر وبالصلاة.

من ذلك: ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**قَدِمَ إبراهيم عليه السلام أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إلى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عليه**» أي على ذلك الجبار «**لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ،**

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٢٦٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٣٨٧)، قال في صحيح الجامع (٢٥٧٥): حديث حسن، رواه الحكيم الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٣١٩) دون قوله: «فزع».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥).

(٤) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأُولَى، فَقالَ لَهَا مِثْلَ ذلكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، فَقالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الذي جَاءَ بِهَا فَقالَ له: إِنَّكَ إِنَّما أَتَيْتَنِي بشيطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بإِنْسَانٍ، فأخْرِجْهَا مِن أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قالَ: فأقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ انْصَرَفَ، فَقالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟» يعني: ما شأنك؟ وما خبرك؟ وفي رواية: **«فأومأ بيدِه مَهْيَمْ؟، قالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا»**، رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم(١).

لأجل ما سبق؛ فلا عجب أن تكون الصلاة حلًّا وعلاجًا لما ينوب المسلمين في حياتهم من نوائب عامةٍ أو خاصة، فإنه إذا انحبس المطر وقحط الناس خرجوا يُصلون ويدعون ويستغيثون الله، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر فزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وهكذا إذا مات أحدٌ من المسلمين وجب عليهم أن يُصلوا عليه.

وكذلك في شؤون المسلم التي تَخْتَص به، مثل ما إذا همَّ بأمرٍ فإنه يُصلي ركعتين من غير الفريضة، ثم يدعو مستخيرًا اللهَ بالدعاء الوارد: **«اللهمَّ إنِّي أَسْتَخيرُكَ بعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ»**، الحديثَ(٢).

ومثل ما إذا بنى بامرأته ليلة دخوله عليها، فإنه يُستحَب أن يُصلي ركعتين(٣)، فيبدأ حياته الزوجية بالصلاة.

ومن ذلك: ما فعله خُبيب بن عديٍّ رضي الله عنه حين أراد المشركون قتله، فصلى ركعتين فكان أول من صلى ركعتين عند القتل رضي الله عنه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١)، وأحمد (٩٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٢).

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة (٩/ ٤٧١)، وآداب الزفاف في السنة المطهرة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص (٩٤)، فقد نقل أثرين عن السلف رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

إلى غير ذلك من الميزات والثمرات العظيمة لهذه الفريضة العظيمة الجليلة.

أخي المسلم:

إنك لن تحوز ما سبق من الثمرات، ولا تكونُ ممتثلًا أمر الله، إلا بإقامتك الصلاة؛ فإن الله ﷻ لم يأمرنا بمجرد فعل الصلاة، إنما أمرنا بإقامتها، فما كل من صلى فقد أقام الصلاة.

إن معنى الإقامة للصلاة: أن تؤدى قائمةً على أتم الوجوه، ويكونُ ذلك بفعل الشروط والأركان والواجبات، فمن انتَقص شرطًا أو ركنًا أو واجبًا فإنه لم يُقم الصلاة.

أخي المسلم:

لعلي أُذكِّر هنا بشرطٍ واحد من شروط الصلاة، وهو أن تؤدى في وقتها المحدد لها، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿كِتَٰبٗا﴾؛ يعني: مكتوبةً عليهم واجبةً لازمة.

ومعنى: ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾؛ يعني: مُوَقَّتَةً بأوقات لها بداية ولها نهاية، لا يجوز فعلها قبل ذلك التوقيت ولا بعده(١).

أيها المسلم:

إن من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأفحش الموبقات: تأخيرَ الصلاة عن وقتها لغير عذر، ولقد رأى النبي ﷺ أولئك الذين ينامون عن الصلوات المفروضة، رآهم كيف يُعذَّبون!

فقد روى البخاري عن سمرة بن جُندبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ**» يعني: ملكان «**وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا،**

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/٤٤٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٠٣).

وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا» أي: يتدحرج «فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا» أي للملكين اللذَين كانا مع النبي ﷺ «سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ» ثم ذكر الحديث، ثم قال: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ» الحديثَ، رواه البخاري(١).

أخي المسلم:

أرأيت عقوبة هذا الذي قصَّر في الصلاة بسبب النوم؟!

فالنوم عن الصلاة إنما يكون عذرًا لمن حرص على الاستيقاظ، وبذل السبب، ثم مع هذا غلبته عيناه، فهذا ـ ولله الحمد والمنة ـ يُعذَر؛ لأنه لم يُفرِّط.

أما من نام وقال: حين أستيقظ أصلي، فإن كانت له حاجةٌ فبكَّر لأجلها بكَّر بالصلاة، وإلا تأخَّر، فهذا لا يُعذَر بالنوم؛ لأنه مُفرِّط، وقد أتى منكرًا عظيمًا.

فاتقِ الله أيها المسلم في نفسك، وفي أولادك، وفي أهلك، وفي جيرانك: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ذا الجلال والإكرام أن يجعلنا مقيمي الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

اللهمَّ اجعلنا مقيمي الصلاة، وأعنا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك.

كما أسأله سبحانه أن يُثبِّت قلوبنا على دينه، ووالدينا، وأزواجنا، وذرياتنا، وإخواننا المسلمين أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

محاضرة

«تربية الأولاد على الصلاة»

لِلشَّيْخ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي

رَحِمَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يُحب ربنا ويرضى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

تعلمون ـ بارك الله فيكم ـ أن الله تعالى جعل التواصيَ بالحق سببًا للنجاة من الخُسران، وإن من أهم وأوجب ما يُتواصى به الصلاةَ، ولئن كان عامة المسلمين يعرفون شأن الصلاة وقدرها ومكانتها ومنزلتها من الدين وما اختُصَّت به من خصائص ومُيِّزَت به من ميزات ليست لغيرها من فرائض الدين؛ فإن ما أحببتُ أن يكون مجالًا للتواصي والتذكير هو تربيةُ الأولاد عليها.

فالأولاد ـ بنون وبنات ـ نعمةٌ تستوجب الشكر، وأمانةٌ تقتضي حُسن الرعاية.

قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تعالى سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ: أَحَفِظَ ذلك أَمْ ضَيَّعَهُ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»**(١).

هذا؛ وإن من أحسن ما تُشكَر به نعمة الأولاد، ومن أهم وأوجب ما يجب أن يُرَبَّوا عليه: إقامَ الصلاة.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩١٢٩)، قال في صحيح الجامع (١٧٧٤): حسن رواه النسائي وابن حبان عن أنس رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى مثنيًا على إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

فالأب الموفَّق القائم بالأمانة الواجبة عليه يُرَبِّي أولاده في سِنِيِّهم الأولى على تعظيم الصلاة، والاحتفاء بها، وتفخيم شأنها، ثم إذا بلغوا سن التمييز - بأن أتموا سبع سنين - أمرهم بها، ثم إذا تقدم بهم السن قليلًا فأتموا عشر سنين أكد أمرهم بها، فإن رأى منهم تفريطًا وتقصيرًا عالج ذلك واهتم به، ورغَّبهم ورهَّبهم، وسلك معهم المسالك الحكيمة.

فإن لم يُجْدِ ما تقدم كله، ولم ينجح في أن يحافظوا على الصلاة: فليضربهم؛ عملًا بوصية الرؤوف الرحيم بهم وبنا ﷺ، فقد قال: «**مُرُوا أبناءكم بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١).

فيا أيها المسلم! يا من يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله: إياك أن ينتابك شكٌّ في هذه الوصية النبوية، وخُذ العبرة ممن ترك العمل بها غفلةً عنها أو رحمةً بأولاده - بزعمه - ثم لما كبروا دعوهم فلم يستجيبوا، وأمروهم فلم يمتثلوا، وجربوا معهم مُخْتَلِفَ الأساليب فلم تُجْدِ ولم تنفع.

أيها المسلمون:

لئن كانت مجتمعاتنا تفتخر بآباء فُضلاء اجتهدوا في حُسن تنشئة أولادهم، وبذلوا واجتهدوا فيما يؤدي إلى صلاحهم، ولئن كانت مساجدنا تزدان وتزداد بهاءً بفتيةٍ يترددون عليها مُجيبين داعي الله؛ فإن كَثْرَةً من المسلمين - هداهم الله - قد فرَّطوا في هذا الأمر العظيم، والرُّكن الركين،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥).

اقتصروا في حرصهم على مصلحة أولادهم على ما يتعلق بدنياهم؛ من مَأْكَلٍ أو ملبسٍ أو دراسةٍ أو نحو ذلك، أما ما يتعلق بسلامة دينهم ـ ومن أعظم ذلك الصلاة ـ فقد فرَّطوا فيه وقصَّروا.

ولهذا: فانظروا إلى ثمرة هذه التربية:

كم عدد أولئك الذين يواظبون على الصلاة في المساجد من الشباب والصبيان؟

انظروا كم أعدادهم ـ أصلحهم الله ـ من سن السابعة فما فوق؟ ثم انظروا كم عدد من يواظب منهم على الصلاة فيها.

بالله عليكم في ماذا فرَّطوا؟ وماذا تركوا؟! تركوا أمرًا مستحبًّا مُجَرَّدَ استحباب؟ أو حتى واجبًا من سائر الواجبات؟!

لا والله! بل عمودَ الدين الأعظم، وأعظم أركانه بعد الشهادتين.

هذا الشاب البالغ أو تلك الفتاة البالغة بماذا يُحكَم عليهما إذا كانا لا يهتمان بالصلاة؟

أيها المسلمون:

إن الأمر خطير، ووالله إنه لأخطر مما يتصور كثيرٌ من الناس؛ لأن ذلك التقصير حصل في عمود الدين، وأعظم أركانه بعد الشهادتين.

ألم يقل النبي ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(١)؟

ألم يقل عمر رضي الله عنه: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»(٢)؟

ألم يقل عبد الله بن شقيق التابعي الجليل رحمة الله عليه: «ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ إلا الصلاة»(٣)؟

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١١٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

هذا؛ وإن بعض الناس إذا حُدِّث بمثل هذا أجاب بما يُشعِر بعدم أخذه الأمر بما يليق به من أهميةٍ وَجِدٍّ.

فقد تسمع من بعض الآباء إذا حُدِّث بمثل ما تقدم، قال: شباب هذا الزمن تغيروا، أو قال: لعلهم إذا كبروا يصلحون.

وهذا أمرٌ غيبي علمه عند الله، وأنت مطلوبٌ منك بذل السبب.

أو ترى بعضهم يقول: الهادي هو الله.

وحقًّا؛ إن الهادي هو الله، لكن العبد مطلوبٌ منه بذل الأسباب والاجتهاد في ذلك، فإذا بذل جهده، واستفرغ وسعه، واجتهد في أمر أولاده بالصلاة، فحينئذٍ يطمئن، حيث فعل ما كلفه الله به، وحينئذٍ أيضًا إنْ جاءت النتائج على غير ما يُحب فإنه يُعزي نفسه بمثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

والغالب ـ ولله الحمد والمنة ـ أن العبد إذا حرص على صلاح ذريته، واهتم بهذا، وبذل أسبابه، وعلم الله منه صدق الرغبة في ذلك: أنه تعالى ـ بمنِّه وكرمه ـ لا يرده خائبًا.

اللهمَّ وفقنا لما يُرضيك، وجنِّبنا معاصيك، وأصلح لنا في ذرياتنا، وأصلح جميع ذراري المسلمين، اللهمَّ واجعلهم مقيمين للصلاة، اللهمَّ وأعذهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهمَّ وحَبِّب إليهم الإيمان وزيِّنه في قلوبهم، وكرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان واجعلهم من الراشدين.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

محاضرة

«سلامة الصدر من الغل والحسد»

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي

رَحِمَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، **أما بعد:**

فإن الحسد والغل والحقد من الأخلاق الذميمة التي ورد في كتاب ربنا وسُنَّة رسوله ﷺ النصوصُ الكثيرة في ذمِّها والتحذير منها؛ من ذلك: قول النبي ﷺ: «**لا تَحاسدوا، ولا تَناجشوا، ولا تَباغضوا، ولا تَدابروا، ولا يَبِعْ بعضُكم على بيعِ بعضٍ، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا**»، رواه مسلم[1].

وكذلك خرَّج الإمام أحمد من حديث الزبير بن العوام عن النبي ﷺ أنه قال: «**دَبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلَكم: الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاءُ هي الحالقةُ، حالقةُ الدِّينِ لا حالقةُ الشَّعرِ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه! لا تُؤمنوا حتى تَحابُّوا، أفلا أُنبِّئكم بشيءٍ إذا فعلتموه تَحاببتُم؟ أَفْشُوا السلامَ بينكُم**»[2].

وخرَّج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيصيبُ أمتي داءُ الأممِ**» فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: «**الأَشَرُ والبَطَرُ والتكاثرُ والتنافسُ في الدنيا والتباغضُ والتحاسدُ، حتى يكونَ البغيُ ثم الهَرْجُ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١٤١٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٣١١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩٠١٦).

معنى الحسد والحقد

والحسد ـ كما هو معروف ـ: تمني زوال النعمة عمَّن أنعم الله عليه بها.

أما الحقد؛ فقال في «مختصر منهاج القاصدين»: «اعلم أن الغيظ إذا كُظم لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن، فاحتقن فيه، فصار حقدًا، وعلامته: دوام بغض الشخص واستثقاله والنفور منه، فالحقد ثمرة الغضب، والحسد من نتائج الحقد»(١).

ثم إن أصل الحسد: هو بغض نعمة الله على المحسود، فحقيقة حال هذا الحاسد أنه معترض على قضاء الله وقدره، لَمَّا متَّع الله فلانًا وأنعم عليه بكذا من النِّعم الدينية أو الدنيوية، فهذا كرِه قَدَر الله بأن يُرزَق فلانٌ ما رُزِق، فكان هذا اعتراضًا على قدر الله.

وكثيرًا ما يجتمع في القرآن الحسد والسحر، يقول ابن القيم رحمه الله: «كثيرًا ما يجتمع في القرآن الحسد والسحر للمناسبة ـ يعني لما بينهما من التقارب ـ، ولهذا اليهود أسحرُ الناس وأحسدهم، فإنهم لشدة خبثهم فيهم من السحر والحسد ما ليس في غيرهم، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بهذا وهذا»(٢).

فالحاسد عَدُوٌّ نعمة الله، وعَدُوٌّ عباده، ممقوتٌ عند الله تعالى وعند الناس، ولا يُسَوَّد أبدًا، ولا يواسى، فإن الناس لا يُسوِّدون عليهم إلا من يُريد الإحسان إليهم، فأما عَدُوٌّ نعمة الله عليهم فلا يُسوِّدونه باختيارهم أبدًا؛ إلا قهرًا يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها، فهم يُبغضونه وهو يُبغضهم(٣).

من تمنى أن يرزقه الله مثل ما رُزق ذلك المُنعَم عليه دون أن تُسلَب النعمة منه، فهذا لا يُسمى حسدًا، وإنما يُسمى غِبطة.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص (١٨٥).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٧).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٢).

هل الغِبطة محمودة أو مذمومة؟

الجواب: ليس لها حال واحدة، بحسب ما تمنى، فتُحمَد: إذا غبطه على طاعة الله، إذا غبطه على أمرٍ يُقرِّبه إلى الله، كما في الحديث الذي في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا حَسَدَ إلا في اثنتينِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فهو ينفقُه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ**»[1].

فهذا سُمي حسدًا استعارةً، وهذه من الغبطة المحمودة، لا يُقال: إنها جائزةٌ ومباحة؛ بل إن صاحبها محمود، يُثاب على نيته هذه، مجرد تمنيه ذلك يُثاب ويؤجَر عليه.

وهذا كما سيرد بعد قليل ـ إن شاء الله ـ من الأسباب التي يُعَالج بها الحسد.

❋ ❋ ❋

أسباب تُوقِع العبد في الحسد

١ ـ **العداوة والبغضاء**، قال في «مختصر منهاج القاصدين»[2] في الأسباب الموقِعة للحسد: «أشدها العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسانٌ بسبب من الأسباب أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد».

٢ ـ **ومن الأسباب**: التكبر، وذلك أن ينال بعض نظرائه مالًا أو ولاية، فيخاف أن يتكبر عليه، ـ أي: يخاف أن يكون هذا سببًا في تكبر المُنْعَم عليه ـ، وهو لا يحتمل ترفعه عليه أو مساواته.

٣ ـ **ومن الأسباب الموقعة في الحسد**: حب الرياسة والجاه، وحب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٢) ص (١٨٧ ـ ١٨٨) باختصار وتصرف.

الظهور والشهرة، فإذا رأى مَن أنعم الله عليه بنعمة خاف أن يفوقه في الاشتهار فيخبوَ صيته، وتنصرف الأنظار عنه، فيتمنى حينئذٍ زوال تلك النعمة.

٤ ـ **من الأسباب الموقعة في الحسد أيضًا**: خُبث النفس، وشُحّها على عباد الله، بعض الناس نفوسهم لئيمة، تكره الخير لا لسبب من الأسباب المتقدمة ـ كالعداوة لهذا الشخص أو بسبب التكبر أو بسبب حب الشهرة ـ، فإذا سمع أن الله أنعم على فلان من الناس بنعمةٍ ما؛ كره ذلك وانقبض خاطره، وإذا سمع أن فلانًا من الناس أو البلدة الفلانية أصابها أزمة، أصابها جفاف، أصابها مصيبة من المصائب؛ فرِح بذلك واستبشر، وما ذاك إلا لخُبث نفسه ولؤمها، نسأل الله العافية والسلامة.

ثم قال بعد ذلك[١]: واعلم أنما يكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، ويقع ذلك غالبًا بين الأقران، والأمثال، والإخوة، وبني العم الذين يشتركون في سبب معين، فأصل العداوة التزاحم على غرضٍ واحد.

فتجد التحاسد ـ على سبيل المثال ـ بين التجار، يحسد بعضهم بعضًا، تجد التحاسد ـ مثلًا ـ بين الطلبة، يحسد بعضهم بعضًا، تجد الحسد ـ أحيانًا ـ بين الطالبات، يحسد بعضهن بعضًا؛ لكن قَلَّ أنْ تجد ـ مثلًا ـ مُعلمًا يحسد طالبًا، أو العكس، أو تجد طبيبًا يحسد طيارًا ـ على سبيل المثال ـ.

ومنشأ جميع ذلك حُب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحِمين، لا تجد اثنين يتحاسدان بسبب حرصهما على العبادة، تجد الحسد بين العلماء علماء الدنيا، أما علماء الآخرة الذين هَمُّهم التقرب إلى الله ﷻ فلا تجد التحاسد بينهم، إنما الباعث على الحسد هو حُب الدنيا.

إذن؛ التحاسد يحصل حتى بين العلماء، العلماء الذين هم ورثة الأنبياء أو المفترض فيهم أنهم ورثة الأنبياء.

---

(١) ينظر: مختصر منهاج القاصدين ص (١٨٨) باختصار وتصرف.

❖ **لكن أيُّ صنف من هؤلاء العلماء؟**

الجواب: مِن صنف معيَّن صَنَّفه السلف، قال ابن رجب رحمه الله: «كان كثيرٌ من السلف ـ كسفيان الثوري وغيره ـ يُقسِّمون العلماء ثلاثة أقسام: عالمٌ بالله عالمٌ بأمر الله»(١).

«عالم بالله»؛ المقصود به: العلم الذي يُباشر القلب، فيثمر فيه الخشية، والخشوع، والتعظيم، والإجلال لله ومحبته، والأنس به، والشوق إليه.

«عالمٌ بأمر الله»؛ يعني: عالم بالحلال والحرام.

والقسم الثاني: «عالم بالله ليس عالمًا بأمر الله، وهم أصحاب العلم الباطن، الذين يخشون الله وليس لهم اتساعٌ في العلم الظاهر»(٢)؛ يعني: علم الحلال والحرام.

الصنف الثالث: «عالم بأمر الله ليس بعالم بالله، وهم أصحاب العلم الظاهر، الذين لا نفاذ لهم في العلم الباطن»(٣)، يعني هم حازوا علمًا، قرأوا من الكتب، حفظوا من المسائل، ألَّفوا من التأليفات؛ لكن لا اهتمام لهم بإصلاح قلوبهم.

قال: «وليس لهم خشيةٌ ولا خشوع، وهؤلاء مذمومون عند السلف، وكان بعضهم يقول: هذا هو العالم الفاجر، وهؤلاء وقفوا مع ظاهر العلم ولم يصل العلم النافع إلى قلوبهم، ولا شموا له رائحة، فغلبت عليهم الغفلة والقسوة والإعراض عن الآخرة، والتنافس في الدنيا، ومحبة العُلُوِّ فيها والتقدم بين أهلها. وقد مُنِعوا إحسانَ الظن بمن وصل العلم النافع إلى قلوبهم، فلا يُحبونهم، ولا يُجالسونهم، وربما ذمُّوهم وقالوا: ليسوا بعلماء؛

---

(١) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء ص (١٨).
(٢) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء ص (١٨ ـ ١٩).
(٣) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء ص (١٩).

ولهذا كان علماء الدنيا يُبغضون علماء الآخرة ويسعون في أذاهم جهدهم، كما سعوا في أذى سعيد بن المسيب، والحسن، وسفيان الثوري، ومالك، وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين»[(١)].

انظر الأمثلة التي ساقها ابن رجب ﵀ مثَّل بعلماء من الصدر الأول من القرون المفضَّلة، إذن؛ هذا التحاسد موجودٌ لا أقول: بين العلماء، وإنما عند صنفٍ من العلماء الذين كان همُّهم الدنيا، أيًّا ما كان شكل ذلك؛ سواء كان همُّهم من الدنيا جمع المال أو إقبال الناس عليهم أو ما أشبه ذلك.

وقد ورد في فضل سلامة الصدر والتَّحَابِّ بين المسلمين نصوصٌ كثيرة؛ منها: قول النبي ﷺ فيما رواه عنه أنسٌ ﵁: **«لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفْسِه»**، رواه البخاري ومسلم[(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرٍو ﵄ عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَن أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤتى إليه»**[(٣)].

وكذلك قول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﵁: **«لا تَدخلونَ الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تَحابَبْتُم؟ أَفْشُوا السلامَ بينكم»**[(٤)].

فانظر هنا كيف رتَّب النبي ﷺ دخول الجنة على الإيمان، ورتَّب حصول الإيمان وتحقيق الإيمان بالتَّحَابِّ بين المسلمين: **«ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا»**.

---

(١) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء ص (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٥٤).

❖ الأمور التي تجلب التحاب والتواد بين المسلمين:

مما يجلب المودة والمحبة بين المسلمين أمورٌ؛ منها:

١ ـ ما تقدم في حديث أبي هريرة ﵁: «**أَفْشُوا السلامَ بينكم**».

إفشاؤه: نشره، وإلقاؤه على من عرفت ومن لم تعرف، وقد ورد أن من علامات الساعة: أن يكون السلام على المعرفة[١]، يعني: لا يُسلِّم الإنسان إلا على من يعرف.

وهذا سبحان الله العظيم متحقق فينا كثيرًا، يمر بك عشرات من إخوانك المسلمين لا يُسلِّم عليك أحد منهم، لماذا؟ لأنهم لا يعرفونك، فكأن السلام مقصور على من تعرف، وهذا خطأ، بل أوصى النبي ﷺ بأن: «**تَقْرَأُ السلامَ على من عَرَفْتَ ومن لم تَعْرِفْ**»[٢].

٢ ـ ومن الأسباب الجالبة للمحبة بين المسلمين: التهادي، فالهدية تُذهِب وَحَرَ الصدر[٣] وتجلب المحبة.

٣ ـ وكذلك من الأسباب: إعلام من تُحب بمحبته.

عن أنس ﵁ أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمر رجل به، فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «**أَأَعْلَمْتَهُ؟**» قال: لا، قال: «**أَعْلِمْهُ**»، فلحقه فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له[٤].

قال النووي: «رواه أبو داود بإسناد صحيح»[٥].

---

(١) ففي المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٢٩٧/ ٩٤٩٠) من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ السلامُ على المعرفةِ**».

(٢) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

(٣) جاء في لسان العرب (٥/ ٢٨١): «**الوَحَرُ**: الغيظ والحقد وبلابل الصدر ووساوسه، والوَحَرُ في الصدر مثل الغل».

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٢٥).

(٥) رياض الصالحين ص (١٣٨).

وورد أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاهُ فَلْيُخْبِرْهُ**»[١]، فهذا مما يُوثِّق المحبة بين المسلمين.

٤ - من الأسباب الجالبة للمحبة أيضًا: ترك الذنوب، فعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما تَوَادَّ اثنانِ في اللهِ فيُفَرَّقُ بينهما إلا بذنبٍ يُحْدِثُهُ أحدُهما**»[٢].

قال بعض العلماء: فإذا وجدت من إخوانك جفاء فتُب إلى الله، فإنه لذنب أحدثتَه.

٥ - من الأسباب الجالبة للتحاب بين المسلمين أيضًا: سؤالك عن أحوال أخيك، وتفقدك لها، وقضاء حاجاته.

٦ - أيضًا من الأسباب الجالبة للمحبة: أن تبدأه بالسلام، وتُفسِح له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.

٧ - من الأسباب الجالبة للتحاب بين المسلمين - وهو من أهمها -: ما ورد في حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ امرئٍ مؤمنٍ**»؛ يعني: لا يحمل معهن الغِلَّ، «**إخلاصُ العملِ للهِ، والمناصحةُ لأئمةِ المسلمينَ، ولزومُ جماعتِهم؛ فإنَّ دعاءَهم محيطٌ مِن ورائِهم**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «أي: لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة؛ بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٣٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨).

المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلًّا ودَغَلًا، ودواء هذا الغل واستخراجُ أخلاطه: بتجريد الإخلاص، والنصح، ومتابعة السنة»[١].

كيف كانت هذه الثلاث سببًا لنفي الغل عن القلب؟

الجواب: تعليل هذا ـ والله أعلم ـ: أن العابد إذا كان مخلصًا لله في عمله لا يقصد بعمله إلا الله، فإنه حينئذٍ لا يُبالي بمدح المادح ولا قدح القادح، فلا يؤثر فيه؛ مَدَحَهُ الناسُ أم ذمُّوه، شكروه أم كفروه، اعترفوا بفضله وسابقته وقُدراته ومواهبه أم أعرضوا عن ذلك وجحدوه كله، لا يُبالي بذلك؛ لأنه لا يُرَجِّي الثواب منهم، بل قد يكون خفاء أعماله على الناس أحب إليه.

وبعكس ذلك: إذا داخل العملَ شيءٌ من حظوظ النفس؛ من محبة المدح، أو الاعتراف له بالفضل والبذل والمنزلة، أو نحو ذلك، فحينئذٍ من قصَّر في شيءٍ من ذلك ـ كما لو قدَّم عليه غيره أو لم يُنزله منزلته أو لم يَقْدُرْه قَدْرَه ـ: قصَّر في حقه، وأصبح في قلب هذا العامل من الغل والحقد عليه بقدر ما صاحب عمله من حظوظ النفس.

إذن؛ من الأسباب الجالبة للمحبة والتي تنفي الغل من القلب: تكميل الإخلاص لله.

السبب الثاني ـ من الأسباب التي تنفي الغل من القلب ـ: المناصحة، في الحديث: «**والمناصحةُ لأئمةِ المسلمينَ**».

❖ ما أثر المناصحة في انتفاء الغل من القلب؟

الجواب: يوضِّح ذلك صورة، وهو أنك قد ترى على أخ من إخوانك خطأ، فينشأ في قلبك شيء تجده في قلبك على أخيك المسلم، ثم مع استمرار بقاء هذا الخطأ في ذلك الشخص وتَكَرُّرِ مشاهدتك له دون أن تُناصحه؛ يزداد التخالف بينك وبينه، ولا تبقى المسألة اختلاف وجهة نظر،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٠).

ولا تقف عند هذا الحد؛ بل تُصبح انتقادًا، ثم اعتراضًا، ثم تخطئة، وهكذا تزداد الهوة بينك وبينه، فينشأ التباعد والتباغض والغل.

يعني: حينما أرى على أخي المسلم تقصيرًا يَحُزُّ في نفسي أنَّ هذا يعمل كذا، يُخطئ هذا الخطأ، إذا سَكَتُّ ولم أُناصحْه فإن هذه الموجِدة التي في قلبي على هذا الشخص المقصِّر ستزداد مع الزمن ومع استمرار رؤيتي له وأنا لا أُناصحه، وكلما رأيت هذا الشخص وتكرر منه الخطأ استمر ما في قلبي عليه، ويزداد ذلك حتى يُصبح غلًّا على هذا وحقدًا عليه وبغضاء.

لكن لو أخرجتُ ما في قلبي على أخي المسلم بمناصحة، إنِ استجاب فالحمد لله، هو المستفيد، وإن لم يستجب فعلى كلا الحالتين أنا ـ ولله الحمد ـ قد أديتُ ما عليَّ، وأحتسب أجري على الله.

في هذه الحالة لا يكون في القلب مُتمسَّك للشيطان، إذا أتى الشيطان ليوغر صدري على أخي، قال: فعل كذا، وقصَّر في كذا، وجرى منه كذا، ما يكون له مُتَمسَّك، أنا قد أديت الذي عليَّ، والله يُحاسبني عن نفسي، وأنا أديت ما عليَّ، عليَّ مناصحته وقد قمت بها، وصاحبي له ربٌّ يُحاسبه، فلا يكون للشيطان مُتَمَسَّك.

فهذا من أهم الأسباب في زوال الغل من القلب، والتقصير فيه من الأسباب الجالبة للتباغض بين الصالحين.

السبب الثالث ـ في نفي الغل من القلب ـ: اتباع سُنَّة النبي ﷺ، فإن من عواقب التفريط في اتباع النبي ﷺ في العبادة أيًّا كان نوعها؛ من صلاة أو صيام أو طريقة ووسيلة من طرائق الدعوة، أن تكون تلك العبادة التي لم يُكَمَّل فيها الاتباع للنبي ﷺ سببًا في حصول حقدٍ وغلٍّ ودَغَلٍ في قلبه على إخوانه المسلمين الذين خالفوه في طريقة عبادته، كما قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فمن نتائج التقصير في اتباع السُّنَّة: أن هذا المقصِّر يكون تقصيره سببًا في حقده على إخوانه الذين خالفوه.

هذا، وقد بلغ من شر الحاسد أن الله ﷻ شرع الاستعاذة لنا من شرِّه في القرآن في سورة الفلق التي قال عنها النبي ﷺ وعن سورة الناس: «**ما تَعَوَّذَ المتعوِّذونَ بمثلِهما**»[1]، فشر الحاسد رأس من رؤوس الشر التي نُصَّ عليها في سورة الفلق.

❁ ❁ ❁

بِمَ يُدفَع شر الحاسد؟

الجواب: ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله عشرة أسباب يُدفَع بها شر الحاسد[2]؛ منها:

١ ـ التعوذ بالله من شره والتحصُّن به واللجوء إليه، ومن أنفع وأعظم ما يُتعوَّذ به من شرِّ الحاسد: سورة الفلق وسورة الناس التي قال فيها النبي ﷺ كما رواه عنه عقبة بن عامر: «**ما تَعَوَّذَ المتعوِّذونَ بمثلِهما**»[3]، وقد كان النبي ﷺ يتعوَّذ بالله من الجانِّ ومن عين الإنسان حتى نزلت المعوذتان؛ فأخذ بهما وترك ما سواهما[4].

ويدخل في هذا: التحصُّن بالأوراد التي علمناها النبي ﷺ في طرفي النهار في الصباح وفي المساء: سورة الإخلاص، والفلق، والناس، والأذكار الواردة، وهي كثيرةٌ ولله الحمد.

٢ ـ من الأسباب التي يُدفَع بها شر الحاسد: تقوى الله وحفظه عند أمره

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٩٩).
(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٤ ـ ٧٧٦).
(٣) أخرجه أحمد (١٧٢٩٩).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١).

ونهيه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وفي الحديث الذي علَّمه النبي ﷺ لابن عباس: «**احفظِ الله يحفظْكَ**»(١)، فمن حفظ الله حفظه الله وكفاه ما أهمه.

٣ ـ **من الأسباب أيضًا**: الصبر على عدوه، فما نُصِر على عدوه وحاسده بمثل الصبر عليه كما في الآية المتقدمة.

والأمور التي يُدفَع بها شر الحاسد تشمل العائن، فالعائن إنما يُصيب غيره بالعين إذا حسده، فالعائن صنف وجنس من الحُسَّاد.

٤ ـ **ومما يُدفَع به شر الحاسد**: التوكل على الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فالتوكل على الله من أقوى الأسباب التي يَدفع بها العبدُ ما لا يُطيق؛ من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم.

٥ ـ **ومن الأسباب أيضًا**: الإقبال على الله، والإخلاص له، وجَعْل محبته تعالى ورضاه والإنابة إليه هي غايتَه وهمَّه، فتبقى خواطر العبد حينئذ وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب والتقرب إليه، فينشغل بذلك عمَّا سواه.

٦ ـ **ومما يُدفَع به شر الحاسد**: التوبة إلى الله من الذنوب التي سَلَّطت عليه أعداءَه، فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

٧ ـ **من الأسباب التي يُتقى بها شر الحاسد**: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجاربُ الأمم قديمًا وحديثًا لكفى، فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على مُحسن متصدِّق، فإن أصابه شيء من ذلك كان

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

معاملًا به باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببًا لزوالها، ومن أقوى الأسباب لزوالها: الحسد والعين، فالمحسن المتصدِّق يستخدم جندًا وعسكرًا يُقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو، فإنه يُوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر، والله المستعان.

٨ ـ من الأسباب الدافعة لشر الحاسد ـ وهو من أصعب الأسباب على النفس ـ: إطفاء نار الباغي والحاسد والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذًى وشرًّا وبغيًا وحسدًا؛ ازددت إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شفقة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

«إذا» يُسميها أهل البلاغة «إذا» الفُجَائية، تفهم من هذا: أن هذا الأمر قد يأتي بدون مقدمات، يُسيء إليك وتُحسن إليه وتصبر، وتُقابل إساءته بالإحسان، ولا تَرى منه إلا ازديادًا وضراوةً في العداوة، حتى يكاد المرء أن ييأس، ويقول: جرَّبت الصبر، جرَّبت رد الإساءة بالإحسان، فلم أجد منه نتيجة، بل يزداد شرًّا، لا؛ انظر هذه الآية فيها بشارة، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، يعني ستجد هذا ولو لم تكن له مقدمات أو نتائج، مثل الجدار الذي بدأ يُنحَت من أسفله شيئًا فشيئًا وهو جدارٌ عالٍ شامخٌ قوي متماسك، لكن لم تشعر به إلا وقد سقط بِرُمَّتِه، هكذا الإحسان إلى المسيء، وعَدَك الله ـ والله لا يخلف الميعاد ـ بأن هذه الإساءة ستنقلب مودة: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾، ماذا أصبح حاله؟ لم تنطفئ هذه العداوة وتَزُلْ فحَسْب، بل انقلبت إلى ضدها تمامًا: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، أسأل الله أن يجعلني وإياكم ووالدِينا منهم.

يقول ابن القيم رحمه الله: وتأمَّل حال ذلك النبي الذي ضربه قومه حتى

أدموه، فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللهمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمونَ**»، فقد قابل إساءتهم بأربع مقامات من مقامات الإحسان:

الأول: عفوه عنهم.

الثاني: استغفاره لهم: «**اللهمَّ اغفرْ لقومي**».

الثالث: اعتذاره عنهم: «**فإنهم لا يعلمونَ**»، لا يعلمون عاقبة هذا، فيا ربِّ لا تؤاخذهم فإنهم لا يعلمون.

الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه: «**اللهمَّ اغفرْ لقومي**»، فكأنه يشفع لهم عند ربِّه بأنهم قومي، فيا ربِّ هؤلاء قومي اتركهم أو سامحهم لي.

يقول ابن القيم: مثل من يشفع لأحد عند من يريد أن يضربه، فيقول: اتركه هذا ابني، اترك لي ابني ونحو ذلك(١).

وذكر كذلك رحمه الله من أحوال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله الشيءَ العجيب، ذكر عن بعض تلاميذه أنه كان يقول: قد كنا نتمنى أن نُقابل أصدقاءنا بمثل ما يُقابل به أعداءه؛ من البشاشة والطلاقة والبِشر وحُسن الاستقبال(٢).

ويحكي ابن القيم عن نفسه، يقول: أخبرته مرةً عن موت رجل كان من أشد الناس معاداة له، يقول: فنهرني ووبخني واسترجع وقام من فوره إلى بيت هذا المتوفى وعزى أهله، وقال: هل لكم حاجة؟ إن احتجتم حاجةً فأنا في مكان فلان(٣). فنسأل الله من فضله.

٩ ـ السبب التاسع ـ في دفع عداوة الحاسد ـ، وهو الجامع لما سبق كله: تجريد التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٤ ـ ٧٧٦).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٢٨) ط. الكتاب العربي.

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٢٩) ط. الكتاب العربي.

وفي الحديث: «**واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عليك**»(١).

فإذا جرَّد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سوى الله، وكان عدوه أهونَ عليه من أن يخافه مع الله.

هذه بعض الأسباب التي تحمي العبد وتقيه بإذن الله من شر الحاسد، ومن شر العائن، والعائن صنف من الحُسَّاد كما سبق.

❁ ❁ ❁

الأمور التي تُنَقِّي القلب من الحسد

ما الأمور التي تُنَقِّي القلب من الحسد، والتي تُعين العبد على التخلص من الحسد؟ وقَلَّ أن يَسْلَم الإنسان من الحسد.

الجواب: يُتخلص من الحسد بأمور؛ منها:

١ ـ أنْ تنظر ما السبب الذي يدفعك إلى أن تحسد غيرك؟ هل هو لأنه مُتِّع وأنعم الله عليه بأمر من أمور الدين؟ أو بأمرٍ من أمور الدنيا؟

فإن كان بسبب أنه قد أنعم الله عليه بأمر من أمور الدنيا؛ فالدنيا أحقر وأهون من أن تكون هي شغلك الشاغل وهي التي تُسبب لك البُعد عن الله.

أما إن كان الباعث على ذلك أن الله فضَّله بنعمة من نِعم الدين؛ بكثرة العلم، أو اجتماع القلوب عليه، أو جِدِّه وسعيه في هداية الخلق، أو نشاطه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ما أشبه ذلك؛ فهذه نعمة قيضها الله ﷻ للمسلمين، قيَّض لهم من يُعلمهم ويدعوهم ويأمر بالمعروف

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

وينهى عن المنكر، فالواجب عليك تجاه هذه النعمة: أن تشكر الله على هذه النعمة؛ لا أن تُبغضها ويسرك خُفُوتُها واضْمِحْلَالُها وزوالها.

٢ ـ كذلك من الأسباب التي يُتخلص بها من الحسد: معرفة عاقبة ذلك وأثره، وأنه يأكل الحسنات، وأنك إنما تضر نفسك، كما قال بعض الحكماء: «ما رأيتُ ظالمًا أشبه بالمظلوم من الحاسد»[(١)].

٣ ـ كذلك من الأسباب: الدعاء، فالله ﷻ يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فالله ﷻ جعل الدعاء سلاحًا ودواءً، وهناك جملة من الأدعية الواردة عن النبي ﷺ؛ من ذلك: الدعاء الذي علَّمه النبي ﷺ الصديق الأكبر، أبا بكرٍ رضي الله عنه، لما قال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال له النبي ﷺ: «**قلْ: اللهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نَفْسِي، ومن شرِّ الشيطانِ وشِرْكِه**»، وفي رواية: «**وأن أقترفَ على نفسي سوءًا، أو أَجُرَّهُ إلى مسلمٍ، قُلْهُ إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجَعَك**»[(٢)].

فالحسد إنما هو من شرور النفس ومن شر الشيطان.

ثم انظر كيف أوصى النبي ﷺ أبا بكر لما قال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فعلَّمه هذا الدعاء، ثم قال: «**قُلْهُ إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجَعَك**».

سبحان الله العظيم! أبو بكر رضي الله عنه وهو أبو بكر أفضل هذه الأمة، بل ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل منه[(٣)]، يُعلمه

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث السمرقندي ص (١٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢).

(٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما طلعتِ الشمسُ ولا غربتْ على أحدٍ** =

النبي ﷺ هذا الدعاء ويؤكِّد عليه، قال: علمني إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال النبي ﷺ: «**قُلْهُ إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجَعَك**».

تفهم من هذا: مسيس الحاجة إلى مثل هذا الدعاء، وأن الإنسان على خطرٍ عظيم من شر نفسه.

شرور النفس كثيرة ومتلونة وألاعيبها كثيرة، قد تصور لك ـ أحيانًا ـ المعصية في ثوب طاعة، وتصور لك النقيصة في ثوب كمال، وهكذا.

كذلك من الأدعية: ما رواه شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه كان يدعو به في صلاته: «**اللهمَّ إني أسألُك الثباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرشدِ، وأسألُك شكرَ نعمتِك، وأسألُك حُسْنَ عبادتِك، وأسألُك قلبًا سليمًا، وأسألُك لسانًا صادقًا، وأسألُك من خيرِ ما تَعْلَمُ، وأعوذُ بك من شرِّ ما تَعْلَمُ، وأستغفرُك لما تَعْلَمُ، إنك أنت عَلَّامُ الغيوبِ**»[1].

الشاهد منه: قول النبي ﷺ: «**وأسألُك قلبًا سليمًا، وأسألُك لسانًا صادقًا**»؛ فالقلب السليم ممتلئ بمحبة الله، يُحب الله، ويُحب إخوانه المسلمين، ويُحب لهم ما يُحب لنفسه، ويحزنه ما يحزنهم.

٤ ـ **السبب الجامع لهذه الأسباب هو مجاهدة النفس**، فإذا جاهد العبد نفسه، وعَلِم أن الحسد إنما هو خصلةٌ ذميمة، تُبَعِّدُه عن رحمة الله، وتُقرِّبه من سخطه، وتأكل حسناته، وأنه من خُلق الشيطان، فإبليس إنما أُخرِج من الجنة لمَّا استكبر عن عبادة ربه، وحسد آدم على ما آتاه الله من فضله، إذا عَلِم ذلك، وجاهد نفسه في التخلص منه، وكان جادًّا وصادقًا في مجاهدته: فإن الله ﷻ سيُعينه وينصره على نفسه، ويُسهِّل له الطاعة، والله ﷻ وعد وعدًا صادقًا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

= بعدَ النبيينَ والمرسلينَ أفضلَ من أبي بكرٍ»، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، برقم: (١٣٥).

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤).

وانظر إلى هذا القيد في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾؛ فلا بُد أن تكون هذه المجاهدة في الله، يعني: ابتغاء ثوابه، وخوف عقابه، فإذا كان العبد قد جاهد نفسه فيما يُقرِّب من الله، وخوفًا مما يُباعده عن ربه ومما يجلب عليه السيئات؛ فإن الله ﷻ سيُعينه ويُيسِّر له الطاعة، وفي الحديث القدسي: **«من تَقَرَّبَ إليَّ شبرًا، تقربتُ منه ذراعًا، ومن تَقَرَّبَ مني ذراعًا، تقربتُ منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَةً»**[1].

فالعبد إذا كان مع الله، وصَدَق الله، وجاهد نفسه في ذات الله؛ فإن الله ﷻ سيُحقق له مقصوده ذلك.

أسأل الله ـ ﷻ ـ أن يوفقنا لما يُحب ويرضى، اللهمَّ ألهمنا رُشدنا، وقِنا شرور أنفسنا، اللهمَّ إنا نسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يبلغنا حبك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

محاضرة

«أسباب الثبات على الدين»

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي

رَحِمَهُ اللهُ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فلما كانت نعمة الهداية إلى الإيمان أعظمَ النعم كان النظر فيما يثبتها من أهم وأوجب ما يجب على العبد أن ينظر فيه ويهتم فيه.

❋ ❋ ❋

سبب الثبات على الدين إجمالًا

أسباب الثبات على الدين أمران؛ سبب إجمالي، وأسباب تفصيلية، فسبب الثبات على وجه الإجمال: القيام بواجبات الإيمان، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فرُبط التثبيت بالإيمان، فكلما كان العبد أتمَّ إيمانًا كان هذا أتمَّ لتثبيته.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «يُخبر تعالى أنه يُثبت عباده المؤمنين؛ أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيُثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود

الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين ـ للجواب الصحيح. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم»[(١)].

❁ ❁ ❁

أسباب الثبات على الدين تفصيلًا

إن من أسباب الثبات على وجه التفصيل:

١ ـ طلب العلم الشرعي ابتغاء وجه الله ـ وهو أهم الأسباب ـ:

ووجه كونه سببًا للثبات: أن العلم سبب لتحصيل اليقين، واليقين هو: العلم النافع الذي رسخ في القلب فأثمر العمل الصالح.

وقد ورد في فضل طلب العلم آيات وأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ؛ منها قول الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، ومنها: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]، ومنها: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، ومنها قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فقرن الله شهادة أولي العلم بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة، إلى غير ذلك من الآيات.

أما من السنة، فمنها قول النبي ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**[(٢)]، وقوله ﷺ: **«من سَلَكَ طريقًا يبتغي فيه عِلمًا سَهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلى الجنةِ، وإن الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رِضًا بما يَصنعُ، وإن العالِمَ لَيَستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ حتى الحيتانُ في الماءِ،**

---

(١) تفسير السعدي ص (٤٢٥ ـ ٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

وفَضْلُ العالِمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإن الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثُوا العلمَ، فمن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ»[١].

وفي هذا الحديث ترغيب عظيم في طلب العلم؛ لأن الثواب الموعودَ به هو تسهيل الطريق إلى الجنة، والعمل الذي رُتِّب عليه هذا الثواب: سلوك الطُّرُق إلى العلم، فكل من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا مخلصًا لله فإنه موعود بهذا الثواب؛ سواء حصل بغيته أم لم يحصلها.

سؤال: ما العلم الذي ورد في شأنه كل ما تقدم؟

الجواب: العلم الممدوح صاحبه في الكتاب والسنة هو العلم الشرعي، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: **«العلمُ ثلاثةٌ، وما سوى ذلك فهو فَضْلٌ؛ آيةٌ مُحْكَمَةٌ، أو سُنَّةٌ قائمةٌ، أو فريضةٌ عادلةٌ»**[٢].

لكن ما حكم العلوم الدنيوية النافعة؟

الجواب: هذه بحسب مقصد صاحبها، فمن نوى نية حسنة فإنه يؤجر ويثاب على حسن نيته، لا لشرف ذلك العلم، ومن نوى بتعلمه مقصدًا مباحًا فإن تَعَلُّمَه مباح، وهكذا.

وحاجات المسلمين اليوم كثيرة، وتنقصهم أشياء كثيرة؛ لكن لا شيء يحتاجون إليه كحاجتهم إلى العلم الشرعي والعلماء؛ لأن العلماء هم الذين يقودونهم ويوجهونهم ويسيرون بهم إلى ما يحبه الله ﷻ.

ومما يبين حاجة المسلمين الماسة إلى العلماء الربانيين: أن أقطار المسلمين لا تخلو من وجود فئة غيورة على دين الله، تتشوف إلى نصرة دين الله، وتستعد لبذل ما تستطيع من أجل ذلك؛ حتى لو كانت حياتهم؛ لكنَّ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٨٥)، وابن ماجه (٥٤).

افتقاد كثير منهم للعلماء يجعل كثيرًا منهم طاقاتٍ مُعَطَّلَة مُهْدَرة؛ بل كان لبعض مساعي هؤلاء نتائج عكسية.

السبب الثاني من أسباب الثبات على الدين:

٢ ـ الاجتهاد في الطاعات، بالمواظبة على الفرائض، والاستكثار من النوافل:

ووجه كون الاجتهادِ في الطاعات سببًا للثبات: أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والدليل على ذلك: قول النبي ﷺ: **«بادِرُوا بالأعمالِ فِتَنًا كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، يصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبحُ كافرًا، يبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ من الدنيا»**(١)، نسأل الله العافية والسلامة.

فانظر إلى توجيه النبي ﷺ، فقد أمر بمبادرة تلك الفتن ومسابقتها بالعمل الصالح قبل أن تقع، فالفتن إذا واجهت رجلًا مؤمنًا متسلحًا بالعمل الصالح فإنها ـ بإذن الله ـ لن تؤثر فيه، وأما إذا واجهت إنسانًا خاويًا من ذلك فإنه حريٌّ به أن يزل.

ويشبه هذا المعنى: قول أم سلمة ﵂: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: **«لا إلهَ إلا اللهُ! ماذا أُنْزِلَ الليلةَ من الفتنةِ، ماذا أُنْزِلَ من الخزائنِ، من يُوقِظُ صواحبَ الحجراتِ، كم من كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يومَ القيامةِ»**(٢).

ففي قوله ﷺ: **«من يُوقِظُ صواحبَ الحجراتِ»** إشارةٌ إلى أن التزود بالعمل بالصالح من أهم الأسباب التي تثبت العبد أمام الفتن، والله أعلم.

ومن أهم الطاعات: إقام الصلاة، فإنها عمود الدين، وأعظم أركانه بعد الشهادتين، ولها شأن ليس لغيرها في تثبيت العبد وتقوية إيمانه؛ بل لها شأن

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤٤).

في دين الله ليس لغيرها: فُرضت في السماء، بلا واسطة، وهي من أوائل ما فرض على النبي ﷺ، ولا تسقط عن المكلف مادام عقله معه، وتجب على كل مكلف؛ الذكر والأنثى، والغني والفقير، والصحيح والمريض، وفي حال السِّلم وفي حال الحرب.

والصلاة عمود الدين، ومن شأن البناء أنه إذا صحت أعمدته صح ما يُقام عليه وما يبنى عليه، ولذلك؛ فإن الصلاة إذا صَحَّتْ صح دينه وظهر أثر ذلك في سائر شُعب الإيمان، وإذا ضعفت صلاة العبد وقَصَّر فيها ظهر أثر ذلك الضعف في سائر شؤون العبد.

هذا شأنها في الدنيا، وشأنها في الآخرة: أنها أول ما يُنظر إليه من أعمال العبد، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن رُدت رُد سائر عمله[1].

فيا أيها المسلم! أنزل هذه الفريضة منزلتها، واعتنِ واحتفِ بها، واقتد بالنبي ﷺ وبسلف هذه الأمة كيف كانوا يهتمون بها، فإن ذلك يختصر عليك أشياء كثيرة.

ومما يؤسف: أنك تجد عددًا من الصالحين لا يُنزِلون هذه الفريضة منزلتها، فقد تجد بعضهم يهتم بأمور كثيرة من أمور الخير، ويجاهد نفسه، ويحزن إذا قَصَّر في بعض أبواب الخير، لكنه إذا أدى هذه الفريضة رأى نفسه قد وَفَّاها حقوقها، وسبب ذلك: أنه قَصَر حقها على أدائها في المسجد.

ومن أهل الخير والفضل من اعتاد فوات تكبيرة الإحرام، أو الركعة الأولى، أو أكثر من ذلك، ويرى أن الأمر يسير.

ومن صور التفريط في الصلاة: التأخر عن صلاة الجمعة، والنبي ﷺ يقول: «**من اغتسلَ يومَ الجمعةِ غُسْلَ الجنابةِ ثم راحَ فكأنما قَرَّبَ بدنةً، ومن راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قَرَّبَ بقرةً، ومن راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنما**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٨٥٩).

قَرَّبَ كبشًا أَقْرَنَ، ومن راحَ في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قَرَّبَ دجاجةً، ومن راحَ في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قَرَّبَ بيضةً»[١].

وبعض الناس ـ وأخص منهم الصالحين لأن العتب عليهم أكثر من غيرهم ـ ربما يمر عليه الشهر والشهران والسنة والسنتان وهو لم يذهب لا في الساعة الأولى ولا في الثانية بل ربما في الثالثة أو الرابعة، ويرى أنه من المبكرين! ما هو السبب؟ من الأسباب: أنه يقارن نفسه بالمتأخرين.

ومن الطاعات التي يحرص عليها المسلم: تلاوة القرآن وكثرة الذِّكر.

وهكذا يحرص العبد على سائر الطاعات، فإنها سبب في تثبيت إيمان العبد؛ لأن الإيمان ـ كما تقدم ـ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فيستكثر العبد من جميع الطاعات ما أمكنه؛ بادئًا بالحرص على الفرائض، ومستكثرًا من النوافل، كما في الحديث القدسي: «**وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افْتَرَضْتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُه كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصرُ به، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورجلَهُ التي يمشي بها، وإن سألَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولئنِ استعاذني لأُعِيذَنَّهُ**»[٢].

وعلى المرء أن يراعي طاقته ويكون متوازنًا، ولا يُحَمِّل نفسه ما لا تطيق، فإن الإنسان قد يندفع ـ أحيانًا ـ بحماس، ثم يفضي به ذلك إلى السأم والملل، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**عليكُم من الأعمالِ ما تُطِيقُونَ، فإن اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا**»[٣]، وفي الحديث الآخر: «**إن لكلِّ عاملٍ شِرَّةً**[٤]**، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةً، فمن كانت فَتْرَتُه إلى سُنَّتِي فقد اهتدى، ومن كانت فَتْرَتُه إلى غيرِ ذلك فقد ضَلَّ**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٢).

(٤) أي: نشاط واندفاع وحماس. «المؤلف»

(٥) أخرجه أحمد (٦٩٥٨)، ولفظه: «**إن لكلِّ عملٍ شِرَّةً**».

ومن أسباب الثبات:

٣ ـ الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فاستكثر من الدعاء بالثبات، فقد روى الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: **«يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينِكَ»**[١]، وروى الإمام أحمد والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: **«يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينِكَ»**، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به؛ فهل تخاف علينا؟ قال: **«نعم، إن القلوبَ بين أصبعينِ من أصابعِ اللهِ يُقَلِّبُها كيف يشاءُ»**[٢].

السبب الرابع من أسباب الثبات:

٤ ـ ألا يُعجَب المرء بنفسه:

فقد يُوَفَّق المرء لباب من أبواب الخير، كالتبكير إلى الصلاة، أو المحافظة على نوافل الصيام، أو حفظ القرآن، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ما أشبه ذلك، فاحذر على نفسك من العجب؛ فإنه سبب للخذلان ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ.

والحال المطلوبة من العبد: أن يكون خائفًا راجيًا، وهذه الحال مطلوبة من العبد دائمًا، فإن وفق لطاعة فإنه يرجو من الله أن يقبل عمله ويثيبه بفضله ويضاعف له الأجر، ويخاف أن يُرَد عمله بسبب تقصيره وتفريطه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وإن وقع في معصية فإنه يرجو أن الله ﷻ يقبل توبته ويبدل سيئاته حسنات وأن يكون حاله بعد المعصية خيرًا منه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وأحمد (١٢١٠٧).

قبلها، ويخاف أن تُرَد توبته وأن يُمَدَّ له في المعصية، وهكذا إن حصلت له نعمة يخاف أنها استدراج، ويخاف أن يُقَصِّر في شكرها، ويرجو أن الله يبارك له فيها ويعينه على شكرها وأن تكون عونًا له على طاعته، وإن أصابته مصيبة فإنه يرجو أن الله يكفر بها عن سيئاته، وأنه ممن أحبه الله فابتلاه، لأن «**اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم**»(١)، ويخاف أن ذلك بسبب ذنوبه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

٥ ـ حسن الظن بالله ﷻ:

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي**»(٢)، وهذا فيه ترغيب وترهيب، فَظُنَّ بالله ظَنًّا حسنًا يُحَقِّقِ الله ظنَّك فيه، ومن ظن بالله الظن السيئ فإنه متوعد بتحقق ذلك الظن فيه.

وتفطن إلى أن حُسن الظن يستلزم حسن العمل، فحَسَنُ الظن بالله هو: من يظن بالله ﷻ الظن الحسن، ويجتهد ـ ما أمكنه ـ في تحقيق بغيته وطلبه، فهذا موعود بأن الله يحقق ظنه الحَسَن فيه.

وفي المقابل: احذر من إساءة الظن بالله ﷻ، فإن هذا من فعل أهل الجاهلية: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٦ ـ محاسبة المرء نفسَه وعدم غفلته عنها:

متى تكون المحاسبة؟ يرتبط في أذهان بعض الناس أن المحاسبة لا تكون إلا في أواخر العام، أو أواخر الشهر، أو أواخر الأسبوع أو حتى أواخر اليوم.

والصواب أن المحاسبة أمر مستمر يصاحب المسلم في جميع أحواله، فتكون قبل العمل، وأثناء العمل، وبعد العمل.

فتسأل نفسك قبل العمل: لماذا أعمل هذا العمل؟ هل هو مما يحبه الله؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قد يكون هناك ما هو أحب إلى الله، فتحاسب نفسك. ثم في أثناء العمل تسأل نفسك: هل أنت على الحال التي يحبها الله؟ ثم تسأل نفسك بعد العمل: هل بَدَر منك تفريط وتقصير.

وما أثر المحاسبة في الثبات؟

إذا كان العبد كثير المحاسبة لنفسه فإنه يسهل عليه استدراك الخطأ، وإذا غفل عن نفسه ثم تيقظ مرةً من المرات وإذا عليه ديون ثقيلة فقد يصعب عليه القيام بحقوقها.

مثال ذلك: إنسان تضطره الحاجة إلى الاقتراض؛ لكنه حازم، فإذا اقترض بادر بالسداد، ثم إنِ اضطر واقترض بادر بالسداد، فهذا يسهل عليه القيام بأداء ما عليه من حقوق. أما الذي يقترض من هذا مبلغًا ـ ولو يسيرًا ـ، ومن الآخر كذلك، ثم لم يشعر إلا وقد تراكمت عليه الديون، فهذا يصعب عليه السداد.

٧ ـ التحرز من الذنوب، ومبادرةُ ما يقع منها بالتوبة، والإكثارُ من الاستغفار:

فَتَحَرَّزْ من الذنوب وتَحَفَّظْ منها، وإذا بَدَرَ منك ذنب فلا تقل هذا ذنب يسير، أو تنتظر وتؤخر التوبة؛ بل بادر بالتوبة منه، وأكثر من الاستغفار.

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فهذه الآية تضمنت ترغيبًا وترهيبًا، ففيها ترغيب وبشارة للمؤمنين بتثبيتهم، ونِذارة وترهيب للظالمين بإضلالهم.

والظلم أجناس، فهو يشمل ظلم العبد نفسَه بالذنوب، وظلمَه غيرَه بتعديه على حقوقه، ويشمل الشرك، وهو أعظم الظلم: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فكلما تحرز العبد من الظلم بجميع أجناسه كان هذا سببًا لتثبيته، وفي المقابل: كلما وقع في الظلم فإنه مُتَوَعَّد بالإضلال.

٨ ـ حفظ الجوارح، وعدم التساهل بالصغائر:

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [النور: ٢١].

فلا تتساهل بالصغائر، ولا تقل هذا أمر يسير، هذا أمر هين، الناس يفعلون أكثر من هذا وأعظم منه، فإن تَسَاهُلَكَ هذا انتصارٌ من الشيطان عليك، ولا تُصَوِّر حجم الخسارة بحجم هذه الخطوة، فإن انهزامك في أول خطوة يقودك إلى ما بعدها وتُؤَيَّد بهزائم متتالية، والنهاية: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾، فالشيطان يتدرج بالعبد حتى يوصله إلى الفحشاء؛ ما عَظُم قبحه من الأقوال والأفعال!

وكيف يُسَدُّ هذا الباب؟

الجواب: ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾، ويقول النبي ﷺ: «**تُعْرَضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أَنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حتى تصيرَ على قلبينِ، على أبيضَ مثلِ الصفا فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامتِ السماواتُ والأرضُ، والآخرُ أسودُ مُرْبَادًّا كالكوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ معروفًا ولا يُنْكِرُ منكرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هواهُ**»(١).

وقوله ﷺ: «**مُرْبادًّا**»، ذكر بعض أهل العلم أنه سواد في غبرة(٢)، لون كَرِيه.

«**كالكوز**»: إناء الشرب.

«**مُجَخِّيًا**»؛ أي: مُنْكَفِئًا، فمهما سكبت فيه من الماء لم يبق فيه، فهذا القلب مهما رأى من العِظَات والعِبَر والقوارع لم تؤثر فيه، نسأل الله العافية(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٧٣).

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١/ ١٢٩): «تُعرضُ» أي تُلصق بعرضِ القلوب ـ أي: جانبها ـ كما يُلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به. وقال في (٢/ ١٧١): ««عودًا عودًا» أي: تعاد وتكرر شيئًا بعد شيء». وفي (٢/ ١٧٢): =

السبب التاسع من أسباب الثبات:

٩ ـ اتباع السنة، والحذر من البدعة:

البدعة سبب لزيغ القلوب، وذكر العلماء أن البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن المبتدع يفعل البدعة وهو يظن أنه يُحسن صُنْعًا وأن ما يفعله قُربة، فكيف يُنتظر منه أن يتوب؟!

إذن؛ اجتهد في متابعة النبي ﷺ، ولا تقل: الناس يفعلون كذا؛ بل تَحَرَّ ما كان يفعله النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وسَمْتِه وهَدْيِه وفي جميع شأنه واقتد به.

١٠ ـ البعد عن مواطن الفتن: فتن الشبهات والشهوات.

فاحذر على دينك، فإن مَن حذر على دينه فإنه حَرِيٌّ بأنْ يُحفظ ويُثبت، وأما من جازف وهان عليه شأن الدين في قلبه فإنه يُخاف عليه أن يُخذل.

فالمؤمن ينأى بدينه ويبتعد عن فتن الشبهات والشهوات، بخلاف ضعيف الإيمان. ثم لو حصلت فتنة فإن الذي بذل السبب في الابتعاد عنها موعود بالتثبيت؛ لأن الله تعالى شكور، فيشكر له صنيعه فيثبته.

والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها: قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فلأنه كان من عباد الله المخلصين، الحريصين على دينهم، وآثر السجن مظلومًا على أن يبقى في بيت العزيز معززًا لكنَّ الفتنة تصبحه وتمسيه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، فلذلك ثَبَّته الله تعالى، وقَيَّض له من الأسباب ما صرفه عن الهَمِّ بالفاحشة.

وكذلك: قصة ذلك الراهب لما قال للغلام: «أيْ بُنَي! أنت اليومَ أفضلُ

= «**أُشربها**» أي: دخلت فيه دخولًا تامًّا وأُلزمها وحلت منه محل الشراب. «**نُكِتَ فيه نُكْتةٌ**»: نُقِط نُقْطة. قال ابن دريد: كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نَكْتٌ. «**أَنْكَرَها**»: ردها. «**الصفا**»: الحجر الأملس الذي لا يَعْلَق به شيء».

مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليتُ فلا تَدُلَّ عليّ»[١]، الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه أوصاه بهذه الوصية خوفًا من أنْ يُفتن فيَفْتَتِن؛ لا خَوَرًا وضعفًا وجُبنًا وهلعًا، ثم لما قَدَّر الله أنْ يُطَّلع على أمره قيل له: «**ارجعْ عن دينِك، فأبى، فوُضعَ المِئْشَارُ**[٢] **في مَفْرِقِ رأسِه، حتى وقعَ شِقَّاهُ**»[٣]، وهو ثابت على دينه، رحمة الله عليه.

فسبب هذا الثبات العجيب: أنه كان في وقت الرخاء والسراء حريصًا على دينه.

ومن أسباب الثبات:

١١ ـ الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

ووجه كون هذه الأمور سببًا للثبات:

١ ـ أنها من واجبات الإيمان.

٢ ـ أن الذي دعا غيرَه إلى الله وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر يكون ـ في الغالب ـ قد دعا نفسه إلى ذلك وأَمَرها ونَهاها.

٣ ـ أن من حمله على ذلك النصحُ لعباد الله ومحبة الخير لهم والغيرة على دين الله: أن الله يشكر له ذلك، فيعطيه مثل ما حرص على إيصاله للناس؛ بل أكثر من ذلك؛ لأن الله شكور.

وهذا الأمر شأنه عظيم، والتقصير فيه كثير، والتفريط فيه خطير، وأخص من ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه قاعدة من قواعد الدين، وواجب من أهم واجباته، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل قوام مصالح العباد ـ الدينية والدنيوية ـ مرتبطًا بهذه الفريضة، كما نص على ذلك أهل العلم،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

(٢) هكذا مهموزًا، وهو بمعنى المنشار.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

فإذا قام العباد بما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتظمت وحُفظت مصالح دينهم ودنياهم، وإن قَصَّروا فهذا مُؤْذِن بأمور خطيرة، كما قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه! لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقابًا منه، ثم تَدْعُونَه فلا يُستجابُ لكم**»(١).

السبب الثاني عشر من أسباب الثبات:

١٢ ـ تَذَكُّر الموت وما بعده، والزهد في الدنيا:

لأن الرغبة في الدنيا من أعظم ما يصرف العبد عن طاعة الله: وألوان الرغبة في الدنيا كثيرة، ولذلك؛ انظر إلى آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ الكثيرةِ التي تحذر من الدنيا والاغترار بها.

ومما يعين المرء على الزهد بالدنيا: أن يتعاهد نفسه بين حين وآخر بالمواعظ، وأن يتذكر الموت، فتَذَكُّرُ المآل يعين على تحسين الحال.

وأخيرًا؛ فإن من أسباب الثبات:

١٣ ـ الحرص على الرفقة الصالحة التي تُذكرك إذا نسيت، وتعينك إذا ذكرت:

والعاقل اللبيب يختار أصحابه وينتقيهم انتقاءً، وكثير من الناس إنما يُحدد أصحابَه وسطُه الذي هو فيه ولا ينتقيهم انتقاءً، ولهذا تجد بعض الأصحاب ـ وإن كانت سيماهم الصلاح ـ لا يستفيدون من بعض؛ بل ربما كان بعضهم سببًا للكسل والفتور عن طاعة الله.

هذه بعض أسباب الثبات على الدين، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٩).

محاضرة

«أحاديث التربية في صحيح الإمام مسلم»

لِلشَّيخ فَهدِبنِ سُلَيمانَ آلقَاضِي

رَحِمَهُ اللَّهُ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فهذا تعليق على أحاديث مختارة من أحاديث التربية الواردة في صحيح الإمام مسلم رحمه الله:

فالحديث الأول هو: حديث أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه في ذِكر قصة الهجرة.

والحديث الثاني: حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليَسَر، رضي الله عنهما.

والحديث الثالث: حديث قصة أصحاب الأخدود.

ويليه تعليق على عشرين حديثًا موضوعاتها متعددة.

❁ ❁ ❁

الحديث الأول

حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذِكر قصة الهجرة

روى الإمام مسلم (٢٠٠٩) رحمه الله قال:

حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، قال: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِي أَبِي: احْمِلْهُ، فَحَمَلْتُهُ، وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ

يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَم مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ مَعَهُ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، قَالَ: وَمَعِي إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُتِينَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أُرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ فَدَعَا اللهَ، فَنَجَا، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا.

وحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، ح وَحَدَّثَنَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، كِلَاهُمَا عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَبِي رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، وقَالَ فِي حَدِيثِهِ، مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ عُمَرَ: فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَاخَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ، وَوَثَبَ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَيَّ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي، فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ» فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ، أَخْوَالِ

عبد المُطَّلِبِ، أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ» فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ، يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ.

❖ **التعليق على الحديث:**

الحديث رواه البراء بن عازب ﷺ: «**يَقُولُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِي أَبِي: احْمِلْهُ، فَحَمَلْتُهُ، وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ**»؛ يعني: يستوفي الثمن.

«**فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ**»؛ يعني: مشوا في الليل كله، وفي النهار حتى انتصف النهار، «**حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ**».

«**حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ**»؛ يعني: بانت لنا، وظهرت لنا «**صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ**».

«**فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ**»؛ يعني: أستبرئ المكان وأُفتِّش؛ لئلا يكون هناك أحد يطلب النبي ﷺ، وكانت قريش قد جعلت جائزةً ثمينة لمن يأتي بالنبي ﷺ؛ مائةً من الإبل، ثروة مغرية وعظيمة جدًّا.

«**فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ**» إذن؛ أبو بكر ﷺ مع هذا الجهد: ليلة كاملة وهو يسير، وفي النهار يسير، ومع هذا لما نزل هذا المنزل ما استقر وارتاح، وإنما أخذ يبحث هل المكان آمن.

«**فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا**»؛ يعني: يُريد أن يَقِيلَ في ظل هذه الصخرة، يُريد منها الظل.

«فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» قال الشارح النووي: «المراد بالمدينة هنا: مكة، ولم تكن مدينة النبي ﷺ سُميَّت بالمدينة، إنما كان اسمها يثرب»(١).

مثل ما لو كنت في أطراف مدينة الرياض ـ مثلًا ـ، ثم يقول لك أحد: أنا ذاهب إلى داخل المدينة؛ يعني: داخل المدينة المعهودة، المدينة القريبة.

«قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ مَعَهُ» القعب؛ قال النووي: «قدحٌ من خشب»(٢).

«كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ» قال النووي: «هي قدر الحلبة»(٣).

«قَالَ: وَمَعِي إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ» كان العرب يشوبون اللبن بالماء ليبرد.

«فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ» ورد تفصيل قصة سراقة في غير هذا الموضع، وهو أنه أتاه رجل وقال: رأيت هاهنا أَسْوِدَة ما أُراها إلا بغيةَ قريش، فقال سراقة: لا، هذا فلان وفلان أضاعا إبلهما فهما يبحثان عنها. أراد سراقة أن يصرفه عن متابعة النبي ﷺ؛ لأنه عرف أو غلب على ظنه أنهما النبي ﷺ وصاحبه، ثم أمر غلامًا له أن يُخرِج فرسه من بابٍ خلف الدار، ويُعِدَّ رمحه، وينطلق بالفرس، حتى ركب فرسه وذهب في أثر هذا السواد الذي ذُكِر له.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤٩).

«وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ» جَلَد؛ أي: أرض صلبة.

«فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُتِينَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أُرَى(١)»؛ أي: غاصت قوائمها في تلك الأرض الصلبة.

«فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ» عرف أن هذا لا يمكن أن يكون إلا بسبب دعوة النبي ﷺ؛ لأنه ـ كما في رواية أخرى ـ ضربها فقامت، ثم بعد ذلك ركب عليها، فساخت قوائمها في الأرض، ثم زجرها فقامت، فتكرر منه، «فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ فَدَعَا اللهَ، فَنَجَا، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا» وهذا من محاسن أخلاق العرب، وهو الوفاء بالعهد، وكان هذا من الأخلاق التي يحرصون عليها.

وكذلك ـ في الغالب ـ: الصدقُ في الحديث، فهو هنا قال كلامًا هو فيه صادق، قال: «قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا»، ما كذب وقال: لا يُوجد النبي ﷺ هنا، أو نحو هذه العبارة.

والصدق في الحديث كان العرب يتمدَّحون به، ويقول أحد الحكماء: «إني امتحنتُ خصال الناس فوجدتُ أشرفها صدق اللسان»(٢).

❖ **فوائد الحديث:**

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث فوائد:

منها: هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله ﷺ.

وفضيلةٌ ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه من وجوه.

---

(١) قال القرطبي في المفهم (٦/ ٦٨): «قوله: «أُرَى» بضم الهمزة؛ أي: أظن أنها وصل بطنها إلى الأرض».

(٢) المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٦/ ٣١١).

وفيه: خدمة التابع للمتبوع.

وفيه: استصحاب الرَّكْوَة والإبريق ونحوهما في السفر للطهارة والشرب»[١].

الركوة: إناء يُحفَظ فيه الماء.

قال النووي: «وفيه: فضل التوكل على الله ﷻ، وحسنُ عاقبته.

وفيه: فضائل للأنصار لفرحهم بقدوم رسول الله ﷺ وظهورِ سرورهم به.

وفيه: فضيلة صلة الأرحام.

وأن الرجل الجليل إذا قدم بلدًا له فيه أقارب ينزل عندهم يكرمهم بذلك، والله أعلم»[٢].

ومن فوائد الحديث: أن شخصية أبي بكر ﷺ من أهم ما يُميزها: تكاملها، فأبو بكر ﷺ فقيهٌ، عالمٌ، عابدٌ، مجاهدٌ، منفقٌ في سبيل الله، داعٍ إلى الله، بارٌّ بوالديه، واصلٌ لرحِمه، مدركٌ لعلوم عصره، لَبِقٌ يحسن التعامل مع جميع الفئات.

فالتكامل فيه صفةٌ بارزة وواضحة، وشواهد ذلك وأدلته كثيرة جدًّا يصعب أو يطول سردها وإيرادها، لكنْ لعل منها: حديث النبي ﷺ: **«مَن أنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ في الجَنَّةِ: يا عَبْدَ اللهِ، هذا خَيْرٌ، فمَن كانَ مِن أهْلِ الصَّلاةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصَّلاةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الجِهادِ، دُعِيَ مِن بابِ الجِهادِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصَّدَقَةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصِّيامِ، دُعِيَ مِن بابِ الرَّيّانِ»** قالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يا رَسولَ اللهِ،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٥٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٥١) باختصار.

ما علَى أحَدٍ يُدْعَى مِن تِلكَ الأبْوابِ مِن ضَرُورَةٍ، فَهلْ يُدْعَى أحَدٌ مِن تِلكَ الأبْوابِ كُلِّها[١]؟ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، وأَرْجُو أنْ تَكُونَ منهمْ»[٢].

فهو يُدعى من تلك الأبواب كلها؛ أبوابِ الخير؛ لأنه رضي الله عنه قد برّزَ في جميع هذه الأبواب.

❖ ما الأسباب التي تكمل بها شخصية المسلم؟

الجواب: يكون ذلك بتوافر أمور:

١ ـ معرفة العبد لربه؛ بتحقيق التوحيد، وتكميل الإيمان:

والتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية هو: إفراد الله في أفعاله؛ يعني: أن تنسب أفعال الله إلى الله وحده: خَلْق السماوات والأرض، إنزال المطر، تصريف الرياح، تسيير السحاب، الحياة والموت، النصر والهزيمة، الصحة والمرض، الغنى والفقر، العز والذل.

كل ما في هذا الكون من أحداث تنسبه إلى الله وحده، فهذا توحيدُك اللهَ في ربوبيته.

وتوحيد الألوهية: إفراد الله بأفعال العباد؛ أن تتوجَّه إلى الله بأفعالك التي تفعلها على وجه التَّقَرُّب، فتتوجه بعباداتك إلى الله وحده، وتستمد حاجتك منه وحده سبحانه.

---

(١) قال صاحب المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٥٣١): «تقديره: ما ضرورةٌ؛ أي: ليس ضرورةٌ على مَن دُعي من تلك الأبواب واحتياجٌ؛ يعني: لو دُعِيَ من باب واحد يحصل مراده، وهو دخول الجنة، وليس عليه ضرورةٌ واحتياج إلى أن يُدعَى من جميع الأبواب، ومع أنه لا ضرورة عليه في أن يُدعَى من جميع الأبواب، فهل يكون أحدٌ يُدعَى من جميع الأبواب؟».

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

وتوحيد الأسماء والصفات: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، إيمانًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

توحيد الربوبية إذا صحَّ فإنه يستلزم توحيد الألوهية، بمعنى: أن العبد إذا أقر بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبِّر، المحيي، المميت، منه سداد الدَّين، ومنه شفاء المرض، ومنه العز والذل، والنصر والهزيمة، والسعادة والحزن، إذا استقر هذا في قلب العبد فإن النتيجة البَدَهِيَّة: أن يتوجه في عباداته إلى مَن هذا شأنه، ويتألهه، ويستمد منه مَطالبه وحاجاته.

وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، بمعنى: أن العبد إذا تَأَلَّه اللهَ وحده، بأنْ صرف إليه عباداته، وتوجه إليه لتحقيق حاجاته كلها، فَفِعْلُه هذا مُنْطَوٍ على أنه مُقِرٌّ بأنه الخالق، الرازق، المحيي المميت، مُفرِّج الكروب، الخافض الرافع.

والذي يلفت النظر: أن القرآن حينما خاطب المشركين وهم مُقِرُّون بتوحيد الربوبية؛ لكنهم منكرون لتوحيد الألوهية، وهو الذي حصل فيه نزاع بين الأنبياء وأُممهم - أنه حينما خاطبهم قرر توحيد الربوبية، وأَبْدَأَ وأعاد في ذِكره في مواضع كثيرة جدًّا جدًّا من القرآن.

كيف يُخَاطبون بتوحيد الربوبية وهم يُقرون به؟

الجواب: لِيُرَتَّب عليه لازِمُه، وهو توحيد الألوهية.

ولذلك فإن بعض الناس يفهم حينما يُقال: إن تُوحيد الربوبية قد أقر به المشركون، وأن النزاع بين الأنبياء وأممهم إنما هو في توحيد الألوهية، يظن أن توحيد الربوبية لا حاجة لتقريره، ولا للنظر فيه، ولا لتذكير الناس به، وهذا خطأٌ شنيع، تَرُدُّه النصوص الكثيرة جدًّا في القرآن التي تذكر هذا؛ لكن يُذكَر لا لتقريره وتَتَوقف عند هذا، وإنما لِيُرَتَّب عليه لازمه.

فأنت إذا أيقنت بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت مدبِّر هذا الكون فحينئذٍ تنبعث الأعمال؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح، تتوكل على من هذا

شأنه، وتخاف من هذا شأنه، وتُحب من هذا شأنه، وتتوجه إليه بأعمالك كلها، فمن أعظم أسباب تحقيق توحيد الألوهية هو تحقيق توحيد الربوبية.

وكما ذكرت أن ما يفهمه بعض الناس من التهوين من شأن تقرير توحيد الربوبية أن هذا خطأٌ كبير، فمثله أو أكبر منه حينما يكون الهَمُّ منصرفًا إلى تحقيق توحيد الربوبية ويتوقف عند هذا؛ إثبات وجود الرب ﷻ، وهذا أمرٌ متقرر في الفِطَر؛ لكن ينبغي تقرير ذلك ويُرتَّب عليه لازمه، وهو توحيد الألوهية.

وبعد ذلك: توحيد الأسماء والصفات، وهو: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ في السُّنَّة الصحيحة، إيمانًا بلا تمثيل ولا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل.

وأكثر آيات القرآن تُختَم باسم من أسماء الله، أو صفةٍ من صفاته، فيجب علينا أن نتدبر القرآن كله وهذه المواضع التي فيها ذِكر أسماء الرب وصفاته خصوصًا، وهذا أعظم أسباب زيادة الإيمان؛ أن تتدبر أسماء الرب ﷻ.

أما حينما تكون دراستنا لتوحيد الأسماء والصفات دراسة علمية ذهنية نظرية فقط؛ فهذه لن تُحقق أثرها، هذا عِلم يجب أن يتبعه العمل.

إذا كان أحدنا يُطالب نفسه بالتطبيق حينما يدرس بابًا من أبواب العلم، أو مسألة من مسائل الفروع، فمثلًا حينما تدرس هدي النبي ﷺ في الطعام، أو هديه في اللباس، أو فضلَ الإنفاق والصدقة، أو نحو ذلك من أمور العلم، فإنك تُطالب نفسك بتطبيق هذا العلم، وإن خالفت فإنك تعود على نفسك بالعتب، وتخشى أن يكون علمك وَبَالًا عليك، وحُجةً عليك؛ لماذا؟ لأنك لم تُطبِّق ذلك، وهذا أمرٌ مفروض ومتعين ومتأكد.

لكن علم الأصول أولى بالتطبيق، والخطرُ في أن يخالف فعلُك علمَك فلا تعمل به، الخوف هنا أكبر وأشد من المخالفة في مسائل الفروع.

حينما تدرس توحيد الأسماء والصفات اسأل نفسك: ماذا كان أثر هذا على عملك؟

هل زاد ذلك في إيماني، وزاد من خشيتي لله، ومن توكلي على الله، ومن محبتي له، ورجائي له، ورهبتي منه سبحانه، وأثمر ذلك الأعمالَ الصالحة؟

أم أنه اقتصر على أن يكون علمًا مجردًا؟ العلم في ذاته فيه خيرٌ كثير؛ لكن الوقوف عند هذا لا يجوز ولا يصح.

فمثلًا: أنت يا أيها المسلم الموحِّد المقتفي لآثار السلف قد أنعم الله عليك بنعمة اقتفاء آثار السلف، أنت تُقر بأن الرب ﷻ مستوٍ على عرشه حقيقةً، بائنٌ من خلقه، ما الفرق بينك وبين ذلك البِدعي الذي يُنكِر الاستواء؛ سواءٌ أنكره متأوِّلًا أو غير ذلك؟ أعني: ما آثار إيمانك باستواء الرب ﷻ؛ هل هو فقط مجرد أنك تُقر وذاك يُنكِر؟ هذا ـ ولله الحمد ـ نعمة من الله عليك؛ لكن ما هي الثمرة لهذا العلم؟

يجب أن يكون هذا محلَّ اعتناء الدارس، ولا تكون دراسته دراسة ذهنية فحسب.

حينما تُقِرُّ بأن الله ﷻ خلق هذا العرش الذي هو أعظم المخلوقات، فهذا يدل على عظمة الرب، وكمال غناه، ثم استوى على العرش ﷻ استواء يليق بجلاله، إذا استقر هذا في قلبك أثمر أمورًا جليلة؛ بأنه ﷻ هو الذي يُدبِّر الأمر، وهو الذي يَقْدِر ويبسط، وهو الذي يخفض ويرفع ﷻ، إذا أيقنت بهذا فإنك تتوكل على الله وحده، وتخشى الله وحده، وتتوجه بحاجاتك إلى الله، ولا ترهب المخلوقين.

ولذلك فإنه في كثير من المواضع التي ذُكِر فيها الاستواء يُذكَر بعد ذلك تدبيرُ الله للأمر: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾.

ما الارتباط بين تدبير الله تعالى للأمر وبين ذِكر الاستواء؟

إذن؛ ينبغي أن يكون لهذا أثرُه في حياتك، في سلوكك، في واقعك، في أن يُصَحِّحَ هذا التوحيدَ، ويُصَحِّحَ ويُتَمِّمَ توكلَك على الله ﷻ وإيمانَك به.

وهكذا كل اسم من أسماء الرب وصفة من صفاته، يجب أن تعتني وتحرص على تَحَقُّقِ أثرها في حياتك.

فمن صفات الرب ﷻ العلو، والسمع والبصر، واليدان، لا تؤمنْ بهذا وينتهي الأمر عند هذا الحد؛ بل ينبغي أن تتابع نفسك، وتسأل نفسك، وتُجاهد نفسك؛ لتحقيق ثمرة هذا العلم الذي تعلمته.

هذا أعظم الأسباب في تحقيق تكامل الشخصية، وهو: معرفة العبد لربه، فيُحقق توحيده، ويسعى في تكميل إيمانه، والإيمان إن لم يزد فسينقص، وفي الحديث: «**إنَّ الإيمانَ يَخلَقُ في جوفِ أحدِكم، فاسألوا اللهَ أن يُجدِّدَ إيمانَكم**»(١).

وكثيرًا ما يَرِد سؤال: ما أسباب زيادة الإيمان؟ ما الأمور التي تزيد الإيمان؟

وهذا سؤالٌ حسن ومهم، ولكنَّ الشأن في أن يكون السائل جادًّا في تحقيقه؛ لأن بعض الناس يَتَشَكَّى، يقول: أنا حرصت على زيادة إيماني وسعيت، ولكنْ لا أرى أن إيماني يزيد.

الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وَعْدٌ من الله ﷻ، ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**مَنْ تَقَرَّبَ إليَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، ومن تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا، ومن أَتَانِي يمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(٢).

فاتَّهِمْ نفسك، ولا تتهم ربك ـ تعالى علوًّا كبيرًا ـ، الربُّ ﷻ وعَدك وعدًا صادقًا: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، فأنت إنما أُتِيتَ من نفسك، فهذا حَرِصَ؛ لكنه انقطع ولم يبذل ولم يكن جادًّا في السعي في زيادة إيمانه، وربما أنه تحمس مدةً، قرأ كتابًا، أو سمع خطبةً، أو حضر مجلسًا ـ مثلًا ـ عن زيادة الإيمان وأثره وأهميته، ثم تحمس لهذا برهةً، ثم انقطع، ومن هنا يُؤتى الإنسان.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٣٦/ ٨٤)، والحاكم في المستدرك (٥).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

أما من كان صادقًا وجادًّا فإن الله ﷻ سيُحقق له مقصوده؛ لأن الله وعد بذلك.

وقد اقتضت حكمة الرب ﷻ: أنه على قدر حاجة الناس إلى الشيء يكون وجوده في هذا الكون، فالناس في هذا الكون يحتاجون إلى الطعام؛ فتجده موجودًا ـ ولله الحمد والشكر ـ على ظهر الأرض كلها.

حاجتهم للشراب أكثر من حاجاتهم للطعام؛ فتجد وجود الماء أكثر من وجود الطعام.

حاجة الناس إلى الهواء أكثر من حاجتهم إلى الطعام وإلى الشراب؛ فوجوده أكثر منهما جميعًا.

حاجة الناس إلى الإيمان أعظم من حاجتهم إلى الطعام، والشراب، والنَّفَس؛ فلذلك أسبابه مبذولةٌ مبثوثةٌ ميسَّرة.

وكون الإنسان يُكثِر السؤال: ما أسباب زيادة الإيمان؟ كيف أجد الإيمان؟ هذا أمر حسن ومطلوب ومهم، ولكن احذر أن تنقطع وتفتقد الجِدِّيَّة في تحقيق هذا الأمر.

وأسباب زيادة الإيمان كثيرة، وذكر العلماء جملة منها، وهناك رسالة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، اسمها: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، رسالة مختصرة؛ لكنها قيِّمة.

الفصل الأول من هذه الرسالة: في تعريف الإيمان.

والفصل الثاني: في أسباب زيادة الإيمان، وقسَّمها إلى أسباب مُجْمَلَة، ثم ذكر الأسباب المفصَّلة، فذكر قرابة اثني عشر سببًا، وقال: أهم الأسباب لزيادة الإيمان هو: تدبر أسماء الرب ﷻ وصفاته[1].

---

(١) ينظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص (٧١).

وذكر من أسباب زيادة الإيمان: تدبر القرآن(١)

ومن أسباب زيادة الإيمان: دراسة سيرة النبي ﷺ والاقتداء به ظاهرًا وباطنًا؛ لأنه أكمل الخلق إيمانًا، فأنت إذا تأسيت به واقتديت به وتتبعت سُنته في الأعمال الظاهرة والباطنة كان هذا من أعظم الأسباب لتحقيق الإيمان(٢)، وذكر منها: تدبر آيات الله الكونية(٣).

والفصل الثالث من رسالة «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» **في ثمرات الإيمان.**

إذن؛ معرفة الرب ﷻ بتحقيق التوحيد وتكميل الإيمان من أسباب تكميل الشخصية.

ويتبع هذا السبب:

معرفة أصول الدين وفروعه، أو قُلْ: طلب العلم.

وقد وردت النصوص الكثيرة في القرآن وفي السُّنَّة في الحث على طلب العلم وبيان منزلة أهله، ونفي استواء الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، والآيات كثيرة.

ومن الأحاديث: قول النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٤).

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص (٧٢).

(٢) ينظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص (٧٥).

(٣) ينظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص (٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

ماذا يُفهَم من هذا الحديث؟

الجواب: كأنَّ الذي ما تَفَقَّه في الدين ما أراد الله به خيرًا.

ومن ذلك: قول النبي ﷺ: «**من سَلَكَ طريقًا يبتغي فيه عِلمًا سَهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلى الجنةِ، وإن الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رِضًا بما يَصنعُ، وإن العالِمَ لَيَستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ حتى الحيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ العالِمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإن الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثُوا العلمَ، فمن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافِرٍ**»(١).

ويحسن التأني عند هذا الحديث: ما الثواب المرتَّب هنا؟

الجواب: تسهيل الطريق إلى الجنة.

سؤال: ما العمل الذي رُتِّب عليه هذا الجزاء والثواب؟ هل هو حصول العلم؟

الجواب: لا؛ بل مجرد سعيك وطلبِك العلمَ وحرصِك على تحصيله يترتب عليه هذا الجزاء العظيم، وهو تسهيل الطريق للجنة؛ بمعنى: أن المبتغي للعلم الباحث عنه قد يُحصِّله ويظفر به، وقد لا يتحقق له ذلك، ومع هذا فالجزاء متحصِّل لمن التمس العلم وبحث عنه، وهذه بشارة عظيمة، وسبب عظيم للحث على طلب العلم؛ أنك حينما تبحث وتَجِدُّ، فإنك موعودٌ بهذا الثواب.

ويُذكَر عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان عنده أحد تلاميذه فكان يكتب في الحديث، ثم وضع القلم وقام يُصلي يتنفَّل، فقال الإمام مالك: ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه(٢). يعني: أن كتابة الحديث وطلب العلم أفضل من التنفُّل بالصلاة وغيرها من الأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٢).

والحاجة إلى طلب العلم أَمَسُّ من أي حاجة كانت، وإذا نظرتَ إلى حال المسلمين تجدهم محتاجين إلى التَّسَلُّح، وإلى المال، وإلى الإعلام؛ لكنْ لا تجدهم محتاجين إلى شيء على الإطلاق كحاجتهم إلى العلماء العاملين بعلمهم، أو قُلْ: إلى العالم الرباني، وهو العالم العامل المُعلِّم؛ لأن هذا الصنف من الناس ـ أعني العلماء العاملين ـ هم سبب نهضة المسلمين في كل عصر من العصور السالفة، فقد كانت تَمُرُّ بالمسلمين فترات ضعف، فلا يعود مجدهم وقُوَّتُهم إلا على يد هذا الصنف من الناس، وهكذا سيكون.

وتجد الآن في بلاد المسلمين أُناسًا متحمسين، غيورين على دينهم، باذلين، يضحون بوظائفهم؛ بأموالهم؛ بحياتهم؛ لكن تخاف عليهم من قصور العلم، فحاجة المسلم إلى العلم حاجةٌ ماسَّة، ويتأكد في هذا العصر.

وليحذر المسلم مِن أنْ يكون قصير النظر في هذا الباب، وأذكر هنا قصةً تُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي أنه قال لصاحب له من الأنصار ـ من أقرانه ـ: انطلق بنا نأخذ العلم من هؤلاء الأشياخ قبل أن يهلكوا، وابن عباس رضي الله عنهما كان قد ناهز البلوغ حينما توفي النبي ﷺ، فقال له صاحبه: أتُراك يا ابن عباس يحتاج الناس إليك وإلى علمك؟ يعني أنه يوجد أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم، فتركه ابن عباس ومضى، وبعد مدة وحين مات أبو بكر ومات عمر ومات عثمان ومات عليٌّ ومات علماء الصحابة رضي الله عنهم احتاج الناس إلى ابن عباس رضي الله عنهما ـ وكان قد حوى علمًا عظيمًا ـ، فتندَّم ذلك الأنصاري، وعلم أن ابن عباس كان أَبْعَدَ نظرًا منه(١).

---

(١) روى الحاكم في مستدركه (١/ ١٨٨) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، أتُرى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم، قال: فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب =

فيجب أن ننظر نحن بمثل نظرة ابن عباس ﵄؛ العلماء الآن متوافرون ـ ولله الحمد ـ، ولا تجد بلدًا من بلدان العالم ـ على الإطلاق ـ فيه من العلماء مثل ما هو في بلدنا ـ ولله الحمد ـ، فيجب اغتنام هذه الفرصة، والأخذ عنهم؛ لأن العلم يُقبَض بقبض العلماء ـ كما قال النبي ﷺ(١) ـ، وإذا مات العالم ولم يُؤخَذ عنه فإن هذه خسارة لا تُعوَّض.

وطُرُق تحصيل العلم كثيرة؛ لكنَّ أعظمها وأغزرها وأقصرها وأيسرها هو: ملازمة العلماء.

وضلال من ضل في العالم قديمًا وحديثًا إنما هو بسبب أحد أمرين، أو بكليهما؛ بسبب جهله، أو بسبب اتباعه هواه.

فالعصمة من الجهل: تكون بالعلم، والعصمة من الهوى: تكون بالتقوى، فهذان الأمران هما سَبَبَا العصمة والاستقامة، وكثيرًا ما يُقرَن الإيمان والتقوى في القرآن: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

وقبل الانتقال إلى السبب الثاني من أسباب تكميل شخصية المسلم أذكر بعض آداب طلب العلم.

= رسول الله ﷺ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هَلَّا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وهو أصل في طلب الحديث وتوقير المحدث».

(١) روى البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُه من الناسِ، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ...**».

من آداب طلب العلم:

١ ـ تطهير القلب من الصفات الخبيثة، كالغش والغل والحقد وسوء العقيدة والخُلق؛ ليصلح القلب لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، قال رسول الله ﷺ: **«ألا وإن في الجسدِ مضغةً إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي والقلبُ»**(١).

٢ ـ الإخلاص لله، فإن مِن أول مَن تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة: رجلًا تَعَلَّم العلم ليقول الناس إنه عالم(٢)، وفي الحديث ـ أيضًا ـ عن النبي ﷺ: **«من تَعَلَّمَ علمًا مما يُبتغى به وجهُ اللهِ ﷻ لا يتعلمُه إلا ليصيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ»**(٣)، فلا بد من الإخلاص لله في التعلم؛ بأن تنوي به امتثال أمر الله، والتقربَ إليه بتعلمك، ورفعَ الجهل عن نفسك وعن غيرك؛ لا أن تقصد به الأغراض الدنيوية؛ من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتقديم الناس لك، وتصديرك في المجالس، ونحو ذلك، وإذا خلصت النية قُبِل العمل وزكى ونَمَتْ بركته.

٣ ـ العمل بالعلم، وسيأتي الحديث عن ذلك ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) روى الإمام مسلم (١٩٠٥) عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أولَ الناسِ يُقضى يومَ القيامةِ عليه: رجلٌ استُشهدَ، فأُتِيَ به فَعَرَّفَه نِعَمَهُ فعَرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لأنْ يُقالَ: جريءٌ، فقد قيلَ، ثم أُمِرَ به فسُحبَ على وجهِه حتى أُلقِيَ في النارِ، ورجلٌ تَعَلَّمَ العلمَ وعَلَّمَه وقرأ القرآنَ، فأُتِيَ به فعَرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلمتُه وقرأتُ فيك القرآنَ، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلمَ ليقالَ: عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليقالَ: هو قارئٌ، فقد قيلَ، ثم أُمِرَ به فسُحبَ على وجهِه حتى أُلقِيَ في النارِ...».

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢).

٤ ـ حسن الخُلق، وهو أدب عام، ولكنه يتأكد في حق طالب العلم، فعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا»(١).

كل ما سبق تفريعٌ على قصة أبي بكر ﷺ، وقد قلنا: إن من دروس هذه القصة: بيان تكامل شخصية أبي بكر ﷺ، وذكرنا من أسباب تكميل الشخصية والنجاة من الخُسر: معرفة العبد ربه؛ بتحقيق التوحيد وتكميل الإيمان. ويتبع ذلك: معرفة أصول الدين وفروعه.

والسبب الثاني:

٢ ـ العمل الصالح:

وهو ثمرة العلم، ومصداقُ الإيمان، فانتفاء العمل أو ضعفه دلالة على انتفاء الإيمان أو ضعفه، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد وقول وعمل(٢).

فيتقرب المسلم إلى ربه بالاستكثار من الأعمال الصالحة، بالفرائض ثم بالنوافل، كما في الحديث القدسي: «**وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افْتَرَضْتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّهُ**»(٣).

وأعظم هذه الأعمال ـ على الإطلاق ـ بعد الشهادتين: هي الصلاة التي أمر الله ﷻ بإقامتها، وجعلها ركنًا؛ بل جعلها أعظم الأركان بعد الشهادتين، وقد تميزت هذه الصلاة عمَّا سواها من الفرائض بميزات ليست لغيرها؛ منها:

١ ـ أنها فُرِضَت في السماء، وغيرها فُرِض في الأرض.

٢ ـ وفُرِضَت من غير واسطة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) نقل الإجماع على ذلك عدد من العلماء؛ منهم: الحافظ ابن عبد البر، كما في التمهيد (٩/ ٢٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

٣ ـ وأنها لا تسقط عن المكلَّف ما دام عقله معه. فالزكاة تجب على مَن ملك النِّصاب وحال عليه الحول، والصيام يجب على من استطاع، وكذلك الحج يجب على من استطاع إلى البيت سبيلًا.

٤ ـ ومما تميزت به: أنه يؤمَر بها قبل البلوغ، في سنٍ مُبكرةٍ جدًّا، من سن السابعة، يؤمَر بها أمرًا جادًّا، فإذا بلغ العاشرة فإنه يُضرَب على تركها.

٥ ـ ومما تميزت به أيضًا: أنها العبادة الوحيدة التي يَكْفُر من تركها، يقول عبد الله بن شقيق: ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة[1].

وقد أُمِرنا بإقامة الصلاة، ومعنى إقامتها: أداؤها قائمة على أتم الوجوه، وذلك بفعل الشروط والأركان والواجبات.

وفي الحديث: «**أوَّلُ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ، فإنْ صلَحَتْ صلَح له سائرُ عمَلِه، وإنْ فسَدَتْ فسَد سائرُ عمَلِه**»[2]، هذا شأنها يوم القيامة.

وشأنها في الدنيا ـ والله أعلم ـ هكذا؛ أن الصلاة إذا صلحت صلحت أحوال العبد، فإذا كان المسلم مقيمًا للصلاة ظهر أثر هذا في صدق حديثه، وحُسن خُلقه، وبرِّه بوالديه، وإقباله على الله ﷻ، إلى غير ذلك من أبواب الخير.

وإذا كان في صلاته نقص وقدح ظهر أثر هذا في سائر أعماله، فلا تظن أن هذا النقص يقتصر على الصلاة فقط؛ بل إنه يشمل باقي الأعمال التي أُمِر بها العبد.

فلهذا ـ والله أعلم ـ كان لها تلك المنزلةُ يوم القيامة؛ أنها إذا صلحت صلح سائر أعماله، وإذا رُدَّت رُدَّ سائر عمله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٨٥٩).

فيجب على المسلم أن يعتني بإقام الصلاة، وأن تكون هَمًّا كبيرًا له؛ هل أقامها أم لا؟

لا ينظر إلى نفسه هل صلى في المسجد أم لا؟ ويقول: الحمد لله، أنا لست من المقصرين، ما تفوتني الصلاة في المسجد، لكنْ مرة تفوتني تكبيرة الإحرام، مرة تفوتني ركعة، مرة تفوتني الركعتان.

هذا لا يليق بك، وليس هذا المنتظرَ منك، أنت يا أيها المسلم يا طالب العلم ينبغي أن تتأسى بالنبي ﷺ، وبأصحابه الذين كانوا يَحْتَفُون بهذه الشعيرة العظيمة أيما احتفاء، يعلمون قدرها، ويُنزلونها منزلتها، حتى إنه كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف.

فالصلاة هي ركن الدين الأعظم بعد الشهادتين، وإقامتك لها يظهر أثره في حياتك، وإقامتها من أعظم أسباب توفيقك، وثباتك، ونصرك على أعدائك، واستمرارك في طلبك العلمَ، وعملك به، ودعوتك إلى الله، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر.

ويؤسفك حينما ترى بعض الصالحين لا يَقْدُرون هذه الصلاة قدرها، مع أن ذلك متأكد في حقهم؛ لأنهم هم الصفوة، وهم الخاصة، وهم الذين يُعَوَّل عليهم، ويُرجى أن يكون نصر هذا الدين وقيامه بسببهم، فإذا قصَّروا في أعظم أسباب النصر والثبات فإنك تخاف على من هذا شأنه أن ينقطع، وتخاف عليه أن يحيد عن الصراط المستقيم.

ومن الأعمال الصالحة: كثرة الذكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال النبي ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» فقال الصحابة ﵃: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرونَ اللهَ كثيرًا**

والذاكراتُ»[(١)]، وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»[(٢)].

ومن الأعمال الصالحة: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ﷺ: «الدعاءُ هو العبادةُ»[(٣)]، وقال: «إن الله حَيِيٌّ كريمٌ، يستحي أن يرفعَ العبدُ يدَهُ فيردَّهما صِفْرًا خائبتينِ»[(٤)].

وأنواع الأعمال الصالحة كثيرة جدًّا ـ ولله الحمد ـ؛ لكن هذه إشارات لبعضها.

فهذا هو السبب الثاني من أسباب تكميل شخصية المسلم وتحقيقه الاستقامةَ والثبات والنجاة من الخُسر، وهو: الاستكثار من الأعمال الصالحة، بَدْءًا بالفرائض؛ فريضة الصلاة، فريضة الصيام، فريضة الزكاة، فريضة الحج، فالنوافل.

والعمل بالعلم من آداب طلب العلم ـ كما أُشير إليه قريبًا ـ، يقول الله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ» وذكر منها: «وعن علمِه ماذا عملَ فيه»[(٥)]، ويُروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»[(٦)]، وقال أبو قلابة: «إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥).

(٥) أخرجه الدارمي (٥٥٦).

(٦) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (٤٠).

له عبادة، ولا يكن هَمُّك أن تُحَدِّثَ به»[١]، وقال يوسف بن الحسين: «في الدنيا طغيانان: طغيان العلم، وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم: العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال: الزهد فيه»[٢]، وقال عبد الله بن المعتز: «علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر»[٣]، وقال: «علم المنافق في قوله، وعلم المؤمن في عمله»[٤].

ويتأكد هذا الأدب ـ وهو العمل بالعلم ـ في حق المعلم، كما في الآية السابقة، وكما في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، وروى الطبراني في «المعجم الكبير» عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلُ العالمِ الذي يعلمُ الناسَ الخيرَ وينسى نفسَهُ: كمثلِ السراجِ يضيءُ للناسِ ويحرقُ نفسَهُ**»[٥].

من ثمرات عمل المتعلم بعلمه:

١ ـ رسوخ العلم وعدم نسيانه.

٢ ـ أن الله يرزقه علم ما لم يعلم؛ أي: يزيده من العلم النافع، فعن مالك بن دينار قال: «العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الصَّفا، إذا وقع عليه القطر زَلَق عنه»[٦].

٣ ـ أنه علامة على انتفاع المتعلم بعلمه.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٥٣).

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٩).

(٣) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص (٣٧).

(٤) اقتضاء العلم العمل ص (٣٧).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في الزهد (١٠١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٦٥/ ١٦٨١).

(٦) حلية الأولياء (٢/ ٣٧٢).

ثم السبب الثالث من أسباب تكميل شخصية المسلم والنجاة من الخُسر:

٣ ـ التواصي بالحق:

ويشمل ذلك الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله ـ وهو ذروة سنام الإسلام(١) ـ.

وقد ورد في فضل الدعوة إلى الله آيات وأحاديث؛ منها: قول الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومن الأحاديث: قول النبي ﷺ: «**الدالُّ على الخيرِ كفاعلِه**»(٢)، وقول النبي ﷺ: «**فواللهِ لَأَنْ يهديَ اللهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**»(٣)، وقوله ﷺ: «**من سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عملَ بها بعدَهُ؛ مِن غيرِ أن يَنْقُصَ من أجورِهم شيءٌ**»(٤)، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة.

ويتأكد على المسلمين أنْ يَجِدُّوا في الدعوة إلى الله ﷻ؛ استباقًا لجهود المفسدين، فلا تظن أنك أنت الذي تهتم بأحوال المجتمع؛ بل هناك شياطين الجن والإنس، يحرصون مثل ما تحرص أو أكثر، فأنت تحرص على الخير والإصلاح، وهم يحرصون على الشر والإفساد، كما قال الله تعالى ـ حينما يخاطب بعضهم بعضًا يوم القيامة ـ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، إذن؛ هم يمكرون مكرًا متواصلًا في الليل وفي النهار من أجل الفساد، فيجب على

---

(١) ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال له: «**ألا أُخبرُكَ برأسِ الأمرِ وعمودِه وذروةِ سنامِه؟**» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ**»، أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٧).

الداعي إلى الله أن يُصَابِرَهم، ويغتنم الفُرَص، ولا زالت الفُرَص والمجالات كثيرة ـ ولله الحمد ـ، وما زال أهل الخير محلَّ قبول عند أكثر الناس ـ ولله الحمد والشكر ـ.

وقد يسوف المرء ويؤجل ويتأخر حتى تفوت فُرَصٌ، فيتندم على تفويتها، وتُغْلَق أبواب يتمنى أنْ لو كانت مُشْرَعَةً فيستفيد منها.

ثم إن قيامك بالدعوة إنما هو امتثالٌ لأمر الله ﷻ، وهو سبب عظيم من أسباب ثباتك، فالداعي إلى الله هو أول من يستفيد من دعوته، وهو سبب عظيم في صلاح أهلك؛ زوجتك وذريتك ومن يرتبط بك، فالجزاء من جنس العمل، فكما أنك تسعى وتَجِدُّ في دعوة الناس وإصلاحهم فَسَيُقَيِّضُ الله لك ـ بفضله ورحمته ـ من يسعى في إصلاح أهلك وذويك.

ومظاهر الفساد تدعو مَن في قلبه محبة لله وغيرة على دينه ومحارمه إلى أنْ يَجِدَّ في مقاومة الشر، فكلما أحدث أهل الشر فسادًا فينبغي أنْ يُحْدِث أهل الخير جهدًا مُضَاعَفًا في مقاومته.

ومجالات الدعوة كثيرة جدًّا ـ ولله الحمد ـ، فساهم في المجال الذي تراه أنفع للمسلمين وأكثر أجرًا وقُرْبًا من الله ﷻ، ومن هذه المجالات:

١ ـ المساهمة في تدريس القرآن في المساجد، وهذا مجال عظيم، يقول النبي ﷺ: «**خيرُكم من تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ**»(١).

٢ ـ العمل مع الجهات المتصدية للدعوة إلى الله تعالى، كالمؤسسات الخيرية، ومكاتب دعوة الجاليات، ونحوها.

٣ ـ التعاون مع مندوبي مكاتب الدعوة في إقامة محاضرات ودروس وندوات دعوية وعلمية في الأحياء التي تحتاج إلى ذلك أكثر من غيرها، وتكون تلك المحاضرات فيما لا يَسَعُ المسلمَ جهلُه؛ من مسائل أصول

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

الإيمان، وتعليمهم صفة الطهارة، والصلاة، وتحفيظهم قصار السور، كسورة الفاتحة والمعوذات، وكذلك إرشاد أهليهم.

٤ ـ المساهمة في أخذ الصدقات وإيصالها إلى مستحقيها من الأيتام والأرامل ونحوهم، وقد قال النبي ﷺ: **«الساعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ»** قال الراوي: وأحسبه قال: **«وكالقائمِ لا يفترُ، وكالصائمِ لا يفطرُ»**(١)، وسيأتي إن شاء الله.

وأُذَكِّر هنا بحديث رواه ابن ماجه، وقال عنه الألباني: إنه حسن(٢)، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن من الناسِ ناسًا مفاتيحَ للخيرِ مغاليقَ للشرِّ، وإن من الناسِ ناسًا مفاتيحَ للشرِّ مغاليقَ للخيرِ، فطوبى لمن جعلَ اللهُ مفاتيحَ الخيرِ على يديهِ، وويلٌ لمن جعلَ اللهُ مفاتيحَ الشرِّ على يديهِ»**(٣).

٥ ـ الأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومراسلة الجهات المَعْنِيَّة بذلك.

وهذه فريضة من فرائض الدين، وقاعدة من أعظم قواعده، يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ما تعريف المعروف والمنكر؟

المعروف هو: الخير الذي يوافق الفطرة وعُرِف في الشرع حُسْنُه.

والمنكر هو: الشر الذي ينافي الفطرة، وعُرِف في الشرع قُبْحُه.

وقد نُفِي الإيمان عمن لم يقم بإنكار المنكر، قال النبي ﷺ: **«ما من نبيٍّ بعثَهُ اللهُ في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمتِه حواريونَ وأصحابٌ يأخذونَ بسُنَّتِه ويقتدونَ بأمرِه، ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولونَ ما لا يفعلونَ، ويفعلونَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢).

(٢) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٤٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٣٧).

ما لا يُؤمَرونَ، فمن جاهدَهم بيدِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدَهم بلسانِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدَهم بقلبِه فهو مؤمنٌ، وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١)، وفي الحديث الآخر يقول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّرْهُ بيدِه، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**»(٢).

والآيات الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر من الآيات الواردة في الصيام، وأكثر من الآيات الواردة في الحج؛ مع أن الحج وصيام رمضان ركنان.

من الفوائد العظيمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - نصر الله للقائمين به، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، والذين يقومون به هم المفلحون؛ الذين فازوا بالمطلوب، ونجوا من المرهوب، يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٢ - حفظ الأعراض، وسلامة المجتمع من الهلاك، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، فمادام الناس ساعين في الإصلاح فإن الله سيحفظهم وينجيهم من الإهلاك، أما إذا تركوا الإصلاح فإنهم يهلكون؛ ولو كان فيهم ناس صالحون في ذواتهم، كما سألتْ زينبُ ﵂ النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثُرَ الخَبَثُ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

ومن نتائج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - حلول اللعنة - عياذًا بالله -، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨٨].

٢ - قسوة القلب، رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن أولَ ما دخلَ النقصُ على بني إسرائيلَ، كان الرجلُ يَلقى الرجلَ، فيقولُ: يا هذا، اتقِ اللهَ وَدَعْ ما تصنعُ؛ فإنه لا يحلُّ لك، ثم يلقاهُ من الغدِ، فلا يمنعُه ذلك أن يكونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وقَعِيدَهُ، فلما فعلوا ذلك ضربَ اللهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ»**(١).

قال في «عون المعبود»: «أي: سَوَّدَ الله قلبَ من لم يَعْصِ بشؤم من عصى، فصارت قلوب جميعهم قاسيةً بعيدة عن قبول الحق والخير أو الرحمة؛ بسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضًا»(٢).

٣ - رد الدعاء، كما قال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيدِه! لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ، أو ليوشكَنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقابًا منه، ثم تدعونَهُ فلا يُستجابُ لكم»**(٣).

هذا العقاب يكون بما يشاؤه الله ﷻ، قد يكون اختلالًا بالأمن وخوفًا على الأعراض، أو انتشارَ أمراض وأوبئةٍ لم تكن تُعرف من قبل، أو حصولَ مجاعات، أو تَسَلُّط الأشرار، أو غيرها.

فإذا فَشَتِ السرقات، وكثر خوف الناس على أموالهم وأعراضهم؛ فلنتذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٨)، وابن ماجه (٤٠٠٦).
(٢) عون المعبود (١١/٣٢٧).
(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٩).

كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقول الله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

مما يعين على القيام بالأمر بالمعروف:

قد يدرك المسلم مَكَانَة الأمر بالمعروف وأهميتَه ووجوبَه؛ لكنه يهاب القيام به، فمما يُعِين على القيام به:

١ ـ خوف الله ﷻ، وتقديم ذلك على خوف الناس.

٢ ـ الإيمان بالقدر، وأن الناس مهما اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك(١).

٣ ـ معرفة حُكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعرفة فضلِه.

٤ ـ تَعَلُّم العِلْم؛ لكي تُقْدِم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على بصيرة.

معنى تغيير المنكر بالقلب:

مما يخطئ في فَهم معناه كثير من الناس: قول النبي ﷺ: «**فمن لم يستطعْ فبقلبِه**»، فإن تغيير المنكر بالقلب يشمل أمورًا:

١ ـ أن يبغض ذلك المنكر بقلبه.

٢ ـ أن يستمر هذا البغض مادام المنكر باقيًا.

وهذا الأمر مهم وخطير؛ لأن الذي يقع كثيرًا أن يبغض الإنسان المنكر، ثم مع استمرارِ إِلْفِه ومشاهدته يزول أو يَقِلُّ بغض هذا المنكر.

٣ ـ أن يفارق المنكر ببدنه إن استطاع.

---

(١) كما في حديث ابن عباس ﵄ مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «واعلمْ أن الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوكَ، لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضروكَ، لم يضروكَ إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليك، رُفعتِ الأقلامُ، وجفتِ الصحفُ»، أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

٤ ـ أن يعقد العزم على تغيير المنكر متى ما تمكن من ذلك.

ثم السبب الرابع من أسباب تكميل شخصية المسلم والنجاة من الخُسر:

٤ ـ التواصي بالصبر.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ويقول: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول النبي ﷺ: «**ومن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومن يستغنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومن يتصبرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبرِ**»[١].

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: ذُكِر الصبر في القرآن في تسعين موضعًا[٢]، والصبر منزلته من الإيمان منزلة الرأس من الجسد.

فهذه الأسباب المتقدمة هي أسباب نجاة العبد من الخُسر، وبتكميلها تكمل شخصيته.

الموازنة بين أسباب النجاة من الخُسر:

يجب على العبد أن يوازن بين هذه الأسباب، فلا يُقصِّر في جانب ويبالغ في آخر، فإن مَن قَصَّر في جانب ظهر أثر ذلك في باقي الجوانب، وسبب الإخلال بالتوازن: الجهل أو الهوى، وسبب تحقيق التوازن: العلم والتقوى، وقد ورد الجمع بينهما في آيات كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، وقوله: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].

وقد ذَكر ابن القيم رحمه الله أحوال الناس في تعبدهم لله ﷻ، فقال في

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ١٥١).

«مدارج السالكين»: «ثم أهل مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعُ طرق، فهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول عندهم أنفع العبادات وأفضلها: أشقُّها على النفوس وأصعبها.

الصنف الثاني قالوا: أفضل العبادات التجردُ، والزهد في الدنيا، والتَّقَلُّل منها غاية الإمكان، واطِّرَاح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

الصنف الثالث رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع متعدٍّ، فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس، وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضلَ.

الصنف الرابع قالوا: إن أفضل العبادة العملُ على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد؛ من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومِن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن، والأفضل في وقت حضور الضيف ـ مثلًا ـ القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب. وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد»[(١)].

إذن؛ احذر أن يخالط طلبَك العلمَ أو عملَك الصالحاتِ أو دعوتك إلى الله أو أمرك ونهيك: هوًى، ولعل علامة تحقيق العبودية في ذلك: أن تتبع مرضاة الله ﷻ، فحيث وجدتها تفعلها، وتحديد ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال يكون وفق أدلة الشرع وقواعده.

أما من يثبت على عمل لا يتزحزح عنه مهما كانت الأحوال فهذا ينقص في عبوديته.

فمثلًا: لو كنت ذاهبًا إلى حلقة عِلم، أو غاديًا إلى الجمعة ترجو أن

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٦ ـ ١١١) باختصار.

تكون ممن غدا في الساعة الأولى، فرأيت منكرًا ولم تَرَ من ينكره، فقد تَعَيَّن في حقك إنكاره، فإذا أنكرته فقد تعبدت لله ﷻ ولو تأخرت عن حلقة العلم أو عن التبكير إلى المسجد؛ لأن التبكير إلى المسجد مستحب ومتأكد الاستحباب؛ لكن إنكار المنكر واجب في حقك الآن.

مثال آخر: لو أنك أعددت نفقةً حتى تعتمر في رمضان، فاحتاج المسلمون حاجة مَاسَّة إلى المال، وأنت قد أديت العمرة الواجبة، فهل تبقى على عزمك؟ أو تتصدق بذلك المال على المسلمين؛ لأنهم في حاجة مَاسَّة إليه، ونفع الصدقة مُتَعَدٍّ؟.

كذلك: إذا كنت مُتَصَدِّيًا للتعليم، ووجدت القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قليلين، والحاجةَ إليه ماسة، والقائمين على التعليم كثيرين، وأنك إذا تركت التعليم حَلَّ غيرُك محلَّك، بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالذين ينصرفون إليه قليلون، فذهبت إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذا السبب، فهذا علامة على تكميل العبودية.

أختم بقول الله ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

❁ ❁ ❁

الحديث الثاني

حديث جابر الطويل وقصة أبي اليَسَر

قال الإمام مسلم (٣٠٠٦ ـ ٣٠١٤) رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَتَقَارَبَا فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ، وَالسِّيَاقُ لِهَارُونَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ أَبِي حَزْرَةَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا قَالَ: قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللهمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:

«أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ» وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمِلًا بِهِ، فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ أَتُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرِدَاؤُكَ إِلَى جَنْبِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي هَكَذَا، وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا: أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلُكَ، فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ، فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟» قَالَ فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَيُّنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللهَ تبارك وتعالى قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا» ثُمَّ طَوَى ثَوْبَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «أَرُونِي عَبِيرًا» فَقَامَ فَتًى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخَلُوقٍ فِي رَاحَتِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ، ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ، فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمُ الْخَلُوقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ.

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟» قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ.

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عُشَيْشِيَةٌ وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا؟» قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ؟» فَقَامَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْبِئْرِ، فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجْلًا أَوْ سَجْلَيْنِ، ثُمَّ مَدَرْنَاهُ، ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ، فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعٍ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَتَأْذَنَانِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ، شَنَقَ لَهَا فَشَجَتْ فَبَالَتْ، ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاخَهَا، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّإِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي، وَكَانَتْ لَهَا ذَبَاذِبُ فَنَكَّسْتُهَا، ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا، ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا، فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا، بِيَدِهِ يَعْنِي شُدَّ وَسَطَكَ فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَا جَابِرُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ».

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ»، فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ

رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ، ـ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَّدَ ـ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا ـ وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا ـ ثُمَّ أَقْبَلَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: «يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ»، قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ، فَانْذَلَقَ لِي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ، بِشَفَاعَتِي، أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ».

قَالَ جابر ﷺ: فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ»، فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءَ؟ أَلَا وَضُوءَ؟ أَلَا وَضُوءَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبَرِّدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَاءَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ لِيَ: «انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِيهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ»، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ نَادِ بِجَفْنَةٍ» فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةَ الرَّكْبِ فَأُتِيتُ بِهَا تُحْمَلُ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا، فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ، وَقَالَ: «خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ»، فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ

يَتَفَوَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ»، قَالَ فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى.

وَشَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ، فَقَالَ: «عَسَى اللهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ» فَأَتَيْنَا سِيفَ الْبَحْرِ فَزَخَرَ الْبَحْرُ زَخْرَةً، فَأَلْقَى دَابَّةً، فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ، فَاطَّبَخْنَا وَاشْتَوَيْنَا، وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا، قَالَ جَابِرٌ: فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً، فِي حِجَاجِ عَيْنِهَا مَا يَرَانَا أَحَدٌ، حَتَّى خَرَجْنَا، فَأَخَذْنَا ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ، ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ رَجُلٍ فِي الرَّكْبِ، وَأَعْظَمِ جَمَلٍ فِي الرَّكْبِ، وَأَعْظَمِ كِفْلٍ فِي الرَّكْبِ، فَدَخَلَ تَحْتَهُ مَا يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ.

❖ **التعليق على الأحاديث:**

هذا الحديث يرويه عبادة بنُ الوليدِ بنِ عبادةَ بنِ الصامت الصحابيِّ المشهور رضي الله عنه، يقول: «**خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ**» وأبو اليَسَر: صحابي شهد بدرًا، وشهد بيعة العقبة.

«**وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ**»؛ ضمامة: رزمة من أوراق.

«**وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ**» قال الشارح النووي: «البردة: شملةٌ مخططة، وقيل: كساءٌ مُربَّع فيه صِغر، يلبسه الأعراب، والمعافري: نوعٌ من الثياب يُعمل بقرية تُسمى معافر»(١).

«**وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ**»؛ أي: تغيُّرًا بسبب الغضب.

«**قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ**» نسبةً إلى بني حرام

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٣٤) باختصار.

«مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي» قال الشارح: «الجَفْر: هو الذي قارب البلوغ، وقيل: هو الذي قوي على الأكل، وقيل: ابن خمس سنين»(١).

العادة أن تصدير القول بـ «قيل» دليل على ضعف ذلك القول، فقول الشارح: «الجَفْر: هو الذي قارب البلوغ، وقيل. . .» هذا يدل على تضعيف القول الثاني.

لكنْ إذا نظرت إلى السياق فكأنَّ أليق هذه التفسيرات وأقرب هذه الأقوال إلى السياق: أنه ابن خمس سنين، لأنه يُحسن النطق، ولكنه يُلقي الكلام على عواهنه، أما الذي قارب البلوغ فإنه يَبْعُد أن يتفوه بهذا الكلام الذي يعرف أنه يقبح في حق أبيه، والذي قوي على الأكل ـ يعني ابن سنتين أو سنتين ونصف أو ثلاث سنوات ـ لا يتكلم بهذا الكلام الفصيح.

«فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي» الأريكة ـ وجمعها أرائك ـ: هي السرير في الحِجلة. والسرير المفرد لا يُسمى أريكةً، وبعض علماء اللغة يقولون: كل ما اتكأت عليه فهو أريكة. والحِجلة: هي مثل الغرفة الصغيرة من القماش، يكون السرير في وسطها. وكان هذا عند العرب من أرقى وأَرَقِّ مظاهر النعيم.

«فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا وَاللهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا، قَالَ: قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ، قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ، قُلْتُ: آللهِ؟

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٣٥).

قَالَ: اللهِ» يستحلفه، الأولى تكون بالمد: آللهِ؛ يعني: أتحلف بالله؟ والجواب يكون بدون مد: الله، يعني أحلف بالله، استحلفه ثلاث مرات.

«قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ»، الكلام كله الآن لأبي اليسر: «فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ -، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»، أَنْظَرَ؛ أي: أمهَل.

«قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ أَنَا» مَن راوي الحديث؟ عبادة بن الوليد.

«يَا عَمِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ» مَرَّ بنا معنى البُرْدة والمعافري.

وأبو اليَسَر عليه بُردة ومعافري، وعلى غلامه بردة ومعافري، والمعافري أثمن من البردة، فاقترح عبادة بن الوليد على أبي اليَسَر أن يكون ثوباه على نسق واحد هو وغلامه، يعني: يلبس هو معافري، وغلامه يلبس البُرْد؛ حتى يكون على نسق واحد، ولا يكون فيه تنويع غير مستحسن بالنظر.

«فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللهمَّ بَارِكْ فِيهِ» فكأنك تفهم من هذا أنه كان صغير السن، فمثل هذا يُعمَل - غالبًا - مع الصغار.

«يَا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ» وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لما قال عبادة بن الوليد لأبي اليَسَر ذلك الاقتراح بَيَّن له الحامل الذي حمله على أن يفعل هذا، وهو أن النبي ﷺ قال: «أَطْعِمُوهُمْ» يعني: الأرقاء الذين تحت أيديكم «مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ» فكان صنيع أبي اليَسَر ﵁ امتثالًا لأمر النبي ﷺ، إلى هذا

الحد في الدِّقَّة في الامتثال؛ قسم المعافري، فلبس واحدة وأعطاه واحدة، وقسم البُرْد، فلبس واحدة وأعطاه واحدة، حتى ظهر بهذا المظهر الذي كان غيره أليق وأولى وأجمل؛ لكنه ترك ذلك امتثالًا لأمر النبي ﷺ.

«**ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمِلًا بِهِ، فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ أَتُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرِدَاؤُكَ إِلَى جَنْبِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي هَكَذَا، وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوَّسَهَا: أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلُكَ، فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ، فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ**» قال الشارح: «المراد بالأحمق هنا: الجاهل»[(١)].

❖ حكم الصلاة في ثوب واحد:

ورد النهي عن النبي ﷺ أن يصلي الرجل في ثوبٍ واحد، وكان لباسهم قطعتين؛ قطعة يرتدي بها، وقطعة يأتزر بها، فإذا لبس قطعة واحدة فلا يُؤْمَن من انكشاف عورته.

وهذا النهي محمول على حال الاختيار وحال السعة، فجابر رضي الله عنه لما صلى في ثوب واحد ورداؤه معلَّق على المشجب أراد أن يُبين للناس أن هذا الأمر محمول على حال السعة والاختيار، أما إذا احتاج الإنسان فلا بأس ولا حرج، ولذلك قال ما قال.

ثم شرع جابر رضي الله عنه يذكر من مغازي النبي ﷺ وسِيَره وأخباره، وهو الأمر الذي جاء من أجله عبادة بن الوليد وأبوه، حيث خرجا يلتمسان العلم: «**خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا**».

قال جابر رضي الله عنه: «**أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ**» العرجون: هو العود الذي تتفرع منه شماريخ التمر، يقول الله

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٣٦).

تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وفي حديثٍ: «كان النبي ﷺ يُحب العراجين، فلا يزال في يده منها»[١].

وقوله: «عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ» نوع من أنواع التمر، كالبَرني، والعجوة، مثل ما إذا قلنا ـ مثلًا ـ: نَبْتَة سيف، من هو سيف؟ لا يُعلم، فهي تُسمى بهذا الاسم.

«فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟» قَالَ فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَيُّنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللهَ تبارك وتعالى قِبَلَ وَجْهِهِ».

❖ **تعليق على قول النبي ﷺ: «فإن الله تبارك وتعالى قِبَل وجهه»:**

هذه صفة من صفات الرب ﷻ حقيقةً، فالرب ﷻ مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وهو أمام المصلي، ولا تَعارُض في هذا.

وليس كما ذكر الشارح ـ عفا الله عنه ـ لما قال: «قوله ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ تبارك وتعالى قِبَلَ وَجْهِهِ» قال العلماء: تأويله: أي الجهةُ التي عظَّمها، أو الكعبةُ التي عظَّمها قِبل وجهه»[٢].

هذا تأويل مخالف لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة، إنما هذه الصفة صفة حقيقية من صفات الرب ﷻ، فهو مستوٍ على عرشه، فوق خلقه، وهو أمام المصلي.

وصفات الرب تُحمَل على حقيقتها، ولا نُشَبِّه صفات الرب ﷻ بصفات المخلوقين، وإنما نؤمن بها حقيقةً، ونُقِرُّ بمعناها، ونفوض كيفيتها إلى الرب ﷻ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١٣٧).

وفي حق المخلوقين يمكن أن يكون الشيء أمامك وفوقك، فمثلًا: وأنت تُصلي تكون الشمس فوق رأسك وأمامك، فلا تعارض في هذا، هذا وهي مخلوقة، والرب ﷻ ليس كمثله شيء[١].

«فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى» قال النووي: «هذا في غير المسجد، أما المصلي في المسجد فلا يبزق إلا في ثوبه»[٢].

قال: «فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا» ثُمَّ طَوَى ثَوْبَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «أَرُونِي عَبِيرًا» فَقَامَ فَتًى مِنَ الْحَيِّ يَشْتَدُّ» يركض «إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخَلُوقٍ فِي رَاحَتِهِ» قال الشارح: «الخَلُوق: طِيب من أنواعٍ مختلفة يُجمَع بالزعفران وهو العبير»[٣].

«فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ» أخذ هذا الخلوق «فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ، ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ، فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمُ الْخَلُوقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ» يعني: أن الناس يُطَيِّبُون مساجدهم ويُضمِّخون المساجد بالخَلُوق تأسيًا بالنبي ﷺ لما طَيَّب جدار المسجد.

قال جابر ؓ: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ» بواط: جبل من جبال جهينة.

«وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ» الناضح هو: البعير الذي يُستقى عليه. فخمسة، وأحيانًا ستة، وأحيانًا سبعة، يعتقبون على بعيرٍ واحد، يركب واحد وستة يمشون، ثم ينزل ويركب آخر والباقون يمشون، وهكذا.

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/١٠١٨ - ١٠٢١).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٣٩).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١٣٧).

إذن؛ معنى هذا: أنهم كانوا يقطعون المسافة في هذه الغزوة مشيًا على الأقدام، فقط خُمس المسافة أو سُدسها أو سُبعها كانوا راكبين، ومنه يتضح أن الركوب ليس لسرعة الوصول، وإنما هو ليرتاح هذا الماشي قليلًا، ﷺ.

«فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ» التَّلَدُّنُ عكس الانبعاث، تَلَدَّن بمعنى: تلكأ وتوقف وأبطأ في النهوض.

«فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟» قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ».

قال جابر رضي الله عنه: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عُشَيْشِيَةٌ» تصغير عَشِيَّة.

«وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ» الحوض الذي بجوار البئر، يُطينه ويُصلحه ويملؤه، حتى إذا أتوا وجدوا الحوض ملآن، بَدَل أن يزدحموا ويأتوا في ساعةٍ واحدة على هذا الحوض.

«فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا، قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ، يَا رَسُولَ اللهِ» يعني نفسَه.

«فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ؟» فَقَامَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْبِئْرِ، فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجْلًا أَوْ سَجْلَيْنِ» السَّجل هو: الدلو المملوء ماء.

«ثُمَّ مَدَرْنَاهُ» يعني طَيَّنَّاه «ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ» حتى ملأوا الحوض.

«فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعٍ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ» كان من هدي النبي ﷺ في الغزو أنْ يتقدم أصحابه، فإذا رجعوا كان في ساقتهم في المؤخرة، ﷺ.

«فَقَالَ: «أَتَأْذَنَانِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ» قال النووي: «هذا تعليمٌ منه ﷺ لأمته الآدابَ الشرعية، والورع، والاحتياط، والاستئذان في مثل هذا، وإنْ كان يعلمُ أنهم راضيان، وقد أرصدا ذلك له ﷺ - أي قد أعدا هذا الماء للنبي ﷺ -، ثم لمن بعده»[١].

«فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ» يعني: أرخى زمامها «فَشَرِبَتْ، فشَنَقَ لَهَا» يعني: كَفَّ الزمام «فَشَجَتْ» «فَشَجَ البعيرُ» إذا فَرَّج رجليه ليبول، «فَبَالَتْ».

«ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاخَهَا، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّأِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» ماذا تفهم من قوله: «فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّأِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»؟ «مُتَوَضَّأ» يعني: المكان الذي توضأ منه النبي ﷺ.

❖ التبرك بآثار النبي ﷺ:

في هذا الحديث تبركُ الصحابة ﷺ بآثار النبي ﷺ، وهذا كثير من الصحابة ﷺ، كانوا يتوضؤون بما بقي من وضوئه ﷺ، ويتبركون بفضلته ونخامته وعرقه، وأمثال ذلك كثير جدًّا؛ سواء في حياته أو بعد مماته إذا كان الأثرُ باقيًا؛ ولذلك فإن أم سلمة ﷺ كان عندها جُلجُل فيه شعراتٌ من شعر النبي ﷺ، فإذا مرض أحدٌ من أهل بيتها وضعت فيها ماءً، ثم خَضْخَضَتْهُ، ثم سَقَتْهُ ذلك المريض[٢]. والآن لم يبق شيءٌ من آثار النبي ﷺ.

المقصود: أن هذا فيه التبرك بآثار النبي ﷺ، وهذا خاص بالنبي ﷺ فلا يُعمَّم، وقول بعض أهل العلم: إنه يجوز التبرك بآثار الصالحين، غير صحيح؛ لأن الصحابة ﷺ لم يؤثَر عنهم أنهم كان يتبركون بالصالحين، ما كانوا يتبركون بآثار أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو نحوِهم من أعيان

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤٠).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٩٥٨)، وابن الحداد في جامع الصحيحين (٣٠٢٦)، وأصل حديث أم سلمة ﷺ في صحيح البخاري برقم: (٥٨٩٦).

الصحابة ﷺ، وما كان التابعون يتبركون بآثار الصحابة ﷺ، إنما هذا خاصٌّ بالنبي ﷺ.

«فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ» هذا تَنَفُّلٌ مطلق، وانظر كيف هو حرص النبي ﷺ على الصلاة.

لو أنك مسافر من الرياض إلى مكة، وبعدما سِرت ثلاثمائة كيلو أو أربعمائة أو خمسمائة كيلو نزلت، سوف ترتاح؛ مع أنك جالس في سيارة مريحة ومُكَيَّفَة.

أما النبي ﷺ فإنه لما نزل هذا المنزل بعد هذا المسير المجهِد المتعِب ماذا فعل؟ توضأ وقام يصلي: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وهذا هو الزاد الذي تزود به النبي ﷺ، وهو الزاد لورثة النبي ﷺ الذين ساروا على نهجه ﷺ وأخذوا العلم وعمِلوا به وعلَّموه الناس، وبدونه فإن هذا الوارثَ للنبي ﷺ سينقطع.

«وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ» البردة: قطعة قماش صغيرة «ذَهَبْتُ أَنْ أُخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا» أراد أن يَلْتَحِف بها ويَلُفَّها على بدنه «فَلَمْ تَبْلُغْ لِي» لأنها كانت صغيرة «وَكَانَتْ لَهَا ذَبَاذِبُ» يعني: أهداب وأطراف «فَنَكَّسْتُهَا، ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا» يعني: كأنه لفها على بدنه وخَبَنَها بعنقه، يقول الشارح: «"تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا"؛ أي: أمسكت عليها بعنقي وخَبَنْتُه عليها؛ لئلا تسقط»(١).

«ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا، فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ» يعني: ينظر إليَّ نظرًا متتابعًا.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤١).

«ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ، فَقَالَ هَكَذَا، بِيَدِهِ، يَعْنِي شُدَّ وَسَطَكَ» أشار النبي ﷺ وهو يُصلي.

«فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَا جَابِرُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حقْوِكَ» كأنَّ جابرًا رضي الله عنه جعل هذا البرد على كتفيه حتى وصل إلى فخذيه، فربما أن ما فوق الركبتين لم تُغطِّها البردة؛ لأنها صغيرة، فالنبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حَقْوِكَ» «الحقو» في منتصف البدن، يعني: اجعل الأولوية في السَّتر لمنتصف البدن؛ من السُّرة فما دونها.

قال جابر رضي الله عنه: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً» قوت الرجل على مدى أربع وعشرين ساعة تمرة!

«فَكَانَ يَمَصُّهَا ثُمَّ يَصُرُّهَا فِي ثَوْبِهِ، وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِيِّنَا» القِسِيّ: جمع قوس، و«نختبط»؛ يعني: نضرب ورق الشجر حتى يَتَحَاتَّ فيأكلونه.

«وَنَأْكُلُ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا» لحرارة هذا الورق وخشونته.

«فَأُقْسِمُ أُخْطِئَهَا رَجُلٌ مِنَّا يَوْمًا، فَانْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعَشُهُ، فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا فَأُعْطِيَهَا، فَقَامَ فَأَخَذَهَا» قال الشارح: «معناه: أنه كان للتمر قاسم يقسمه بينهم، فيعطي كل إنسان تمرة كل يوم، فقسم في بعض الأيام ونسي إنسانًا فلم يعطه تمرته، وظن أنه أعطاه، فتنازعا في ذلك، وشَهِدنا له أنه لم يُعْطَها، فأُعْطِيَها بعد الشهادة. ومعنى «نَنْعَشُه»: نرفعه ونقيمه من شدة الضعف والجَهد»(١).

قال جابر رضي الله عنه: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ» أي: واسعًا، «فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤٢).

بِإِذْنِ اللهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ» البعير المخشوش: هو الذي في أنفه خِشَاش، وهو عود يُجعل في أنف البعير، وأحيانًا تكون حلقة من حديد تُجعل في أنفه، ويُربط بها الخطام، فإذا قِيْدَ الجمل الصعب انقاد؛ لأنها مربوطة في موضع يؤلمه فلا يَتَأَبَّى.

«حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي: جَمَعَهُمَا، فَقَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَالْتَأَمَتَا. قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ» يعني: أركض «مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ، ـ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَّدَ ـ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً» يعني: وهو آتٍ «فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ» أحد رواة الحديث «بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا» يعني: التفت يمينًا وشمالًا.

«فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟ » يعني: المكان الذي كنت فيه «قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي، فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ» يعني: إذا وصلت إلى المكان الذي وقفت فيه، فارْمِ غصنًا عن اليمين، وغصنًا عن اليسار «قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ» أي: جعلته حادًّا يمكن القطع به «فَانْذَلَقَ لِي».

«فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قال: إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا» أي: يُخَفَّف عنهما «مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ».

❖ حكم وضع غصن ونحوه على القبر:

يُفهم من قول النبي ﷺ: «**فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي**» أن هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ، فليس لكل أحد أن يصنع ذلك، ولذلك فإن الصحابة ﭫ ما فهموا أن هذا لكل أحد، فلذا لم يشتهر عنهم أنهم كانوا يفعلون ذلك مع موتاهم.

وقد رأيتُ من يأتي إلى المقبرة بوَرَق أخضر يريد أن يضعه على قبر الميت، وكأنهم يستدلون بفعل النبي ﷺ هذا، وكذلك قصة الرجلين اللذَين قال النبي ﷺ فيهما: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(١).

قال جابر ﭬ: «**فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا جَابِرُ، نَادِ بِوَضُوءٍ. فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءَ، أَلَا وَضُوءَ، أَلَا وَضُوءَ. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبَرِّدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَاءَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ**» الأشجاب: جمع شَجْب، هو السقاء الذي قد أُخْلِق وبَلِي. والقِربة كلما قدمت تَفَتَّحتِ المَسَام فكان أحسن لتبريدها، وإذا كنت جديدة كان تبريدها ضعيفًا.

«**عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ**» الحِمَارَة: أعواد تُجمع بشكل مخروطي وتوضع على الأرض ويُربط بينها السقاء. وهي التي تسمى في بعض المناطق بالقَنَّارَة.

فهذا الأنصاري ﭬ كان يحمل هذه الأعواد في السفر، وإذا نزلوا منزلًا نصبها وبَرَّد فيها الماء للنبي ﷺ.

وهذا من احتفاء الصحابة ﭫ بالنبي ﷺ، ومحبتهم له، وخدمتهم إياه، ﷺ وﭫ وجزاهم عن نبيهم خير الجزاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

«قَالَ: فَقَالَ لِيَ: انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِيهَا، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا» يعني: أنها كلها قد نضبت تمامًا؛ إلا واحدة في فم القربة قطرة «لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ» يعني: لو أراد أن يصب تلك القطرة لَتَشَرَّبَها فم القربة قبل أن تخرج، فهو شيء يسير جدًّا لا يكاد يذكر.

«فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ. قَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ. فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ» لعله من الذكر والدعاء، «وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ، فَقَالَ: يَا جَابِرُ، نَادِ بِجَفْنَةٍ. فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةَ الرَّكْبِ» الجفنة: هي الإناء والقِدْر الكبير، و«جفنة الرَّكْب»؛ يعني: مَن كان عنده جفنة كبيرة تُشْبع الركب من الناس فليأتِ بها.

«فَأُتِيتُ بِهَا تُحْمَلُ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا، فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ وَقَالَ: خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ. فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَوَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَقَالَ: يَا جَابِرُ، نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ. قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا. قَالَ فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى».

قال جابر ﷺ: «وَشَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ، فَقَالَ: عَسَى اللهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ، فَأَتَيْنَا سِيفَ الْبَحْرِ» يعني: ساحل البحر «فَزَخَرَ الْبَحْرُ زَخْرَةً» يعني: علا مَوْجُهُ «فَأَلْقَى دَابَّةً» هي حوت عظيمة قذفها البحر «فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقِّهَا النَّارَ، فَاطَّبَخْنَا وَاشْتَوَيْنَا، وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا. قَالَ جَابِرٌ: فَدَخَلْتُ أَنَا وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً فِي حِجَاجِ عَيْنِهَا، مَا يَرَانَا أَحَدٌ حَتَّى خَرَجْنَا» حِجاج العين هو: العظم المستدير الذي تكون فيه نقرة العين «فَأَخَذْنَا ضِلَعًا

مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ» يعني: جعلوه على هيئةٍ مثلِ البوابة «**ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ رَجُلٍ فِي الرَّكْبِ**» أي: أطول رجل «**وَأَعْظَمِ جَمَلٍ فِي الرَّكْبِ، وَأَعْظَمِ كِفْلٍ فِي الرَّكْبِ**» لعله الرحل الذي يركب عليه[1] «**فَدَخَلَ تَحْتَهُ مَا يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ**» انتهى الحديث.

❖ **فوائد الأحاديث:**

في هذه الأحاديث من الدروس الشيء الكثير جدًّا، فمن ذلك:

١ ـ قول الراوي عبادة بن الوليد ابن الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «**خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا**» يذكرنا بما سبق ذِكره من قصة ابن عباس رضي الله عنهما لما قال لصاحب له من الأنصار: «انطلق بنا نأخذ العلم من هؤلاء الأشياخ قبل أن يهلكوا»، فهكذا نَظَر عبادة وأبوه هذه النظرةَ البعيدة؛ لأن موت العلم بموت أهله، فالله تعالى لا ينتزع العلم انتزاعًا من الصدور، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، وتقدم هذا.

٢ ـ في قول أبي اليَسَر رضي الله عنه فيما يرويه عن النبي ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**» فيه: فضلُ إنظار المعسر وإمهالِه، أو مسامحته، أو التخفيف عنه، فمن فعل ذلك فإن الله تعالى يظله في ظله.

٣ ـ لما قال عبادة بن الوليد لأبي اليَسَر: «**لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ**» ذَكر أبو اليَسَر رضي الله عنه الحاملَ له على ذلك، وهو قول النبي ﷺ: «**أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ**». **وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ**

---

(١) قال في مطالع الأنوار (٣/ ٣٨٤): «هو شبه الرحل الذي جاء في الرواية الأخرى، وأصله الكساء الذي يديره الراكب على سنام البعير ليرتدف عليه الراكب خلفه»، وفي شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٤٧) باختصار: «المراد بالكفل هنا: الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط، فيَحفظ الكفلُ الراكبَ. قال الهروي: قال الأزهري: يقال منه تكفلت البعير وأكفلته إذا أدرت ذلك الكساء حول سنامه ثم ركبته».

الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فهذا فيه الرفق والإحسان إلى المماليك والمستضعفين.

وقد أنعم الله علينا في هذا البلد، فأصبح الناس يأتون لطلب الرزق، وبعضهم يتعرض لأنواع بشعة من الظلم، منهم مَن تؤخر رواتبه ثلاثة أشهر، أو أربعة، أو خمسة، وأحيانًا تصل إلى عشرة أشهر أو أكثر لا تصرف له رواتبه واستحقاقاته، وهو فقير، ووراءه أسرة في حاجة ماسة، فيُظلم لأنه إنسان غريب ضعيف لا يسمع له، إلى غير ذلك من صور الظلم، و«**الظُّلمُ ظُلُمَاتٌ يومَ القيامةِ**»[١]، وما أكثر المظلومين.

٤ ـ في قصة حك النبي ﷺ النخامةَ من جدار المسجد، وتطييبِه جدارَ المسجد قال النووي: «في هذا الحديث: تعظيم المساجد، وتنزيهها من الأوساخ ونحوها، وفيه استحباب تطييبها، وفيه إزالة المنكر باليد لمن قدر، وتقبيحُ ذلك الفعل باللسان»[٢].

٥ ـ لما لعن ذلك الرجلُ بعيرَه فقال: «**شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ**»، انظر إلى قبح اللعن، وخطر اللسان، فهذا صحابي جليل، مجاهد في سبيل الله، وكانوا في هذا المسير في مهمة عسكرية، وبحاجة مَاسَّة إلى الإبل؛ لكنه تَفَوَّه في حضرة النبي ﷺ بتلك العبارة، فقال النبي ﷺ: «**انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ**».

ومما يبين الخطر العظيم للسان: أن النبي ﷺ سُئل: ما أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى اللهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ**»، وسئل ما أكثر ما يُدخل الناس النار؟ فقال: «**الفمُ والفرجُ**»[٣]، وقال ﷺ: «... **وإن العبدَ لَيتكلمُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

بالكلمةِ من سخطِ اللهِ لا يُلْقِي لها بالًا يهوي بها في جهنمَ»[١]، ويقول النبي ﷺ: «**من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ**»[٢].

وفي هذا أيضًا: تحذيرٌ من أن يدعوَ الإنسان على نفسه، أو على ولده، أو على ماله، وإن كان لم يقصد تَحَقُّقَ هذه الدعوة، وهذا أمر غاية في الخطورة؛ لأن دعوته قد تستجاب، كما قال النبي ﷺ: «**لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»، وليعود الإنسان نفسه ولسانه على الدعاء بالخير، فإن الإنسان إذا عود نفسه تعود: «**إنما العلمُ بالتعلمِ، والحلمُ بالتحلمِ**»[٣].

ويُستفاد من قول النبي ﷺ: «**لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»، الحثُّ على الإكثار من الدعاء بالخير، في أي ساعة؛ من ليل أو نهار، فلعلها توافق ساعة لا يُسأل الله فيها عطاء إلا استجاب.

وبعض الناس إذا قرأ أنَّ من آداب الدعاء: تحري أوقات الإجابة ـ كالدعاء في السجود، وبين الأذان والإقامة، وآخر ساعة من الجمعة، والثلث الأخير من الليل، وعند نزول المطر، ونحو ذلك ـ فقد يفهم أنه لا يدعو إلا في هذه المواطن، وهذا خطأ؛ بل أكثر من الدعاء في كل وقت، واجعله ملازمًا لك، فـ «**الدعاءُ هو العبادةُ**»[٤]؛ وكما قال الحسن البصري رحمه الله: «أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة»[٥]، ومع ذلك؛ تَحَيَّنْ مواطن الإجابة واعتنِ بها.

وادعُ الله تبارك وتعالى بجميع حاجاتك؛ كبيرها وصغيرها، وكان بعض السلف

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٦٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤٧)، وينظر: جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٨).

يسأل الله ﷻ في صلاته كل حوائجه، حتى ملح عجينه، وعلف شاته[١]. وكثرة دعائك لله يدل على: محبتك لله، وإيمانك بأنه سميع، وبصير، ومجيب، وغني، ورحيم.

واختر جوامع الدعاء، فإن النبي ﷺ كان يستحب الجوامع من الدعاء[٢]، فمثلًا لو أن عندك أمرًا تافهًا فادع الله أن يتحقق؛ لكنَّ الأحسن أن تُجمِل الدعاء، فتقول - مثلًا -: **«يا حيُّ يا قيومُ، برحمتِكَ أستغيثُ، أصلحْ لي شأني كلَّه»**[٣].

٦ - في قول جابر ﷺ: **«سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً»** سبحان الله العظيم! في هذا العمل الحربي قوتهم تمرة في اليوم كاملًا، ماذا تصنع بهم هذه التمرة؟! هذا هو التوكل، فالتوكل هو: اعتماد القلب على الله مع بذل الأسباب. فتبذل ما تستطيع من الأسباب المشروعة، ويعتمد قلبك على الله؛ لا على هذا السبب، فإذا لم يُتَحْ لك إلا سبب ضئيل فلا تترك العمل لضعف السبب، فإنك إذا تركت ذلك العمل فهذا يعني أنك ملتفت إلى الأسباب، وأن قلبك منشرح لها، لكن امضِ حتى لو كان السبب ضئيلًا؛ بل حتى لو عُدم هذا السبب، فهذا هو التوكل.

ويستفاد هذا - أيضًا - من قول جابر ﷺ للنبي ﷺ: **«لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ»** فقال له النبي ﷺ: **«اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ»**، فما دام لم يُتَحْ لك إلا سبب ضعيف فابذله ولا تزهد ولا تفرط فيه، ثم كِلِ الباقي إلى الله ﷻ، هذا هو التوكل على الله. أما إذا أُتيح لك سبب قوي فلا تتركه وتُقبل على السبب الضعيف، ولا تُرَتِّب النتيجةَ على السبب، فهذا ضعفٌ في التوكل على الله.

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٣٠).

ففي هذه القصة لم يُتَحْ للنبي ﷺ إلا هذا السبب الضئيل، فلم يفرط فيه، ولهذا أمثلة كثيرة جدًّا في واقعنا:

منها: لو رأيت منكرًا كبيرًا، فلم تستطع أن تذهب إلى صاحب المنكر وتقابله، ولم يُتَح لك من أسباب الإنكار إلا أن ترسل له رسالة، ولستَ تدري هل تَصِل إليه، أو تُقْطَع عنه قبل أن تَصِل، فهذا السبب هو الذي تعبدك الله به.

ومنها: لو أن في الحَيِّ محل تموينات يبيع المجلات السيئة، أو يبيع الدخان، ولستَ تستطيع أن تجبره على منع تلك الأشياء، فليس لك سلطة عليه أو ولاية، لكنك تستطيع أن تنصحه، وتقول: هذا حرام، وهذا مكسب خبيث، وتقول: إذا لم تَكُفَّ عن بيع هذه الأشياء فإنني لن أشتري منك. فهذا هو الذي تعبدك الله به، فابذله، وتوكل على الله ﷻ، وإذا صدقتَ فإن الله ﷻ سيجعل فيه خيرًا وبركة.

٧ ـ قول جابر رضي الله عنه: **«سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً»**، يُذَكِّر بقول النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيدِه! ما الفقرَ أخشى عليكم، ولَكنْ أخشى أن تفتحَ الدنيا عليكم كما فُتحتْ على من كان قبلكم، فتَنَافَسُوها كما تَنَافَسُوها، فتهلكَكم كما أهلكتهم»**[1]، بَسْطُ الدنيا هو الذي يصيب النفوس بالفتور والاسترخاء، والركون إلى الدنيا، والتنافس عليها، فما يُخشى على المؤمنين قِلة الحاجة، وإنما يُخشى عليهم فتنة الدنيا، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم قد فتحوا الدنيا وهم على تلك الحال من شظف العيش.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).

الحديث الثالث

حديث صهيب بن سنان ﵁ قصة أصحاب الأخدود

قال الإمام مسلم (٣٠٠٥) ﵀:

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ. فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللهمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ

رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ».

❖ التعليق على الحديث:

يحكي النبي ﷺ في هذا الحديث قصةَ ملك كان يدعي الألوهية، قبَّحه الله، «وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ» يأتي بشعوذة وخوارق وأمور مُنْكَرَة وينسبها إلى الملك.

«**فَلَمَّا كَبِرَ**» هذا الساحر «**قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ**» حينما يُبْحَث عن غلام فلا شك أنه يُبحث عمن تتوافر فيه صفات عديدة؛ من الذكاء، والفطنة، وسرعة التعلم، وقوة إقناع الناس، ونحو ذلك من الصفات، فوجدوا هذه الصفات مجتمعةً في أحد الغلمان، فاختاروه أن يكون خليفة ساحر الملك، وهو مَنْصِب عظيم في ذلك المكان؛ لأن دعوى الملك الألوهية ترتكز على مهارة هذا الساحر، إذن؛ الملك محتاج إليه في غاية الحاجة، ولن يَرُدَّ له طلبًا، لماذا؟ لأن الملك لو أساء إلى هذا الساحر فإنه لا يأمن أن يفضحه ويكشف أمره للناس ونحو ذلك.

«**فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ**» إذا مشى إلى هذا الساحر «**رَاهِبٌ**» الراهب: هو العابد من عُبَّاد النصارى.

«**فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ**» لعله قعد إليه لأنه لم يَأْلَفْ ما يصنعه ذلك الراهب؛ كان يقوم ويقعد وينتصب وينحني ويُتَمْتِم بكلام، فأراد الغلام أن يستطلع وينظر، وكأنه قعد إليه في أول الأمر حُبًّا للاستطلاع أو نحو ذلك، «**فَأَعْجَبَهُ**» ما سمع من كلام هذا الراهب أكثر من الأمر الذي كان مشتغلًا به، وهو تأهيله وإعداده ليكون ساحر الملك، وهذا يُذَكِّر بقول النبي ﷺ: «**ما من مولودٍ إلا يولدُ على الفطرةِ، فأبواه يُهَوِّدَانِه، أو يُنَصِّرَانِه، أو يُمَجِّسَانِه**»(١).

«**فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ**».

❖ حكم التورية:

قول الغلام هذا من التورية، وهو صادق في هذا العذر، فالساحر سببٌ في تَأَخُّرِه عن أهله، وليس هو السببَ الوحيد، لكنه سببٌ في تأخره، وأهله سبب في

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

تَأَخُّرِه عن الساحر، فهو صادق في هذا العذر، وفي الأثر: «**إن في المعاريضِ لمندوحةً عن الكذبِ**»(١)؛ أي أنه إذا ترتب على ذِكر الكلام على وجهه وحقيقته إضرارٌ بالمسلم في دينه أو دنياه فإنه يُوَرِّي ويُعَرِّض ويأتي بالكنايات من القول؛ تفاديًا من أن يكذب، أو يلحقه ضرر؛ لكن هذا على قدر الحاجة، فلا يتوسع فيه المسلم؛ لأنه إذا أدمن على المعاريض هان عليه الوقوع في الكذب.

«**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ**» أي على هذه الحال؛ يقعد إلى الراهب ويسمع منه، وهو إلى الآن لم يَدِنْ بدين الراهب، فلايزال على دين قومه؛ لكنه معجب بكلام الراهب، وكأنَّ عنده نوعًا من التردد والشك: أيهما الصواب؛ الدينُ الذي نشأ عليه، ووجد عليه آباءه وأجداده؟ أم هذا الدين الجديد الذي ما عرفه إلا في هذا الوقت المتأخر.

«**إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ. فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللهمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ**» ما جرَت العادة أن الدواب العظيمة تُقتل بمثل هذا؛ لكنه قرنه بتلك الدعوة.

«**فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ**» وهذه كرامة أكرم الله بها هذا الغلام حتى يميز ويتبين له الحق.

«**فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى**».

❖ كيف عَلِم الراهب بأن الغلام سيبتلى؟

الغيب مما استأثر الله بعلمه، وقد يُطْلِع عليه من يشاء من أنبيائه، وهذا

---

(١) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار مسند عمر (٩٤٣) من قول عمران بن حصين، وبوب البخاري في الصحيح: «باب المعاريض مندوحة عن الكذب» (٨/ ٤٦).

الراهب ليس من الأنبياء، إنما هو من عامة الصالحين؛ فما الذي أدراه بهذا الأمر المستقبلي المُغَيَّب؟

الجواب: عَلِم الراهب هذا الأمر من سُنة الله ﷻ الجارية؛ من ابتلاء الصالحين، كما قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وكما قال النبي ﷺ: **«أشدُّ الناسِ ابتلاءً الأنبياءُ ثم الصالحون ثم الأمثلُ فالأمثلُ»**(١).

فهذا الراهب عرف قوة إيمان هذا الغلام بهذه الكرامة التي أكرمه الله بها، وعرف أنه يترتب على قوة الإيمان الابتلاءُ والاختبار والامتحان.

قوله: «**فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ**».

❖ لماذا أوصى الراهبُ الغلامَ بألا يدل عليه؟

هل سبب ذلك الخوف من الابتلاء، وطلب السلامة والعافية؟

إن كان كذلك فإن الراهب لا يُلام، والمسلم مطلوبٌ منه ألا يُعرِّض نفسه للبلاء، يقول النبي ﷺ: «**لا تتمنوا لقاءَ العدوِّ، واسألوا اللهَ العافيةَ**»(٢)؛ لكنْ سيأتي في الحديث ما يدل على أن السبب غيرُ ذلك.

«**وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ**» الأَكْمَهُ: هو الذي يولد أعمى، وهو أصعب علاجًا ممن وُلِد مبصرًا ثم طرأ عليه العمى. وخُصَّ هذان المرضان لأنهما من أصعب الأمراض مداوةً؛ قديمًا وحديثًا.

«**فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) أن النبي ﷺ سئل: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل».

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي» اجتهد هذا الجَلِيس في جمع هدايا يغري بها هذا الغلام؛ حتى يجتهد في مداواته، ظانًّا أنه من عامة الناس الذين يشتغلون بالمداوة وهَمُّهُم جمع الأموال.

«فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟» استعمل معه الملك أسلوب المُلَايَنَة والمهادنة «فَقَالَ» هذا الغلام بثبات: «إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ» تَصَوَّر هذا الغلام الصغير ماثلًا أمام هذا الجبار الطاغية؛ كيف كان موقفه؟ أجاب بهذا الثبات!

«فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ» «المئشار» مهموزة، بمعنى المنشار «فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ» اجمع بين هذا الموقف للراهب وثباته الثبات العجيب وبين وصيته للغلام: «إِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ»، كأن السبب ـ والله أعلم ـ: أن الراهب خاف على نفسه من الابتلاء، وأن يُفتن فيَفْتَتِن ولا يثبت.

❖ خوف الإنسان من الفتنة علامةٌ على قوة الإيمان:

خوف الإنسان على دينه ونفسه من الفتنة واحتياطُه وتَغْلِيبُه الخوفَ والحذر هذا علامةٌ على قوة الإيمان؛ لأنه يعرف قدر هذه النعمة العظيمة، فيحمله الحذر والخوف على إيمانه على الابتعاد عن أسباب الفتن؛ صغرت أو كبرت؛ سواء كانت فتنة شبهات أو فتنة شهوات، فمن كان هذا شأنه فهو

حَرِيٌّ أن يُوفق وأن يُحفظ وأن يُثَبَّت ويُسدد إذا تَعَرَّضَت له الفتنة وكان حريصًا على البُعْدِ عنها.

وهذا مثل يوسف عليه الصلاة والسلام، حيث بلغ به إيمانه أنْ يفضل أن يسجن مظلومًا على أن يبقى في بيت العزيز مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا لكن الفتنة تتعرض له صباحَ مساء، مع أنه ثبت ذلك الثبات العجيب، ومع هذا ما غلبته الثقة بنفسه، وإنما غَلَّب جانب الحذر: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣ ـ ٣٤] فعلق نفسه بالله لا بنفسه وبثباته وبقوته، ولاحظ تعقيب الفعل بالفاء: ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾ الفاء تفيد التعقيب السريع.

وعكس ما سبق: علامةٌ على ضعف الإيمان، فإذا كان الإنسان يجازف ويُعَرِّض نفسه لمواطن الفتن؛ يقرأ ما يثير الفتنة، يستمع إلى ما يثير الفتنة، يشاهد ما يثير الفتنة؛ سواء فتنة شبهة أو فتنة شهوة، ويقول: أنا عاقل، وأُمَيِّزُ، وعندي من العلم القدرُ الكافي، وأنا إيماني قوي، ونحوَ ذلك؛ فهذا علامةٌ على ضعف إيمانه، ويُخْشَى عليه أن يُخْذَل، ويُوْكَلَ إلى نفسه.

ويشبه ما سبق: لو أن رجلًا خرج من المصرف ومعه مال كثير، فستَجِدُه يحتاط، فلا يذهب في ساعات غفلة من الناس، ولا يَمُرُّ بأماكن نائية أو مظلمة؛ بل يختار الأوقات التي تسهل فيها الحركة، ويختار الطرق المسلوكة؛ احتياطًا لنفسه ولهذا المال الذي معه. أما الفقير فإنه لا يخاف أن يسير في أي ساعة من ليل أو نهار؛ لأنه ليس عنده ما يخاف عليه.

نعم، قد تدعو الحاجة ـ أحيانًا ـ إلى من يتصدى للفتن التي تُبَثُّ ويُلَبَّسُ بها على المسلمين، فهنا يجب أن ينتدب لها أَكْفَأ الناس وأقواهم على مواجهتها.

فمثلًا: فتنة الشبهات؛ يجب أن يتصدى لها من أهل العلم والإيمان من يرد عليها؛ سواء كانت في صحف أو مجلات أو كتب.

وفتن الشهوات؛ في الأسواق والمنتزهات ـ مثلًا ـ، يجب أن يقوم مَن ينكر ويُقَلِّلُ مِن شرها وفسادها.

«ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَ شِئْتَ».

❖ السلاح الذي تسلح به الغلام في وجه جنود الملك:

هذا هو السلاح الذي تسلح به هذا الغلام في وجه هؤلاء الجنود العتاة الطغاة، وهذا هو السلاح الذي تسلح به الأنبياء والصالحون، ويا له من سلاح عظيم، و**«الدعاءُ هو العبادةُ»**[1]، ولو أخذ المسلمون بهذا السلاح مع أخذهم بما يستطيعون من الأسلحة المادية لكان لهم شأن.

قد تجد الغيورين والحريصين على نصرة هذا الدين والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله يجتهدون ويأخذون بالأسباب المادية؛ مع أن الدعاء من أعظم الأسباب لدعوة الناس وهدايتهم لإقرار المعروف ولإنكار المنكر ولكبت أعداء الله ونصرة أولياء الله، فهذا السبب يجب ألا يُغْفَل عنه، وقد يستجيب الله دعاءك؛ فيهتدي ضال، أو يَهلك عدوٌّ من أعداء الله، فيكون لك أجر ذلك ما دام هذا الخير باقيًا.

وأنت يا أيها الداعي الذي وفقك الله للدعوة إلى الله ونصرة دينه قد تتمكن من الاتصال بشخص أو اثنين أو ثلاثة أو مائة أو ألف؛ لكنَّ هذا الدعاء يجعل لك صلة بآلاف بل ملايين من البشر، فحينما تدعو لإخوانك المسلمين القريبين والبعيدين: أن يوفقهم الله، أن يثبتهم، أن يفقههم في الدين، أن يعينهم على ذكره وشكره وحسن عبادته، أن ينصر المجاهدين في

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

سبيله، أن يحفظ المستضعفين ويثبتهم ويجعل ثأرهم على من ظلمهم، أن يوفق علماء المسلمين وأن ينفع بهم، أن يثبت الداعين إلى الله، أن ينصر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أن يشفي مرضى المسلمين، أن يقضي الدين عن المدينين، ونحو ذلك من الدعوات الحسنة، فأثر هذا الدعاء يشمل الملايين من إخوانك المسلمين، فهذه عبادة عظيمة، وفيها أجر عظيم، إذا اهتدى ذلك الضال، إذا ثبت ذلك الطائع، إذا نُصر ذلك المجاهد، إذا استقام وثبت ذلك الداعي إلى الله ونفع الله الناس به، إذا شُفِيَ ذلك المريض، إذا وُفِّقَ ذلك الذى تزوج، إذا قُضِيَ الدين عن ذلك المدين، فأنت سبب في كل هذا، فَلَكَ أجرٌ من ذلك، وفضل الله واسع.

فلا تستهن بهذا السلاح، تسلح به، واجتهد دائمًا في الدعاء، صباحًا ومساءً، وأنت قائم وأنت قاعد، في صلاتك وخارج الصلاة، وأنت صائم وأنت مفطر، ولكن تَحَيَّن الأوقات التي يُرجى فيها إجابة الدعاء، مع اتخاذك الأسبابَ لنصرة دين الله، فاجتهادك في الدعاء لا يعني التفريط في اتخاذ الأسباب.

واعلم أن من فضل الله ونعمته: أنه يُستجاب لنا في أعدائنا ولا يستجاب لأعدائنا فينا، فهذا السلاح نتميز به على أعدائنا، هناك أسلحة كثيرة نشترك فيها مع أعدائنا قد يفوقوننا فيها وقد نفوقهم فيها؛ لكن هذا السلاح لا يملكه اليهود ولا النصارى ولا الرافضة ولا العلمانيون ولا المنافقون ولا غيرهم من طوائف الكفر والضلال.

«فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا» هم في مكان واحد، على قمة الجبل، في بقعة ضيقة، هلك أولئك الجنود، ونجا هذا الغلام **«وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ»** سبحان الله؛ ثبات عجيب!

«فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ» أي: سفينة **«فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»**.

❖ **من آداب الدعاء:**

لاحظ هذا الأدب من آداب الدعاء، وهو اختيار اللفظ الجامع، وكان من هدي النبي ﷺ أنه يستحب الجوامع من الدعاء، ويَدَعُ ما سوى ذلك(١).

وبعض الناس يُفَصِّل ويُشَقِّق الكلام ويتكلف في الدعاء، فيقترح صفة الإهلاك أو النصر أو نحو ذلك، ويرى أن هذا أجمع للقلب، وأن هذا أبلغ في التأثير بالناس؛ لكن هذا خلاف السنة، و«**خيرُ الهدي هديُ محمدٍ** ﷺ»(٢)، فعَوِّدْ نفسك أن تدعوَ بالجوامع من الدعاء.

وفي هذه الدعوة: «**اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ**» تفويضُ الأمر إلى الله ﷻ، وهذا يشبه قول النبي ﷺ: «**من صُنِعَ إليه معروفٌ فقال لصاحبِه: جزاكَ اللهُ خيرًا، فقد أبلغَ في الثناءِ**»(٣)؛ لأنه فَوَّض الجزاء إلى الله، فقال: «**جزاكَ اللهُ خيرًا**»؛ لم يخص شيئًا معينًا.

وهنا تَسَاؤُل:

لماذا فَرَّقَ الملك بين قِتلة الراهب وجليس الملك، وبين قِتلة هذا الغلام؟

لعل السبب ـ والله أعلم ـ: أن الراهب وجليس الملك كانا يمثلان نَفْسَيهما، أما هذا الغلام فهو رجل عَامَّة، وصاحب دعوة، وقائد جيل، فلو قتله الملك فإنه سيتخلص من شخصه؛ لكنه لن يتخلص من دعوته، فكأن الملك حرص غاية الحرص على تَرَاجُعِه وزحزحته عن دينه؛ ليرجع من اهتدى على يديه، فيكون لسان حال الملك: هذا إمامكم وداعيتكم قد تراجع فأنتم أولى بالتراجع، فلذلك عَرَّضَه الملك لهذه الطريقة التي فيها إرهاب وإخافة، وفيها مجال للتفكير والتراجع حينما يُحمل من مجلس الملك حتى

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥).

يَخرجوا به إلى مشارف المدينة، ثم يسيروا به حتى يَصِلوا إلى الجبل، ثم يسحبوه حتى يبلغوا قمة الجبل، ثم إذا بلغ ذروة الجبل ونظر إلى السفح وإذا هو منظر مخيف ومرعب، كل هذا فيه مجال للتفكير والتراجع وإعادة النظر، وهكذا حينما يُحمل في سفينة، ويتوسطون به البحر حتى تغيب عنه اليابسة، والحيتان عنه يَمْنَةً ويَسْرَةً.

إذن؛ فَرْقٌ بين من يُمَثِّل نفسه، ومن يُمَثِّل غيره، ولهذا؛ فإنه لما وَرَّى بعضُ أهل العلم في فتنة القول بخلق القرآن، أتى عمُّ الإمام أحمد وغيرُه وقالوا للإمام أحمد رحمه الله: قد وَرَّى فلان وفلان، فيَسَعُك ما وسعهم، فقال لهم: انظروا إلى من هم خارج الدار، وإذا هم جَمٌّ غفير من الناس، معهم أقلامهم وأوراقهم، يريدون أن يكتبوا ما يقول الإمام أحمد[(١)]، فعرف رحمه الله أنه إن زَلَّ زَلَّتِ الأمة بسببه، فلذلك جعله الله تعالى للمتقين إمامًا؛ بصبره، ويقينه، وحفظ الله به السنة، وصار إمامًا لأهل السنة.

❖ كل ما في الكون جنودٌ لله:

وهنا وقفة: حينما رجف الجبل وهلك أعداء الله ونَجَا وليُّ الله، وحينما انكفأت السفينة فغرق أعداء الله ونَجَا العبدُ الصالح وليُّ الله، هذا يُذَكِّرنا بقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤]، فكل ما في هذا الكون هو من جنود الله؛ هذه الجبال من جنود الله، الهواء من جنود الله، البحار من جنود الله، الملائكة من جنود الله، وكم عددهم؟ يقول النبي ﷺ لما أسري به: «**فرُفِعَ لي البيتُ المعمورُ، فسألتُ جبريلَ، فقال: هذا البيتُ المعمورُ، يصلي فيه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملكٍ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخِرَ ما عليهم**»[(٢)]، فالملائكة من جنود الله، وجميع المخلوقات من جنود الله؛ بل أنت يا أيها الإنسان جسمُك من جنود الله، لو شاء الله أن يأمر عَصَبًا من

---

(١) ينظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص (٤٠٨) الباب التاسع والستون.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

أعصابك فيتعطل، أو شِرْيَانًا من شَرَايِينِك فيتفجر، أو حاسة من حواسك فتُفقد، فما أهون الخلق على الله!.

والمسلم إذا تدبر ذلك عرف أيَّ قوة يركن إليها، ولم يَقِسْ بالقياس المادي، فبعض النفوس إذا نَظَرَتْ إلى تكالب أعداء الله؛ من الكفار الصرحاء، ومن المنافقين، أُصِيبَتْ بشيء من الوهن أو الحزن أو نحو ذلك؛ لكن مَن عرف أنه يأوي إلى ركن شديد، وأن الله ﷻ له الخلق كله، وبيده الأمر كله، وله جنود السماوات والأرض؛ عرف أن قوى البشر ليست شيئًا.

والعاقل ـ والله ـ من يحمل هَمَّ نفسه وهَمَّ المسلمين؛ هل قاموا بما أوجبه الله عليهم: من الاستقامة على دين الله، وتكميل التوحيد، وامتثال أوامر الله، واجتناب ما نهى الله عنه، ونُصرة دين الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، هذا الذي يُحمل له الهَمّ.

نعم؛ على المسلمين أن يتخذوا ما يستطيعون من قوة، ولكن أول الهموم وأعظمها: هل استقاموا على أمر الله، وامتثلوا ما أمرهم الله به أم لا؟ فإنهم إن فعلوا ذلك فالنصر حليفهم لا شك؛ تصديقًا لقول الله ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، فلا يُؤتى المسلمون إلا من قِبَل أنفسهم مهما بلغت قوة أعدائهم.

«فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ» انظر إلى هذا الغلام: يُصْدِر أمرًا إلى الملك، أمام حاشيته وأعوانه وجنوده، والملك ليس كعامة الملوك؛ بل هو ملك ادعى الربوبية والألوهية ـ قَبَّحه الله ـ، فهل تَحَمَّل الملك هذا الكلام من هذا الغلام الصغير؟ نعم، تَحَمَّله؛ بل تَشَوَّف إلى معرفة الجواب.

«قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» أي: في أرض منبسطة، وذلك لكي يراه الناس كلهم، فلا يكون أمره مختفيًا على أحد.

«وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي» الكِنانة هي: الجعبة التي تكون فيها السهام، يعلقها الرامي على كتفه. ولماذا قال الغلام: «خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي»؟ هذا من ذكاء الغلام وبُعْدِ نظره، فلما خاف أن يوظِّف الملكُ الطاغيةُ هذا الحدثَ لصالحه هو، فيقول: هذا السهم له مزية، وأنا صنعتها، وأنا عملت فيها كذا وكذا؛ احتاط الغلام، فقطع الطريق على الملك.

«ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ» أي: في وسط القوس «ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا» أي: اطرحوه فيها «أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا».

❖ **موقف الباطل أمام الحق:**

للباطل أمام الحق أحد موقفين:

الأول: موقف الإغراء بالمنافع والمصالح.

والثاني: موقف التهديد بالبطش.

أما الموقف الثالث ـ وهو: مقارعة الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان ـ فهذا لا يَلجؤون إليه، نعم؛ قد يلجؤون إلى المراوغة والمخادعة وإثارة الشُّبَه، ولذا؛ فإنه لما أُتِي بالراهب، قيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوُضع المئشار على رأسه، وجليس الملك كذلك، وهؤلاء لما آمنوا خُدَّتِ لهم الأخاديد، حُفرت لهم الحُفر العظيمة في الأرض، وأضرمت فيها النيران، وقيل: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها؛ أي: ارموه فيها، هذا هو الحل!

وهكذا كان موقف قريش مع النبي ﷺ، فقد أغروه بأن يزوجوه أجمل بنات العرب، وأن يسودوه فلا يقطعوا رأيًا دونه، وأن يجمعوا له من المال حتى يكون أكثرهم مالًا، ونحو ذلك من الإغراءات، فلما لم يستجب النبي ﷺ نصبوا له العداوة.

وهكذا في كل زمن، أهل الحق الثابتون الداعون إلى الله يُغْرَون بالمناصب وبالوجاهة وبالمال، أو يهددون بالبطش والإيذاء ونحو ذلك.

وهنا تساؤل:

هل دلالة الغلام على طريقة قتله إلقاءٌ باليد إلى التهلكة؟

خاصةً وأنه بهلاك هذا الغلام سيخسر المسلمون خسارة عظيمة؛ لأنه هو الداعي إلى الله الوحيدُ المنتسب إلى الدعوة، ويُخشى على الدعوة أن تضمحل بعد هلاكه.

الجواب: هذا الغلام غايةٌ في التضحية، فقد دعا الناس إلى توحيد الله، وبيَّن لهم بطلان عبادة مَن سوى الله، وأقام لهم الأدلة على ذلك، ثم بعد ذلك بيَّن لهم هذا بدليل واقعيّ مَرْئِيّ، وذلك حينما دَلَّ الملك على طريقة قتله بهذا الأسلوب، فلما فعله الملك مات الغلام.

فكأنه أرسل للناس رسالة مفادها: إن هذا الملك حاول قتلي فما استطاع، استعان بجنوده فما استطاع، جرب جميع السبل ـ في قمة الجبل وفي لُجَّة البحر ـ فما استطاع، فلما قال: بسم الله رب الغلام؛ قتلني، ومِتُّ، إذن؛ الذي يحيي ويميت هو الله فهو المستحق للعبادة، أما هذا الملك فلا يملك موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فكأن الغلام قرر لهم توحيد الربوبية، وأن المتفرد بالإحياء والإماتة هو الله، ثم رَتَّبَ عليه توحيد الألوهية، وأن المستحق للعبادة هو الله وحده. وهذا الأسلوب يتكرر في القرآن كثيرًا، وهو تقرير توحيد الربوبية، ثم ترتيب

لازمه عليه، وهو توحيد الألوهية، وقد مر بنا هذا عند الكلام على حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذِكر قصة الهجرة.

وقد كانت تلك الرسالة رسالة ذكية وجريئة، فوصلت إلى محلها.

ثم إن العادة أن التأثر في المَجامع العامة يكون تَأَثُّرًا عامًّا وسريعًا، ثم يعقبه نسيان سريع، فهل كان حال أولئك الذين حضروا وشاهدوا مقتل هذا الغلام كذلك؟

الجواب: لا، لقد ثبتوا، والدليل على هذا: أنهم عُرِّضوا لاختبار صعب في نفس الوقت فثبتوا، وليس أدلَّ على ذلك من ثبات تلك المرأة التي تُؤمر بأن تقتحم النار إن لم ترجع عن دينها، والمرأة معروفة بِرِقَّتِها وضعفها وعاطفيتها، فما بالكم إذا رأت لهب النار يتصاعد، وسُحُب الدخان في السماء، وأصعب من هذا كله على نفسها: حينما ينال هذا البلاءُ صبيَّها، ومع هذا ثبتت، فإذا كان هذا موقف تلك المرأةِ الأمِّ فغيرها من باب أولى.

❖ ما هو سِرُّ الثبات العجيب ممن آمن برب الغلام؟

السبب ـ والله أعلم ـ هو: ثبات معلمهم ويقينه، فلما ثبت وكان درسه وموعظته ورسالته قد خرجت من القلب: وصلت إلى القلوب، فأثرت فيها ذلك الثبات.

❖ ما هو سر ثبات الغلام؟

إن الداعين إلى الله كثيرون، والمجاهدين كثيرون، والمُضَحِّين بأنفسهم وأموالهم وأوقاتهم ومناصبهم كثيرون، لكنَّ الثبات على هذا النحو نموذجٌ متميز في تاريخ الداعين إلى الله، فما هو السر؟

أولًا: ما الموقف الحاسم الذي كان نَقْلَةً في حياة هذا الغلام؟ الجواب: هو التقاؤه بالراهب. فيُستفاد من هذا: أن مُجَالسة الصالحين، وملازمة أهل العلم، لها أثرها في صياغة حياة الإنسان، وتحديد مَساره.

والعكس: حينما يجالس أهل العبث أو اللهو أو الكلام الفارغ، فإنه سيتأثر بهم، ويفوته خير كثير.

ثانيًا: سِرُّ الثبات ـ والله أعلم ـ: أن هذا الغلام كان ذا يقين راسخ، وأظن ـ والله أعلم ـ أن عُقْدَة هذه القصة تدور حول هذا السبب؛ اليقينِ الراسخ، وذلك استفاده حينما طلب ما يُنقذه من الشك إلى اليقين، فأخذ الحجر وقال: «**اللهمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ**».

وبالصبر واليقين تُنَال الإمامة في الدين[1]، فعلى قدر صبر المرء ورسوخ اليقين يكون انتفاع الناس به، فقد تنتفع به أسرته كلها، وأحيانًا ينتفع به أهل الحي كلهم، وأحيانًا أهل بلده جميعًا، وأحيانًا أهل عصره، وأحيانًا أهل عصره والعصور التي بعده، فيستفيدون منه، ويقتدون ويتأسون به، ويقتفون أثره، ويرددون كلامه، وينتفعون بعلمه، نسأل الله من فضله، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

هذا من أهم دروس هذه القصة، فيجب أن نعتني به اعتناء بالغًا، ويكون هَمُّنا هو: مدى رسوخ اليقين في قلوبنا.

قد تجد التنافس على أعمال الجوارح قائمًا بين الصالحين؛ لكنَّ التنافس والاعتناء بتصحيح النيات وتصحيح أعمال القلوب أَهَمُّ وأوجب وأولى.

يقول أحد التابعين: «ما سبقهم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وَقَر في قلبه»[2].

---

(١) قال العلامة ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ١٥٣): «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين».

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٧)، وعزاه إلى أبي بكر بن عياش، وأصله في نوادر الأصول للحكيم الترمذي (١/ ١٤٨) وعزاه إلى بكر بن عبد الله المزني.

وقال أحد التابعين: «الذي كان في صدر أبي بكر ﵁: المحبة لله ورسوله، والنصيحة لعباده»[١].

ويقول عبد الله بن مسعود ﵁ لمن حوله من التابعين: «أنتم أكثر صومًا وصلاةً من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا وبِمَ ذاك؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة»[٢].

فالشأن مُعَوَّل على أعمال القلوب، والأمر منوط بها، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقال النبي ﷺ: **«ألا وإن في الجسدِ مضغةً إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه»**[٣].

فاعْتَنِ بما هو سببٌ لثباتك؛ لئلا تكون ممن يعبد الله على حرف، وَاسْعَ إلى ما يزيد إيمانك، ويرسخ اليقين في قلبك.

وليس معنى هذا إهمالَ أعمال الجوارح، فيُغْرِقُ الإنسان في ذلك حتى يَصِل إلى نوع من الإرجاء.

❁ ❁ ❁

---

(١) المحجة في سير الدلجة ص (٥٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

أحاديث متفرقة

الحديث الأول:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٥٦) رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ - يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ - عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

قال النَّوويُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «معناه: أنَّ كلَّ مؤمنٍ مسجونٌ، ممنوعٌ في الدنيا من الشَّهوات المحرَّمة والمكروهة، مكلَّفٌ بفعل الطَّاعات، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعدَّه الله تعالى له من النَّعيم الدَّائم، والراحة الخالصة من النُّقصان، وأمَّا الكافر فإنما له من ذلك ما حصَّل في الدنيا، مع قلته وتكديره بالمنغصات، وإذا مات صار إلى العذاب الدَّائم، وشقاء الأبد»[(١)].

ولا منافاة بين هذا وبين الآيات والأحاديث الدالة على أنَّ السعادة مقصورة على المؤمن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فالحياة الطَّيبة هي السَّعادة[(٢)]، وقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، ونحوها من النصوص.

فإنَّ معنى هذا - والله أعلم -: أنَّ حال الكافر في هذه الدُّنيا بالنسبة إلى ما يلقاه في الآخرة من العذاب والنكال: كأنَّه في جنة، مع ما يلقاه في الدنيا من التَّنغيص والهم والقلق والضَّجر والبلاء.

وحال المؤمن على العكس، فما هو فيه في هذه الدنيا من سعادة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٩٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٥٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

وانشراح الصَّدر والثقة بالله ﷻ هو بالنسبة إلى ما ينتظره في الدَّار الآخرة بمثابة السجن(١).

الحديث الثاني:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٥٧) رَحِمَهُ اللهُ:

«حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ - يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ - عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ» العالية: حي في المدينة **«وَالنَّاسُ كَنَفَتَيه»** أي: جانبيه **«فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ»** الأَسَكّ: صغير الأذن، وهذا عيب في الجدي **«مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: وَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»**، وهذا نموذج لأسلوب النَّبي ﷺ في تربية أصحابه رضي الله عنهم.

الحديث الثالث:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٥٨) رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، قَالَ:

---

(١) جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣/٥٤٦): «تتمة: ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مَرَّ يومًا بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة، فقبض على لجام بغلته، وقال: يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال: «الدنيا سجنُ المؤمنِ، وجنةُ الكافرِ»؛ فأيُّ سجن أنت فيه، وأي جنة أنا فيها؟ فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة، فأسلم اليهودي».

«يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟».

قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، وَقَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سَعِيدٍ، ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، كُلُّهُمْ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هَمَّامٍ.

الحديث الرابع:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٥٩) رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى» أي: ادَّخَرَهُ لآخرته «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ».

الحديث الخامس:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٦١) رَحِمَهُ اللهُ:

«حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ ـ وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ» وهي التي تسمى الآن: الأحساء «يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟ فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ

أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

الحديث السادس:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٦٢) رحمه الله:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْعَامِرِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ رَبَاحٍ - هُوَ أَبُو فِرَاسٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»؛ أي: تجعلون بعضهم أُمراء على بعض.

وفي هذا: تهيئةُ المسلم وتنبيهه إلى ما أمامه وما ينتظره، وتحذيره من أن يَفْتَتِن بما أمامه من فتن الدنيا؛ سواء كانت فتنة مال، أو زوجة، أو نحو ذلك.

الحديث السابع:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٦٣) رحمه الله: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ - قَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا، وقَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا - الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيُّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ».

هذا علاج ووصية نبوية عظيمة: أنَّك إذا نظرت إلى من هو أفضل منك؛ قوةً في البدن، أو عُلُوًّا في الجاه، أو المسكن، أو الملبس، أو المركب، أو نحو ذلك، فتَطَلَّعَتْ نفسُك إلى الكمال وإلى أن تكون أحسن من غيرك؛ فالذي يقطع هذا الطَّمع: أن تنظر إلى من هو أسفل منك، فحينئذٍ تعرف نعمة الله.

وحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ ـ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ ـ عَلَيْكُمْ».

وبهذا يرتاح المرء ويطمئن، والقناعة كنز؛ لكنْ إذا تطلَّع الإنسان إلى من فوقه ومن هو أفضل منه فإنَّه لا يرى ما بيده شيئًا، ولو ملك الأموال الطَّائلة، حتى إنَّ أحد الأثرياء حدَّثني عن رجل يحكي عن نفسه يقول: والله أنا مسكين، ما عندي إلا ثلاثين مليون! ـ أو قريب من ذلك ـ، يقول ذلك جادًا، ويحكي عن شيءٍ في قلبه ـ نسأل الله العافية ـ، فالغنى غنى النَّفس.

أمَّا في أمور الآخرة فعلى المرء أن ينظر إلى من هو أحسن منه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فهذا التنافس يُنشِّط المرء.

والتَّنافس على الآخرة يرتفع بالمتنافسين، ويرتفع بالمجتمع، وعكسه التَّنافس على الدنيا، فإنه ينحط بالمتنافسين، ويضر بالمجتمع مِن حولهم.

الحديث الثامن:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٦٧) رحمه الله: «حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ» أي: أعلمت بانقطاع وذهاب، فالدنيا بذاتها تدل على زوالها وفنائها وانقطاعها «وَوَلَّتْ حَذَّاءَ» أي: مسرعةَ الانقطاع «وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ» الصُبابة: البقية اليسيرة من الشَّراب تبقى في أسفل الإناء «يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ» أي: من حَافَتِها «فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟

وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ» ممتلئ «**مِنَ الزِّحَامِ**» نسأل الله الجنَّة وما يُقرِّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بالله من النار وما يُقرِّب إليها من قولٍ أو عمل.

وقد جَمع عتبة بن غزوان ﷺ في خطبته هذه بين التَّرغيب والتَّرهيب، فذكر صفة النار، وكثرة من يُلْقَى فيها، ثمَّ ذكر الجنَّة وكثرة من يَدْخُلها، وهذا الأسلوب قد ورثوه وتعلَّموه من النَّبي ﷺ الذي كان يجمع بين الترغيب والتَّرهيب، وكما هو في كتاب الله.

أمَّا اقتصار المرء على الترغيب وحده، أو الترهيب وحده، فهذا أسلوب خاطئ؛ لأن بعض النفوس تكسل وتُصاب بالفتور إذا اقتُصِر على الحث والترغيب، وبعض النفوس تُصاب باليأس إذا اقتُصِر على التَّرهيب والتَّخويف من عقاب الله وبيان آثار المعاصي.

وبعض النَّاس يجنح إلى الاقتصار على التَّرهيب، ويقول: إن الناس الآن منهمكون في المعاصي، فيجب أن نزجرهم عمَّا هم فيه، ولو ذكرنا آيات التَّرغيب لضعفتْ هممُهم واستمروا على ما هم فيه، وهذا خطأ، فـ«**خيرُ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ**»(١)، والنفوس تحتاج إلى الأمرين جميعًا.

يقول عتبة ﷺ: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا**» لخشونة هذا الورق وحرارته «**فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ**» هو سعد بن أبي وقاص ﷺ «**فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا**» إزار فقط لم يجد غيره، ليس إزارًا ورداءً كما هو اللباس المعتاد عند العرب «**فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللهِ**

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا».

الحديث التاسع:

قال الإمام مسلمٌ (١٠٥٥) رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا» قال النووي مُبَيِّنًا معنى القوت: «قيل: كفايتهم من غير إسراف، وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى: «كفافًا»، وقيل: هو سدُّ الرَّمَق»[1]، لأنَّ ما زاد على الحاجة يُغرِي المرء بالانغماس فيه، ويُلهي ويُشغِل.

الحديث العاشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٧٣) رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ» أي: شيء يسير من الشعير «فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ» قال النَّووي: «في هذا الحديث أنَّ البركة أكثرُ ما تكون في المجهولات والمبهمات»[2]؛ أي: أنَّ تحديد الشيء فيه دلالة على تعلق النفس به، بينما إذا كان يتعاطى ذلك السبب ـ أكلًا أو غيره ـ فإذا نفد التمس غيره؛ كان هذا أكمل في التَّوكُّل، والله أعلم.

ولعل هذا يُشبه صنيع أمِّ إسماعيل ـ رحمة الله عليها ـ لمَّا نبع ماء زمزم فجعلت تغرف، وجعل يفور بقدر ما تغرف، قال رسول الله ﷺ: «يرحمُ اللهُ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٠٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٠٧).

أمَّ إسماعيلَ، لو تركتْ زمزمَ ـ أو قال: لو لم تغرفْ من الماءِ ـ لكانتْ عينًا مَعِينًا»[١]؛ أي: ظاهرة جارية على وجه الأرض.

فهذه أم إسماعيل ـ رحمة الله عليها ـ تفعل ذلك وهي الصَّابرة المحتسبة المتوكِّلة على الله المستسلمة لأمره، التي لمَّا أبقاها إبراهيم ﷺ في تلك الصَّحراء، قالت: **«يا إبراهيمُ، أين تذهبُ وتتركُنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ وجعلَ لا يلتفتُ إليها، فقالتْ له: آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالتْ: إذنْ لا يُضَيِّعُنا»**[٢]، فبقيت وحيدةً معها صبيها الرضيع، ومعهما جراب فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

فكأن ذلك الصنيع من أم المؤمنين ﵂ ـ وهي من سادات المتوكلين ـ نَقَص من بركة الشعير.

الحديث الحادي عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٧٢) ﵀: **«حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ يَا خَالَةُ: فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ؛ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ»** المَنِيحَةُ هي: الشَّاة يُعطيها الرجل غيره فيشرب من لبنها ثمَّ يُرجِعُهَا إذا انقطع لبنُها **«فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ»** أي: عندهم أغنامٌ يرسلون إلى النَّبي ﷺ من ألبانها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

الحديث الثاني عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٧٨) رحمه الله: «وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَخْطُبُ قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ». الدَّقْل: نوع رديء من التَّمر.

الحديث الثالث عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٨٢) رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ» قال النووي: «المراد بالساعي: الكاسب لهما، العامل لمؤنتهما. والأرملة: من لا زوج لها؛ سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل: هي التي فارقت زوجها»[1]، «كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، - وَأَحْسِبُهُ قَالَ: - وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِر» وفضل الله واسع، أسأل الله ألَّا يحرمنا فضله ولا خير ما عنده بشرِّ ما عندنا.

الحديث الرابع عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٨٣) رحمه الله: «حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْغَيْثِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ» أي: من أقاربه، كأنْ يكون الكافل جَدَّ ذلك اليتيم أو جدتَه أو أخاه «أَوْ لِغَيْرِهِ» أي: من غير أقاربه «أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى».

الحديث الخامس عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٨٤) رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١١٢).

حَرْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ ـ قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ ـ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ـ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ.

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يجعل تدبير أمور هذا الكون إلى بعض الملائكة، فالقَطْر موكَّل به ملك، والجبال موكَّل بها ملك، وقبض الروح موكَّل به ملك، ونفخ الروح في الجنين موكَّل به ملك، وهكذا، وهذا يدل على كمال غنى الرَّب وعظمته ﷻ. والمخلوق قد يُسند شيئًا من أعماله ومَهامِّه إلى أعوان ومساعدين؛ ليتقوَّى بهم، فالملك وأصحاب الولايات الكبرى والصُّغرى لا يستطيعون أن يدبروا أمور رعيتهم كلِّها، فيُسْنِدون ذلك إلى وزراء. ووكالة المخلوق وكالة مساعدة ومعاونة، أمَّا الرَّب ﷻ فهو الحافظ وهو المهيمن، وهو على كلِّ شيءٍ وكيل.

«فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ» الحَرَّة هي: أرضٌ تعلوها حجارةٌ سوداء.

«فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ» الشَّرجة هي: مَسِيل الماء «قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ» هذا السَّائرُ الذي يسير بالفلاة تتبَّع الماء «فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ» كون السحابة تنتشر وتمطر في مساحة واسعة من الأرض، ثم يأتي ماؤها كله إلى الحديقة، هذا سيجعل

الماء أكثر وأغزر، وهذا أبلغ مما لو أظلت السحابةُ تلك الحديقةَ فأمطرت عليها، فإن الماء سيقتصر على حدود هذه الحديقة، على تلك البقعة الضيِّقة.

«فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ ـ لِلِاسْمِ الذي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ـ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» هذا فيه فضل الصَّدقة والإحسان، وبركة ذلك، كما قال النَّبي ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط منفقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعط ممسكًا تَلَفًا»[(١)]، ونحن قد أنعم الله علينا، فعلينا أن ننفق في السُّبل التي يُحبُّها الله ﷻ؛ في الدعوة إلى الله، ونشر الخير، ونَتتبَّع المساكين والمحتاجين، ونحو ذلك.

وبعض الناس يعتذر عن الإنفاق على المساكين بأنه لا يعرف أماكنهم! ابحث وستجد، ولا تحرم نفسك الخير بهذا العذر.

قال النووي: وفيه فضل أكل الإنسان من كسبه، وفضل الإنفاق على العيال[(٢)]، وفي الحديث: «ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكلَ من عملِ يدِه»[(٣)].

وكون الإنسان يتعوَّد على كسب المال بنفسه، كأنْ يتعوَّد على حِرفة، أو صَنعة، أو على البيع والشراء ـ والله ﷻ جعل في البيع والشراء بركةً ـ؛ هذا أولى من أنْ يعتمد على وظيفته فيكون رزقه مقتصرًا على ما يأتيه منها؛ لأنَّ هذا سبب لإضعاف التوكل، وسبب لنقص عبودية الإنسان؛ لأنها قد تستعبده وتمنعه من أن يصدع بالحق، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ خَشْيَةَ أن

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٢).

يُفْصَل من وظيفته، فيكون كمن انقطع نَفَسُه عنه فمات. لكن إذا كان الإنسان قد هيأ نفسه واتَّخذ سببًا من أسباب الرزق الحلال ـ ولو كان سببًا يسيرًا ـ كان هذا سببًا في تكميل تعبُّده لله.

فإغفال هذا الجانب ليس مستحسنًا، والانهماك فيه أيضًا أمرٌ خطير؛ لأنَّ الدنيا تفتن، وكان أحد الصالحين يقول هذا الكلام، يقول: الناس إذا أرادوا إقامة مشروع خيري فإنهم يبحثون عن متبرع، فلماذا لا يكون الداعون إلى الله أصحابَ أموال وثروات وتجارات يُنفقون منها على الدعوة؟ وهذا الكلام في ظاهره كلام حسن، يقول: فانصرفتُ إلى التجارة بقصد أن أنفع الدعوة إلى الله بمالي، حتى أصبح من مُلَّاك الملايين، ولكنه يقول: فتنتني الدنيا. هذه حدَّثني بها أحد الإخوة ممن يعرف هذا الرجل.

الحديث السادس عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٨٥) رَحِمَهُ اللَّهُ: **حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تبارك وتعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».**

الحديث السابع عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٨٦) رَحِمَهُ اللَّهُ: **حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سُمَيْعٍ، عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ»** قال النووي: «معناه: من راءى بعمله وسَمَّعه الناسَ ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره: سَمَّعَ الله به يوم القيامة الناسَ وفَضَحه»[١].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١١٦).

قال الشيخ عبد الرَّحمن بن حسن ﷺ في «فتح المجيد»: «الفرق: أنَّ الرياء لما يُرى من العمل، كالصَّلاة. والسُّمعة: لما يُسمع، كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك ـ أي: السُّمعة ـ: التَّحدُّث بما عَمِله»[(١)].

قال الشيخ عبد الرَّحمن السَّعدي ﷺ في «القول السَّديد»: «اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو: أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة، وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملًا لها قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعة ولا رياسة، ولا دنيًا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أعظم ما ينافي هذا: مراءاةُ الناس، والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصدَ مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط، وهو شرك أصغر، ويُخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل على العمل إرادةَ وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص ـ أيضًا ـ بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجهَ الله وحده، ولكنْ عَرَض له الرياء في أثناء عمله، فإنْ دَفَعَه وخَلَّصَ إخلاصه لله: لم يضره، وإنْ سَاكَنَه واطمأن إليه: نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتَقَاوَم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على

(١) فتح المجيد ص (٣٦٨).

الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها، لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها:

فإن كانت إرادة العبد كلُّها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة: فهذا ليس له في الآخرة من نصيب. . . .

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمنًا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصا تامًّا، ولكنه يأخذ على عمله جُعْلًا معلومًا يستعين به على العمل والدين، كالجِعَالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تُجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يُرِد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين»[١].

يعني: لو أن رجلًا عَرَف فضل الإمامة، وما يترتَّب عليها من إعانته على الخير، وإرشاد الناس، ومراجعة حفظه للقرآن، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة، فرغب في هذا، ولم يكن الباعث لهذا العمل هو وجودَ بيت للإمام، أو وجود راتب، فهذا لا يضره ما يأتيه من الرَّيْع؛ فإن بعض الصحابة طلب من النبي ﷺ أن يجعله إمامًا لقومه، فأقرَّه ﷺ على ذلك، ولو كان هذا من الولايات التي لا يُقَرُّ مَن طلبها لأنكر عليه النَّبي ﷺ.

أمَّا أن يكون المقصد هو ذلك الراتب، أو ذلك البيت؛ فهذا لا يجوز،

---

(١) القول السديد ص (١٢٩ ـ ١٣٠).

يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

وقد سألني رجل فقال: إنني أسكن أنا وزوجتي وأولادي في بيت والدي، وبيت والدي فيه تلفاز لم أستطع إخراجه، وحاولت أن أخرج وأستقر في بيت منفرد فرفض والدي، وقال: كيف تخرج والبيت واسع؟ إذا عمرتَ بيتًا مستقلًّا فلا بأس أن تخرج. هو يخشى على زوجته وأولاده من هذا التلفاز، فأراد أن يتولى مئذنة مسجد حتى يكون ذلك حُجَّةً له في خروجه من بيت والده. فسألت الشيخ محمد العثيمين ـ حفظه الله ـ؟ فقال: لا يجوز أن يطلب الأذان من أجل البيت؛ ولو لم يكن مقصده ذات البيت وإنما العذر الذي ذَكر.

وأُنبِّه إلى شدة خطر الرياء، وأنَّه كما ذكر الإمام المُجَدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قوله ﷺ: «**أَخْوَف ما أخاف عليكم الشرك الخفي**»(١)، قال: إنَّه أخوف ما يُخاف على الصالحين.

وبعض الناس يترك بعض الطاعات بحجة الخوف على عمله من الرياء، وهذا خطأ؛ بل اعمل العمل، فإن استطعت أن تُخْفِيَه وكان الإخفاء أفضل فأَخْفِه، وإن لم يمكن كذلك فاعمل العمل وجاهد نفسك، وكما ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله فيما نقلتُ عنه سابقًا: «الرياء يحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء»(٢).

فبعض الناس إذا صلى والناس ينظرون إليه لم يستطع أن يَتَأَنَّى في قراءته

---

(١) أخرج ابن ماجه (٤٢٠٤) أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى، قال: «**الشرك الخفي**»، وأخرج أحمد (٢٣٦٣٠) أن النبي ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**».

(٢) القول السديد ص (١٣٠).

وركوعه وسجوده، ويقول: أخاف من الرياء، فتجده يُسرع في صلاته. فيقال له: ما الذي يحملك على أن تَتَأَنَّى في صلاتك؟ هل هو قصد مراءاة الناس؟ أم ما في هذا العمل من الأجر؟ إن كان السبب هو الثاني؛ فاحرص على هذا العمل، ولا تتركه من أجل نظر الناس، وجاهد نفسك. وإذا عَوَّد الإنسان نفسه على عدم الالتفات إلى نظر الناس هان عليه نظرهم.

الحديث الثامن عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٢٩٨٨) رحمه الله: **حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُضَرَ عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه **أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».**

وحَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»** نسأل الله العافية والسلامة.

اللسان شأنه عظيم، وقد سُئل النبي ﷺ: ما أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال: **«تقوى اللهِ، وحسنُ الخُلُقِ»**، وسئل ما أكثر ما يُدخل الناس النار؟ فقال: **«الفمُ والفرجُ»**[١]، ويقول النبي ﷺ: **«من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ»**[٢].

ويُروى عن أبي بكر رضي الله عنه ـ أفضل من طلعت عليه الشَّمس بعد النَّبيين ـ أنَّه كان يأخذ بلسان نفسه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد»[٣]، وكان

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٣٦٢١).

عبد الله بن مسعود ﷺ يحلف بالله: «ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجنٍ من لسان»[(١)].

ويقول أحد السَّلف: «لو أصبحتَ يهمك لسانك أصبحتَ في غَمٍّ شديد»[(٢)]، ويقول أحد السَّلف: «من عَدَّ كلامه من عمله قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه»[(٣)].

ونحن نُؤْتَى من هنا، فكثير من الصالحين يتورع عن كثير من مشتهيات النفس، فيكف نفسه عن النظر إلى النساء، وعن كسب المال الحرام؛ لكنك تجده يتمادى ويسترسل في الكلام، ويقع في الغيبة من حيث يشعر أو لا يشعر، لماذا؟ كأنه ـ والله أعلم ـ أُتِيَ من هنا؛ وهو أنه لم يَعُدَّ كلامه من عمله، كلا؛ فهذا من عملك، إن خيرًا أو شرًّا.

وقوله ﷺ لمَّا سُئل: ما أكثر ما يُدخِل الناس النار؟ قال: «**الفمُ والفرجُ**»، وذلك لأن عمل اللسان يسير، وخطره عظيم، فقد يكسب بهذا اللسان وزرًا ويرى أنه ما عَمِل شيئًا، فيغتاب ويرى أنه قال الحق، وهذه هي الغيبة، «**ذِكْرُك أخاك بما يَكْرَهُ**»[(٤)]، ثم ما النتيجة؟ النتيجة أن ذلك سبب للإفلاس، فيعمل ويجتهد ويصوم ويصلي وينفق ويعمل الخير، ثم يستفيد من عمله غيرُه، فيُعطَى مَن اغتابهم مِن حسناته يوم القيامة.

وما أكثر ما يقع هذا من عامة الناس وخاصتهم، وأعني بالخاصة: الصالحين، والمنتسبين إلى العلم، ولكثرة وقوعنا في هذا الأمر ربما لم نحس بأنها غيبة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٤٩٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٤١).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

ثمَّ من خطورة الغيبة: أنه إذا اغتِيب أحد وأنت حاضر فلم تُنكر فأنت مُشارك لهذا المغتاب.

والغيبة قد قبَّح الله فعلها وحذَّر منها: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

إذن؛ ما هو الدَّواء؟ الدواء هو قول النَّبي ﷺ: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ**»(١).

ومن أسباب الغيبة: كثرة المجالسة والمخالطة، حتى لو كنت تُجالس إخوانك الصالحين، فاقْصُر المجالسة على قدر الحاجة. ومن أسبابها: عدم المناصحة.

الحديث التاسع عشر:

قال الإمام مسلمٌ (٣٠٠٠) رحمه الله: **حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا، إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا».**

الحديث العشرون:

قال الإمام مسلمٌ (٣٠٠٢) رحمه الله: **حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ.**

قال النَّوويُّ رحمه الله: «ذَكَر مسلمٌ في هذا الباب الأحاديثَ الواردة في النهي

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

عن المدح، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريق الجمع بينها: أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يُخَاف عليه فتنة - من إعجاب ونحوه - إذا سمع المدح. وأما من لا يُخَاف عليه ذلك؛ لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة؛ بل إن كان يَحْصُل بذلك مصلحة، كنَشْطِه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحبًا، والله أعلم»[١].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٢٦).

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

١ ـ كي نستفيد من رمضان، دروس للمسجد والبيت ٦

٢ ـ عشر ذي الحجة، وأيام التشريق، والأضاحي ٨

٣ ـ خطوات إلى حياة طيبة ٨

٤ ـ السحر والعين والرقية منهما ٩

٥ ـ عواصم من الفتن ١٠

٦ ـ الغيرة والحياء ١٠

٧ ـ فضل الدعوة إلى الله ١١

٨ ـ السفر للخارج للسياحة، محاذير وشبهات ١١

٩ ـ الفَرَج بعد الكرب ١٢

١٠ ـ من ثمرات الصلاة ١٢

١١ ـ تربية الأولاد على الصلاة ١٣

١٢ ـ سلامة الصدر من الغل والحسد ١٣

١٣ ـ أسباب الثبات على الدين ١٤

١٤ ـ أحاديث التربية في صحيح مسلم ١٥

«كي نستفيد من رمضان» دروس للبيت والمسجد ١٧

مقدمة ١٨

الاستعداد للأعمال الصالحة ١٩

أحوال الناس في استقبال رمضان ٢٠

سبب استثقال بعض النفوس للأعمال الصالحة ٢١
بِمَ يُستقبل الشهر؟ ٢٤
مسائل وتنبيهات ٢٦
* المسألة الأولى: تحقيق التعبد وتكميله ٢٦
* المسألة الثانية: في قوله ﷺ: «إيمانًا واحتسابًا»: ٢٨
* المسألة الثالثة: نداء لأئمة المساجد ودعاة الخير ٢٩
* المسألة الرابعة: تقديم الفرض على النفل ٣٠
* المسألة الخامسة: في الوتر والقنوت ٣٠
* المسألة السادسة: في اغتنام ساعات ثمينة يكثر التفريط فيها ٣٢
القارئ الحسن الصوت ٣٤
تنبيهات للمرأة ٤٠
التنبيه الأول ٤٠
التنبيه الآخر ٤٣
تنبيهات حول العمرة ٤٦
أعمال صالحة تتأكد في رمضان ٤٨
* ومن الأعمال المتأكدة في شهر رمضان ٤٨
أولًا: تلاوة القرآن ٤٨
ثانيًا: الصدقة ٥٠
ثالثًا: جلوس الإنسان في مُصلَّاه حتى تطلع الشمس ٥٣
رابعًا: اغتنام آخر ساعة من النهار، وآخر ساعات الليل ٥٥
خامسًا: التبكير إلى الجمعة ٥٥
سادسًا: الاعتكاف ٥٩
سابعًا: العمرة ٦٠
حكم التتابع في صيام الست من شوال ٦٢

بُشرى ٦٤
«عشر ذي الحجة وأيام التشريق والأضاحي» ٦٥
أولًا: عشر ذي الحجة ٦٦
* ما يستحب فعله في أيام العشر ٦٨
* بم تُستقبل عشر ذي الحجة؟ ٧٠
* صيام يوم عرفة ٧١
* فضل يوم النحر ٧١
* صيغة التكبير ٧٢
ثانيًا: أيام التشريق ٧٣
* تنبيه يتعلق بالمسافرين عمومًا وبالحجاج خصوصًا ٧٤
ثالثًا: الأضاحي ٧٤
«خطوات إلى حياة طيِّبة» ٧٧
مقدمة ٧٨
الصلاة ٨٠
* أيتها المسلمة ٨٢
* أيتها المسلمة ٨٣
التوكّل على الله ٨٥
أمور تعين على تحقيق التوكل ٨٧
الحذر من فتنة الدنيا ٨٨
* فتنة المال ٩٠
حفظ اللسان ٩٣
* أيتها المسلمة ٩٦
* فيا أمة الله ٩٦

حفظ السمع والبصر ٩٧
* والشكر له أركان ٩٧
* فيا أيتها المسلمة ١٠٠
* أيتها المسلمة الشريفة ١٠٢
* فيا من تؤمن بالله واليوم الآخر ١٠٣
الحذر من خطوات الشيطان ١٠٤
* أيتها الفتاة النبيهة ١٠٦
انحراف المحبة ١٠٧
التعلُّق ١٠٨
الحجاب ١١٣
القرار في البيت ١٢٢
تحقيق التوحيد طريق الإصلاح ١٢٧
«السحر والعين والرقية منهما» **١٣١**
مقدمة ١٣٢
أسباب الإصابة بالسحر والعين ١٣٣
١ ـ ضعف توحيد الله في القلوب ١٣٣
٢ ـ ترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات ١٣٤
٣ ـ الغفلة عن ذكر الله ١٣٤
الجزاء من جنس العمل ١٣٦
حكم السحر والإتيان إلى العرافين ١٣٨
كيف تتقي شر السحر والعين؟ ١٤٠
* فمن أسباب الحفظ والوقاية ١٤٠
ومن هذه الأذكار ١٤٠
* وهناك أسباب أخرى للوقاية؛ منها ١٤٢

العلاج ١٤٤
١ ـ الفاتحة ١٤٤
٢ ـ المعوذتان ١٤٥
* ومن الأدعية المأثورة ١٤٥
* ومن العلاج النافع للسحر ـ وغيره من البَلِيَّات ـ ١٤٦
* علاج من حُبس عن جماع أهله ١٤٦
* علاج من أصيب بالعين ١٤٧
* وفي رقيتِكَ نفسَك فوائد؛ منها ١٥٠
* كيف ترقي نفسك؟ ١٥٠
* كيف تفرق بين الكهانة والسحر والشعوذة وبين الرقية الشرعية؟ ١٥٠
تنبيهات ١٥١
«عواصم من الفتن» ١٥٣
مقدمة ١٥٤
للنصر أسباب ١٥٦
لتسليط العدو أسباب ١٥٧
«الغيرة والحياء» ١٥٩
مقدمة ١٦٠
صور من التفريط في الغيرة والتقصير فيها ١٦٢
أسباب ما سبق ١٦٤
الحياء ١٦٥
* ولخفة الحياء ـ لدى المرأة على وجه الخصوص ـ أسباب ١٦٦
«فضل الدعوة إلى الله» ١٦٩
* المسألة الأولى ١٧٠
* المسألة الثانية ١٧٠

❊ المسألة الثالثة ١٧٠

❊ المسألة الرابعة ١٧٠

❊ المسألة الخامسة ١٧١

مما يعينه ويثبته ١٧٢

كل حال لها عبوديتها.. .... ١٧٢

من المهم إدراك الأبواب الجوامع للإصلاح ١٧٣

ومن وسائل الإصلاح ١٧٣

«السفر للخارج للسياحة، محاذير وشبهات» ١٧٧

السفر للخارج للسياحة ١٧٨

❊ محاذير.. وشبهات ١٧٨

«الفَرَج بعد الكرب» ١٨٣

«الفَرَج بعد الكرب» ١٨٤

محاضرة «من ثمرات الصلاة» ١٨٧

محاضرة «تربية الأولاد على الصلاة» ١٩٥

محاضرة «سلامة الصدر من الغل والحسد» ٢٠١

معنى الحسد والحقد ٢٠٣

هل الغِبطة محمودة أو مذمومة؟ ٢٠٤

أسباب تُوقِع العبد في الحسد ٢٠٤

❊ لكن أيُّ صنف من هؤلاء العلماء؟ ٢٠٦

❊ الأمور التي تجلب التحاب والتواد بين المسلمين ٢٠٨

❊ ما أثر المناصحة في انتفاء الغل من القلب؟ ٢١٠

بِمَ يُدفَع شر الحاسد؟ ٢١٢

الأمور التي تُنَقِّي القلب من الحسد ٢١٦

محاضرة «أسباب الثبات على الدين» ٢٢١
سبب الثبات على الدين إجمالًا ٢٢٢
أسباب الثبات على الدين تفصيلًا ٢٢٣
١ ـ طلب العلم الشرعي ابتغاء وجه الله ـ وهو أهم الأسباب ـ ٢٢٣
سؤال: ما العلم الذي ورد في شأنه كل ما تقدم؟ ٢٢٤
لكن ما حكم العلوم الدنيوية النافعة؟ ٢٢٤
٢ ـ الاجتهاد في الطاعات، بالمواظبة على الفرائض، والاستكثار من النوافل ٢٢٥
٣ ـ الدعاء ٢٢٨
٤ ـ ألا يُعجَب المرء بنفسه ٢٢٨
٥ ـ حسن الظن بالله ﷻ ٢٢٩
٦ ـ محاسبة المرء نفسَه وعدم غفلته عنها ٢٢٩
وما أثر المحاسبة في الثبات؟ ٢٣٠
٧ ـ التحرز من الذنوب، ومبادرةُ ما يقع منها بالتوبة، والإكثارُ من الاستغفار ٢٣٠
٨ ـ حفظ الجوارح، وعدم التساهل بالصغائر ٢٣١
وكيف يُسَدُّ هذا الباب؟ ٢٣١
٩ ـ اتباع السنة، والحذر من البدعة ٢٣٢
١٠ ـ البعد عن مواطن الفتن؛ فتن الشبهات والشهوات. ٢٣٢
١١ ـ الدعوة إلى الله، والأمر بالعروف، والنهي عن المنكر ٢٣٣
١٢ ـ تَذَكُّر الموت وما بعده، والزهد في الدنيا ٢٣٤
١٣ ـ الحرص على الرفقة الصالحة التي تُذكرك إذا نسيت، وتعينك إذا ذكرت ٢٣٤
محاضرة «أحاديث التربية في صحيح الإمام مسلم» ٢٣٥
الحديث الأول: حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذِكر قصة الهجرة ٢٣٦
❊ التعليق على الحديث ٢٣٨
❊ فوائد الحديث ٢٤٠

* ما الأسباب التي تكمل بها شخصية المسلم؟ ٢٤٢
١ ـ معرفة العبد لربه؛ بتحقيق التوحيد، وتكميل الإيمان ٢٤٢
كيف يُخَاطبون بتوحيد الربوبية وهم يُقرون به؟ ٢٤٣
ماذا يُفهَم من هذا الحديث؟ ٢٤٩
ويحسن التأني عند هذا الحديث؛ ما الثواب المرتَّب هنا؟ ٢٤٩
من آداب طلب العلم ٢٥٢
٢ ـ العمل الصالح ٢٥٣
من ثمرات عمل المتعلم بعلمه ٢٥٧
٣ ـ التواصي بالحق ٢٥٨
ما تعريف المعروف والمنكر؟ ٢٦٠
من الفوائد العظيمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦١
ومن نتائج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦٢
مما يعين على القيام بالأمر بالمعروف ٢٦٣
معنى تغيير المنكر بالقلب ٢٦٣
٤ ـ التواصي بالصبر ٢٦٤
الموازنة بين أسباب النجاة من الخُسر ٢٦٤
الحديث الثاني: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليَسَر ٢٦٧
* التعليق على الأحاديث ٢٧١
* حكم الصلاة في ثوب واحد ٢٧٤
* تعليق على قول النبي ﷺ: «فإن الله تبارك وتعالى قِبَل وجهه»: ٢٧٥
* التبرك بآثار النبي ﷺ ٢٧٨
* حكم وضع غصن ونحوه على القبر ٢٨٢
* فوائد الأحاديث ٢٨٤

الحديث الثالث: حديث صهيب بن سنان ﷺ قصة أصحاب الأخدود ... ٢٨٩
* التعليق على الحديث ٢٩٠
* حكم التورية ٢٩١
* كيف عَلِم الراهب بأن الغلام سيبتلى؟ ٢٩٢
* لماذا أوصى الراهبُ الغلامَ بألا يدل عليه؟ ٢٩٣
* خوف الإنسان من الفتنة علامةٌ على قوة الإيمان ٢٩٤
* السلاح الذي تسلح به الغلام في وجه جنود الملك ٢٩٦
* من آداب الدعاء ٢٩٨
* كل ما في الكون جنودٌ لله ٢٩٩
* موقف الباطل أمام الحق ٣٠١
* ما هو سِرُّ الثبات العجيب ممن آمن برب الغلام؟ ٣٠٣
* ما هو سر ثبات الغلام؟ ٣٠٣
أحاديث متفرقة ٣٠٦
الحديث الأول ٣٠٦
الحديث الثاني ٣٠٧
الحديث الثالث ٣٠٧
الحديث الرابع ٣٠٨
الحديث الخامس ٣٠٨
الحديث السادس ٣٠٩
الحديث السابع ٣٠٩
الحديث الثامن ٣١٠
الحديث التاسع ٣١٢
الحديث العاشر ٣١٢
الحديث الحادي عشر ٣١٣

الحديث الثاني عشر ٣١٤
الحديث الثالث عشر ٣١٤
الحديث الرابع عشر ٣١٤
الحديث الخامس عشر ٣١٤
الحديث السادس عشر ٣١٧
الحديث السابع عشر ٣١٧
واعلم أن الرياء فيه تفصيل ٣١٨
الحديث الثامن عشر ٣٢١
الحديث التاسع عشر ٣٢٣
الحديث العشرون ٣٢٣
فهرس الموضوعات ٣٢٥